ISSN:2707-8183

المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية

العدد 13 كانون الثاني 2021

مجلة علمية محكمة تصدر عن الاتحاد الدولي للمؤرخينً

ISSN:2707-8183

المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية

INTERNATIONAL JOURNAL OF HISTORICAL AND SOCIAL STUDIES

العدد 13

ديسمبر كانون الثاني

HISTORICAL.MAGAZINE2015@GMAIL.COM

WWW.INT-HISTORIANS.COM

هيئة التحرير واللجنة العلمية الاستشارية

رئيس التحرير
الاستاذ الدكتور ابراهيم سعيد البيضاني

نائب رئيس التحرير
الدكتور عثمان برهومي / تاريخ / تونس

مديرة التحرير
الدكتورة وفاء سمير نعيم /اجتماع / مصر

هيئة التحرير واللجنة العلمية الاستشارية

رئيس التحرير
الاستاذ الدكتور ابراهيم سعيد البيضاني

نائب رئيس التحرير
الدكتور عثمان برهومي / تاريخ / تونس

مديرة التحرير
الدكتورة وفاء سمير نعيم /اجتماع / مصر

التصميم الداخلي للصفحات وغلاف المجلة

م. آثار حيدر عباس جاسم الداوودي

المحتويات

إشكالية فحص الوثائق التاريخية: الوثيقة الرقمية نموذجا 18
د. عبد الرزاق بنواحي

أهمية العلاقة بين التاريخ وعلم الأنثروبولوجيا في التأريخ للمجتمعات الإنسانية 30
" كتابات العسكريين الفرنسيين حول المجتمع الصحراوي الجزائري إبان الاحتلال"
الاستاذ المحاضر الدكتورة حباش فاطمة
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية/ جامعة ابن خلون _ تيارت_

أهمية علم الاجتماع في البحث التاريخي" دراسة التركيبة الاجتماعية الجزائرية خلال الفترة الاستعمارية 1830-1847م نموذجا"..... 44
الاستاذ المحاضر الدكتور سلاماني عبد القادر/ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة طاهري محمد. بشار الجزائر.
الاستاذ المحاضر الدكتور قراوي نادية / كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة طاهري محمد. بشار الجزائر.

"إن من يتحكم بالماضي يمسك بالمستقبل"[0]..... 62
جورج أورويل / سميره تفادي

المخطوط مصدرا لكتابة التاريخ العسكري لإيالة تونس في القرن 19 90
د. سنية حمدي، جامعة صفاقس، الجمهورية التونسية

العلوم البحرية عند العمانيين ودور المؤرخين في إبرازها 104
حمود بن حمد بن جويد الغيلاني

العلاقات الدولية في اوربا 1806-1809 112
تحالفات اوربية فاشلة ضد فرنسا
الاستاذ الدكتور ابراهيم سعيد البيضاني

أوضاع الجاليات الأرمنية في بلاد الشام ما بين عامي 124
(1295-1326هـ/1878-1908م)
Davit Sahakyan
أ . د. ميسون منصور عبيدات

لتاريخ و الصورة 152
الباحث بوشتى المشروح
كلية الآداب و العلوم الإنسانية سايس- فاس
جامعة سيدي محمد بن عبد الله- فاس

الرحلة مصدر من مصادر تاريخ الإصلاح في مغرب القرن 19م 164
البشير البونوحي – المغرب
الدرجة العلمية: الدكتوراه

البيان الختامي للمؤتمر الدولي الموسوم بـ: 190
(التاريخ حقيبة العلوم)
المنعقد خلال الأيام 5-3 كانون الأول ديسمبر 2020

السياسات والقواعد والاجراءات

ترحب المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية البحوث العلمية المكتوبة وفقا للمعايير العلمية في اي من الحقول الدراسات التاريخية او العلوم المساعدة ذات العلاقة ويشمل ذلك كل العلوم نظرا لطبيعة التاريخ كعلم يتناول النشاطات الانسانية كافة مع مراعاة عدم تعارض الاعمال العلمية المقدمة للنشر مع العقائد السماوية، والا تتخذ ايه صفة سياسية والا تتعارض مع الاعراف والاخلاق الحميدة، وان تتسم بالجدة والأصالة والموضوعية وتكتب بلغه سليمه واسلوب واضح.

سياسات النشر

تسعى المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية الى استيعاب رو افد كل الافكار والثقافات ذات البعد التاريخي ويسعدها ان تستقبل مساهمات الافاضل ضمن اقسام الدورية البحوث والدراسات عروض الكتب عروض الاطاريح الجامعية وتقارير اللقاءات العلمية.

هيئه التحرير

تعطي هيئة التحرير الأولوية في النشر والعروض والتقارير حسب الأسبقية الزمنية الواردة للمجلة، ووفقا لاعتبارات علمية و فنية تراها هيئه التحرير.

وتقوم هيئه التحرير بالقراءة الأولية للبحوث العلمية المقدمة للنشر بالمجلة للتأكد من تو افر مقومات البحث العلمي وتخضع البحوث والدراسات والمقالات بعد ذلك للتحكيم العلمي والمراجعة اللغوية.

يحق لهيئة التحرير اجراء التعديلات الشكلية على المادة المقدمة للنشر لتكن وفق المعيار تنسيق النص في عمودين مع مراعاة تو افق حجم ونوع الخط مع نسخه المقال المعياري.

هيئه التحكيم

يعتمد قرار قبول البحوث المقدمة للنشر على توصيه هيئه التحرير والمحكمين، اذ تجري عملية التحكيم السري للأبحاث المقدمة وفقا لاستمارة خاصة بذلك.

يستند المحكمون في قراراتهم في تحكيم البحث الى المدى ارتباط البحث بحقل المعرفة والقيمة العلمية لنتائجه ومدى اصاله افكار البحث وموضوعيه ودقه الادبيات المرتبطة بموضوع البحث وشمولها، فضلا عن سلامه المنهج العلمي المستخدم في الدراسة ومدى ملاءمة البيانات والنتائج النهائية لفرضيات البحث وسلامه تنظيم اسلوب العرض من حيث صياغة الافكار ولغة البحث وجوده الجداول والاشكال والصور ووضوحه

البحوث والدراسات التي يقترح المحكمون اجراء تعديلات جذريه عليها تعادل الى اصحابها لأجرائها في موعد اقصاه اسبوعين من تاريخ ارسال التعديلات المقترحة الى المؤلف اما اذا كنت التعديلات طفيفة فتقوم هيئه التحرير بإجرائها.

تبذل هيئه التحرير الجهد اللازم لإتمام عمليه التحكيم من متابعه اجراءات التعديل والتحقق من استيفاء التصويبات والتعديلات المطلوبة حتى التوصل الى قرار بشأن كل بحث مقدم من قبل النشر بحيث يتم اختصار الوقت الازم لذلك الى أدني ممكن.

في حاله عدم مناسبه البحث للنشر تقوم الدورية بأخطار الباحث بذلك، اما بالنسبة للبحوث المقبولة والتي اجتازت التحكيم وفق الضوابط العلمية المتعارف عليها واستوفت قواعد وشروط النشر بالمجلة فيمنح كل باحث افاده بقبول بحثه للنشر.

البحوث والدراسات العلمية

تقبل الاعمال العلمية المكتوبة باللغتين العربية والإنجليزية التي لم يسبق نشرها وتقديمها للنشر في مجله الكترونيه او مطبوعة اخرى.

يجب ان يتسم البحث العلمي بالجودة والأصالة في موضوعه ومنهجه وعرضه متو افقا مع عنو انه.

التزام الكتاب بالأمانة العلمية في نقل المعلومات و اقتباس الافكار وعزوها لأصحابها وتوثيقها بالطرق العلمية المتعارف عليها.

اعتماد الاصول العلمية في اعداد وكتابه البحث من توثيق وهوامش ومصادر ومراجع مع الالتزام بعلاقات الترقيم المتنوعة.

اعطاء مساحة واسعة للتحليل والاستنباط والقراءات الفكرية والتوقعات المستقبلية بالنسبة للموضوعات التي تأخذ بعدا تاريخيا سياسيا.

ارشادات المؤلفين (الاشتراطات الشكلية والمنهجية)

ينبغي الا يزيد حجم البحث على ثلاثين 30 صفحه ولا يقل عن 12 صفحة حجم A4 ،مع الالتزام بالقواعد المتعارف عليها عالميا بشكل البحوث بحيث يكون المحتوى حسب التسلسل ملخص مقدمه موضوع البحث خاتمه ملاحق الاشكال الجداول الهوامش المراجع

عنوان البحث

يجب ان لا يتجاوزعنوان البحث عشرين 20 كلمه وان يتناسب مع مضمون البحث ويدل عليه او يتضمن الاستنساخ الرئيسي.

نبذه عن المؤلف والمؤلفين

يقدم مع البحث نبذه عن كل مؤلف في حدود 50 كلمه تبين اخردرجة علمية حصل عليها واسم الجامعة والكلية والقسم التي حصل منها على الدرجة العلمية والسنة والوظيفة الحالية والمؤسسة او الجهة او الجامعة التي يعمل لديها والمجالات الرئيسية لاهتماماته البحثية مع توضيح عنوان المراسلة العنوان البريدي وارقام التليفون الموبايل الجوال والفاكس.

صورشخصية

ترسل صوره واضحة لشخص الكاتب لنشرها مع .

ماذص البحث

يجب تقديم ملخص باللغة الانكليزية للبحوث والدراسات باللغة العربية في حدود 100 الى 150 كلمة، اما البحوث والدراسات باللغة الإنجليزية يرفق معها ملخص باللغة العربية في حدود 150 الى 200 كلمة.

الكلمات المفتاحية

الكلمات التي تستخدم للفهرسة لا تتجاوزعشره كلمات يختاره الباحث بما يتواكب مع مضمون البحث وفي حاله عدم ذكرها تقوم هيئه التحرير باختيارها عند فهرسة المقال وادراجه في قواعد البيانات بغرض ظهورالبحث اثناء عملية البحث والاسترجاع على شبكه الانترنيت.

مجال البحث

الإشارة الى مجال تخصص البحث المرسل العام والدقيق.

المقدمة

تضمن المقدمة بوضوح دواعي اجراء البحث والهدف وتساؤلات وفرضيات البحث مع ذكر الدراسات السابقة ذات العلاقة.

موضوع البحث

يراعي ان تتم كتابة البحث بلغة سليمه واضحه مركزة، وبأسلوب علمي حيادي وينبغي ان تكون الطرق البحثية والمنهجية المستخدمة واضحه وملائمه لتحقيق الهدف وتتوفر فيها الدقة العلمية مع مراعاه المناقشة والتحليل الموضوعي الهادف في ضوء المعلومات المتوفرة بعيدا عن الحشو تكرار السرد.

الجداول والاشكال

ينبغي ترقيم كل جدول شكل مع ذكر عنوان يدل على فحواه والإشارة اليه في متن البحث على ان يدرج في الملاحق ويمكن وضع الجداول في متن البحث اذا دعت الضرورة الى ذلك., وبالنظر الى ان المجلة في الجانب الفني تنظم على عمودين لذا نرجو من الباحثين تنظيم الجداول والرسوم بما يتناسب ذلك او وضعها كمرفقات في نهاية البحث.

خاتمة البحث

تحتوي على عرض موضوعي للنتائج والتوصيات الناتجة عن محتوى البحث على ان تكون موجزه بشكل واضح ولا تأتي مكرره لما سبق ان تناوله الباحث في اجزاء سابقه من موضوع البحث .

الهوامش

تنظم الهوامش بطريقة الكترونية ويكون الهامش بتسلسل اسفل كل صفحة بالنسبة لدليل شيكاغو. ووفقا للالية المعتمدة في اسلوب APA.

تعتمد المجلة في تنظيم الهوامش اسلوبين الاول دليل شيكاغو والثاني APA)).حجم ونوع الحروف,

مراعاة التنظيم الالكتروني والفني للبحث وفق ما يلي:

نوع الحرف المطلوب sakkal Majalla وبحجم 20 بخط عريض للعنوان وحجم 18 عادي للمتن وحجم 14 عادي للهوامش، وتكون هوامش الصفحة من جميع الجهات 2 سم.

عروض الكتب

تنشر المجلة المراجعات التقييمية للكتب العربية والأجنبية حديثه النشر.

يجب ان يعالج الكتاب احدى القضايا او المجالات التاريخية المتعدة ويشتمل على اضافه علميه جديده.

يعرض الكتاب ملخصا و افيا لمحتويات الكتاب مع بيان اهم اوجه التميزواوجه القصورو ابراز بيانات الكاتب كامله في اول عرض اسم المؤلف المحقق المترجم الطبعة الناشر مكان النشر سنه النشر السلسلة عدد الصفحات .

الا تزيد عدد الصفحات العرض عن ستة صفحات.

عروض الاطاريح الجامعية

تنشر الدورية عروض الاطاريح الجامعية رسائل الدكتوراه والماجستير التي تم اجازتها بالفعل ويراعي في الموضوعات المعروضة ان تكون حديثه وتمثل اضافة علمية جديدة في احدى حقول الدراسات التاريخية والعلوم ذات العلاقة. وخاصة التي تعالج موضوعات فكرية تاريخية تسهم في وضع اطار نظري لمدرسة تاريخية جديدة.

ابراز البينات كما وردت في اول العرض اسم الباحث اسم المشرف الكلية الجامعة الدولة سنه الإجازة.

ان يشمل العرض على مقدمة لبيان اهمية موضوع البحث مع ملخص لمشكلة موضوع البحث وكيفية تحديدها.

ملخص لمنهج البحث وفروضه وعينته وادو اته وخاتمة لاهم ما توصل اليه الباحث من نتائج.

ولا تزيد عدد صفحات عرض الاطروحة او الرسالة عن 8 صفحات.

تقارير اللقاءات التعليمية

ترحب المجلة بنشر التقارير العلمية عن الندوات والمؤتمرات والحلقات النقاشية سينمار الحديثة الانعقاد والتي تتصل موضوعاتها بالدراسات التاريخية والاجتماعية والانسانية.

يشترط ان يغطي التقرير فعاليات اللقاء نوه مؤتمر ورشه عمل سينمار مركزا على الابحاث العلمية واوراق العمل المقدمة ونتائجها واهم التوصيات التي يتوصل اليها اللقاء.

لا تزيد عد صفحات التقرير عن 6 صفحات.

قواعد عامة

ترسل كافه الاعمال المطلوبة للنشر بصيغه وورد, ولا يلتفت الى اي صيغ اخرى .

المساهمون للمرة الاولى من اعضاء هيئه التدريس بالجامعات يرسلون اعمالهم مصحوبة بسيرهم العلمية وفقا أحدث نموذج مع صورة شخصية واضحة.

ترتيب الابحاث عند نشرها في المجلة وفق اعتبارات فنية لا علاقة لها بمكانة الباحث او قيمة البحث.

حقوق المؤلف

المؤلف مسئول مسئوليه كامله عما يقدمه للنشر بالمجلة وعن توفر الأمانة العلمية به سواء لموضوعه او لمحتواه ولكل ما يرد بنصه وفي الاشارة الى المراجع ومصادر المعلومات.

جميع الآراء والافكار والمعلومات الواردة بالبحث تعبر عن راي أحد غيره وليس للمجلة او هيئة التحرير ايه مسئوليه في ذلك.

ترسل المجلة لكل صاحب بحث منشور نسخة الكترونية متكاملة للعدد الصادر يحق للكاتب اعاده نشر البحث بصوره ورقيه او الكترونيه بعد نشره في المجلة دون الرجوع لهيئة التحرير ويحق للمجلة اعاده نشر المقالات والبحوث بصوره ورقية لغايات غير ربحية دون الرجوع للكاتب.

يحق للمجلة اعاده نشر البحث المقبول منفصلا او ضمن مجموعه من المساهمات العلمية الاخرى بلغتها الأصلية او مترجمة الى ايه لغة اخرى وذلك بصوره الكترونيه او ورقية لغايات غير ربحيه.

لا تدفع المجلة ايه مكافئات ماليه عما تقبله للنشر فيها وبعد ما ينشر فيها اسهاما معنويا من الكتاب في اثراء المحتوى الرقمي العربي.

الاصدارات والتوزيع

تصدر المجلة الدولية للدراسات التاريخية بشكل دوري فصلي، ومن الممكن ان تصدر شهريا وفقا للأبحاث المقدمة والملفات العلمية.

المجلة متاحة للقراءة والتحميل عبر موقعها الالكتروني على شبكه الانترنيت.

ترسل الاعداد الجديدة الى كتاب المجلة على بريدهم الالكتروني الخاص.

يتم الاعلان عن صدور الدورية عبر المو اقع المتخصصة والمجموعات البريدية والشبكات الاجتماعية.

المراسلات

ترسل الاعمال المطلوبة للنشر الى رئيس التحرير

historical.magazine2015@gmail.com

كلمة العدد

الاتحاد الدولي للمؤرخين وصناعة المستقبل

أ.د ابراهيم سعيد البيضاني

إذا كنا في الاتحاد الدولي للمؤرخين نبحث ونسعى الى ان يكون لنا دورا ايجابيا في تطوير مناهج التاريخ والارتقاء بدور المؤرخ يجب ان نولي الاهتمام بمناهج تدريس التاريخ واعتماد منهج نوعي للدراسات التاريخية، لكي نسهم في صناعة مدرس تاريخ من جهة ومؤرخ من جهة ثانية ونخلق وعي تاريخي من جهة ثالثة.

وكون التاريخ سجل لاحداث الماضي قد عفا عنها الزمن، فاننا نبحث ونفكر ونتطلع الى ان نجعل منه طريقة تفكير في كافة شؤون الحياة والمستقبل، ونهدف الى ان نرسم صورة مستقبلية، ونقدم تقرير تقريبي محتمل لما سيحدث في المستقبل على ضوء تجارب وحقائق التاريخ.

ولكي نصنع تاريخا ونترك اثرا كمؤرخين من خلال مواقف وافكار ونشاطات بان نهئ سبل الارتقاء والتطور ونصنع تاريخا لابد ان نجهز للعوامل والشروط التي تساعدنا في ذلك، ولعل اول شروط ذلك ان نحدد اهدافنا ومنهجنا في التاريخ، ثم نمتلك دراية وفهم وتحليل للاحداث التاريخية، زيادة على ان نمتلك الاليات والادوات والقواعد والاصول التاريخية.

يمكن ان نجعل الاتحاد الدولي صانعا للتاريخ بمقدار ما نقدمه من افكار وقراءات ودراسات تسهم في جعل المؤرخ اداة للبناء وصياغة الحياة من جديد، فالفكر الواعي الثاقب هو سلاح للدفاع وهو اداة للبناء وهو تصور للمستقبل، لذلك فالنشاطات العلمية النوعية كفيلة بان تجعل الاتحاد الدولي للمؤرخين قادرا على توفير الادوات والاليات وقادرا على بناء وصياغة الاصول والقواعد في الفكر التاريخي، وبالتالي صناعة التاريخ وفق اهداف ورؤى محددة.

ISSN:2707-8183

إشكالية فحص الوثائق التاريخية: الوثيقة الرقمية نموذجا

د. عبد الرزاق بنواحي [1]

ملخص المداخلة:

للوثيقة محددات كثيرة، كلها تصب في إرجاع الحقائق إلى مصادرها الرئيسية، وتقابل لفظ Document بالأنجليزية. وتعني بالنسبة للمؤرخ، المرجع الذي يعتمد عليه، في تدوين كتابته التاريخية والسند الذي يعتمد عليه في نقل المعلومة والخبر. وقد تكون ورقية، مثل الوثائق الرسمية والمخطوطات، ومادية كالأحجار والمسكوكات وشواهد القبور... ورقمية مرتبطة بعالم الويب. فهل يمكن كتابة التاريخ بدون وثيقة ؟ وإلى حد يمكن القول أن الوثيقة بريئة من التدخل البشري؟ وكيف يتعامل المؤرخ مع الوثائق الرقمية التي أفرزها التقدم التكنولوجي ؟

هي أسئلة عديدة تر افق أي بحث تاريخي، يروم تنظيم الموروث وإعادة قراءته، من أجل بناء نسق علمي وتاريخي متي. ونحاول من خلال هذه المداخلة الكشف عن العلاقة التي تربط البحث التاريخي بالوثائق على أنواعها، ومحاولة إبرازدور الوثيقة (المخطوطة) في كتابة التاريخ في زمن يلاحظ فيه نفور الباحثين من التحقيق وما يرتبط به من تقنيات. كما أن افتقارنا إلى وثائق كافية عن معظم المراحل التاريخية، راجع بالأساس إلى إهمال مناهج البحث العلمي المرتبطة بدراسة الوثائق واستخراج كنوزها.

وتجدر الإشارة، إلى أن معظم الباحثين اليوم مرهونون بأرشيف الغير، قصد الحصول على المعلومة، من خلال الأرشيف المحكم الذي تتوفر عليه الدو ائر الاستعمارية. مما يطرح إشكاليات صحة الأخبار من عدمها في الكثير منها وإن كانت بعض الحقائق المرة تشفي غليل الباحث الذي يلهث وراء نتائج سريعة.

غير أنه مع تطور تكنولوجيا الاتصال وثورة المعلوميات، بفضل الشبكة العنكبوتية العالمية ، أصبحت الوثائق التاريخية تكتسي أهمية جديدة. وأصبحت تمثل ما يصطح عليه ب" الكم المعلوماتي الرقمي " الذي يصعب التحقق منه لسرعة انتشاره وتقبله. مما يجعل من هذا العنصر تحديا واضحا للمؤرخ ، فيلجأ بالطبع إلى الأرشيف الورقي المحفوظ وغير المتاح للجميع.

آليات الأرشيف الرقمي، تطرح إشكالات كبرى، رغم تسهيل عملية الاستفادة من بعض المعلومات والمنشورات وكذا المخطوطات، التي أصبحت بين أيدي القارئ وهو في مكتبه، دون السفر إليها بلندن أو باريس أو غيرها. وهذه العملية تفرض على المؤرخ أن يكون مسلحا بمعرفة معلوماتية قصد الاستفادة من هذا الأرشيف، وخاصة إتقان اللغات الأجنبية والمعلوماتية (اللغة الإنجليزية) لكونها مفتاح الوثائق الرقمية العالمية وبعض التقنيات المصاحبة لها. ورغم أن هذه العملية مكلفة وباهظة، خاصة بعد دخول الوساطة التسويقية لتحويل هذه العملية العلمية إلى نافذة تجارية، فأن لها نتائج إيجابية على مستوى البحث العلمي من حيث وفرة المعلومات وتنوعها.

لذلك، فإن الوثيقة تمثل عالما خاصا، ينخرط فيه قلة من المهتمين والباحثين، وخاصة المؤرخين المعنيين من أجل صون التراث وحفظه من الضياع، لتكون فو ائدها جامعة وتسهم في توطيد ثو ابت الوطن وتنميته وتثمين تر اثه. وقد تساعد الوثيقة على إجلاء حقائق من صور الماضي مع إبرازفضل الأجيال الماضية على العيش الراهن.

1 باحث في التاريخ المعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة المولى إسماعيل – مكناس.

كما أن الوثيقة الرقمية أصبحت ضاغطة بسبب التطورات والتغييرات المتسارعة، وانتقال العالم إلى مرحلة جديدة من الصراع قد يكون فيها تراثنا ووثائقنا في المحك، وقد يعيش هذا التراث أو يتوقف حسب الاستعداد العلمي والتربوي لأجيال قادرة على الانخراط في الألفيات القادمة.

الكلمات المفتاحية : إشكالية فحص الوثائق التاريخية - الوثيقة الرقمية – آليات الأرشيف الرقمي- الكم المعلوماتي الأصيل أو المتواتر.

The Probleematic of Examining Historical Documents
The Digital Document as a Model

ABSTRAT

The document is divided into the written document, the physical document, such as monuments and digital documents, all of which refer facts to its main sources. It means for the historian a reference on which it is based the historical knowledge .It may be written such an official document, manuscript and unwritten documents such as stones, coins, tombs and others.

So can history be written without a document? Can we say that the document is innocent of human interference? How do we deal with the developments of the digital documents produced by civilization progress?

There are many questions, that may accompany any historical research, aimed at organizing and re-reading the heritage in order to build a distinct scientific and historical knowledge.

Through this intervention, we will talk about the relationship between historical research and documents of all kinds, and try to highlight its role in writing history, and we will talk about the problems caused by the digital document too and its influence on the historian researchers today.

In addition, with the development of communication Technology, historical documents are gaining new importance and represent what is termed as "authentic information" or "frequent information quantities" that are difficult to verify because of its rapid spread and acceptance. This makes this element a clear challenge to the historian who are looking for the truth, of course, resorting to the archive that is not available to everyone.

The mechanisms of the digital archive pose major problems, but they have facilitated the process of benefiting from some information and publications, as well as manuscripts that have become in the hands of the reader while he is in his office without traveling to London, Paris or others. Also, this process imposed on the historian to be armed with knowledge of information in order to benefit from this archive, especially mastery of foreign languages and informatics (the English

language), which is the key to global digital documents and some of the accompanying technologies. Although this process is costly and expensive especially after entering marketing brokerage to turn this scientific process into a commercial window, it has positive results in general.

Therefore, the document represents a special world in which a few interested and researchers, especially historians concerned, are involved in order to preserve the heritage from being lost, so that its benefits are inclusive and contribute to the consolidation of the nation's principles, its development and the value of its heritage.

So, today the digital document has become a technology that has imposed its existence due to the rapid developments and the transition of the world to a new stage of conflict in which our heritage and documents may be at stake. This heritage may live or die. So that's depending of the current generation, if it's ready to engage in the coming millennia.

Key words: Examining historical documents, the physical document - the digital document - 20Support of digital Archives.

تقديم:

اخترنا تسمية هذه المطارحة بإشكالية فحص الوثائق التاريخية، الوثيقة الرقمية نموذجا، للوقوف على أهم الآليات التي تساعد المؤرخ على فحص المعلومات التاريخية من خلال الوثيقة وألوانها عبر محورين. يهم المحور الأول مسار الوثيقة الورقية ومناهج فحصها عبر المراحل التاريخية. كما تم الحديث في المحور الثاني عن ظروف ميلاد الوثيقة الرقمية وبعض جو انبها التقنية، ووقعها على البحث على البحث العلمي عموما وعلى البحث التاريخي بوجه خاص.

الوثيقة اكتشاف مرتبط بظهور تعابير شفوية منذ ظهور الإنسان، تحولت بعد اختراع الكتابة الهيروغليفية إلى ملامح التعبير والتواصل. ثم تطورت، خاصة بعد اكتشاف لفائف من أوراق البردي، صالحة لتثبيت بعض النصوص عليها. كما سمح اكتشاف الطباعة بانتشار الأفكار والثقافة عبر العالم. كما أحدثت الثورة التكنولوجية، خلال العقود الأخيرة، في ميلاد الوثيقة الرقمية وظهور "المجتمع المعلوماتي".

وقد شكلت الوثيقة التاريخية ، قاعدة للمعلومات التي يتم استثمارها كما تؤكد الكتابات التي اهتمت بالمعرفة التاريخية، على أن الماضي هو حقلها ومجالها، عبر نقل الوقائع بصيغ مختلفة إما عبر الرواية الشفوية أو عبر التواتر بصيغة التدوين. فهي من أساسيات البحث التاريخي والأصل الذي يبرهن على وقوع الحدث، علاوة عن كونها مادة أساسية في إرجاع الحقائق إلى مصادرها الأصلية. ولا يمكن اعتبار هذا "الوعاء المرجعي" نصا مقدسا لاعتبارات تهم التدخل البشري في صنعها وتأليفها.

واستطاع العقل البشري التميز بين الأسطوري والتاريخي، بعد جهود علمية ومنهج معرفي، طبعته آليات النقد والفحص العقلاني لما تحويه الوثائق من معلومات و أفكار. وهذا المنهج التاريخي ليس ثمرة زمن واحد وليس نتاج

حضارة معينة أو كما يدعي البعض ثمرة أوربا خلال القرن التاسع عشر، بل هو تفاعلات بين الكتابات التاريخية المتعددة التي تأسست على قواعد وضوابط وتقنيات تعود لزمن بعيد.[1]

وهناك من يعتبر الوثيقة مرآة للتاريخ، باعتبارها مفتاحا لكل التفاعلات التاريخية، التي لا محيد عنها، ولا يمكن الاستغناء عنها في يوم من الأيام. وأصبح المؤرخ الذي يتوفر على الوثيقة هو الأوفر حظا من غيره في استخراج المعلومة وادعاء ملكيتها دون الآخر بسبب الحواجز المضروبة على الوثيقة من طرف الجهات المتحكمة.

إلا أن الوثيقة ، ستعرف تغييرا مضطردا، بسبب الثورة الرقمية التي عرفها العالم على مستويات عديدة مع بداية الألفية الثالثة. فمع تطور تكنولوجيا الاتصال و اتساع ثورة المعلومات، بفضل الشبكة المعلوماتية العالمية، اكتسبت الوثائق التاريخية قيمة تتطلب شروطا جديدة قصد الاستفادة منها. وأصبح الحديث عن التاريخ الرقمي والمؤرخ الرقمي والوثيقة الرقمية. فأين تتجلى إشكالية فحص الوثائق التاريخية وخاصة الوثيقة الرقمية ؟ وماهي التغييرات التي أحدثتها تكنولوجيا المعلومات على الباحث في التاريخ في الجوانب المرتبطة بالاستفادة من الوثيقة من مرحلة المعالجة إلى استنباط الأحكام؟

المحور الأول: ملاحظات حول فحص الوثيقة التاريخية الورقية "الفيزيائية".

أ. تعريف الوثيقة الورقية

تؤكد أغلب الأقلام ، التي اهتمت بالتاريخ، أن الوثيقة هي المادة الأولية للمؤرخ ، بغض النظر عن طبيعتها، وهي موغلة في القدم ولها مميزات وخصائص. وقد عمرت طويلا ولم تسلم أبدا من التدخل البشري وتزوير الحقائق في كثير من الأحيان.[2] ويعبر عنها اليوم بالوثيقة الورقية "الفيزيائية" للفصل بينها وبين الورقة الرقمية التي خضعت لعملية التحول والتطور، فما هي إذن خصائص الوثيقة الورقية التاريخية؟

فالوثيقة في الأصل كائن حي يعيش، إذا توفرت له الظروف الملائمة، وتحمل في طياتها معلومات تختلف من حيث الأهمية على اختلاف العصور والأزمان. وإذا تتبعنا مسارها التاريخي نجد صداها في الكتابات الإغريقية التي يغلب عليها الطابع الأسطوري والخيالي. ومن نماذجها الوثائق المرتبطة بملحمتي الإلياذة والأوديسة لهوميروس، والتي بالرغم من الخيال الذي كانت تسبح فيه ، والمعلومات المشوبة بالخرافات والأساطير، فإن فحصها كشف عن بعض الحقائق التاريخية المرتبطة بالعلاقات التي كانت تربط بين شعوب البحر الأبيض المتوسط وشمال إفريقيا القديم.[3]

ب.آليات فحص الوثيقة الورقية عبر العصور التاريخية

في عهد هيرودوت (ت. 426 ق.م) الذي حظي بلقب "أبو التاريخ" استطاعت الوثيقة أن تتطور ويتم تنقيحها من بعض ماعلق بها من خرافات وأساطير. وقد تم تمحيصها عن كثب في عهد تيوسيديس (ت. 395 ق.م) الذي عاش خلال القرن الخامس ق.م. في حين تميز العهد الروماني بوجود مؤرخين أكثر حماسة لتشويه بعض الحقائق التاريخية

1 - Couzinet Viviane, Le document :leçon d'histoire, leçon de méthode. In: Communication et langages, n°140, 2ème trimestre 2004. Dossier : Du «document numérique» au «textiel». pp. 19-29.

2 – قاسم عبده قاسم، تزوير التاريخ، ضمن مجلة عالم الفكر، المجلد الثالث، يناير – مارس 2008، الكويت، ص.7.

3 – أعشي (مصطفى)، أحاديث هيرودوت عن الليبيين (الأمازيغ) ترجمة وتعليق وشرح: الدكتور : مصطفى أعشي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ص. 19

وخاصة المؤرخ الروماني "تاسيتوس" (ت. 120 بعد الميلاد) حيث تميزت كتاباته بالتحيز والانغلاق والتهجم على شعوب البحر المتوسط خاصة المقاومة منها للاحتلال الروماني.

وفي التاريخ الإسلامي، لعبت الوثيقة دورا أساسيا في الكتابة التاريخية قبل الإسلام حيث اعتبرت المعلقات الشعرية من مصادر المعرفة التاريخية. وقد تم تقييم وفحص هذه الوثائق لكونها تعبر عن الحياة الاجتماعية والفنية عند العرب قبل الإسلام. وتطورت الوثيقة التاريخية بعد البعثة النبوية واعتبر القرآن وكتب السيرة والمغازي من المصادر التي تم الاعتماد عليها خلال تلك الفترة لما تتضمنه من إشارات إلى الأمم الماضية (ملوك، أنبياء، حوادث).[1] وقد ساهمت هذه الوثائق بعد فحصها في اطلاع الخلفاء على سياسة الملوك قصد الاستفادة منها في التدبير والتسيير. وكذا الاطلاع من خلال بعض المصادر على طبيعة الأراضي ومفاهيم الجزية والخراج والعطاء والجند وغير ذلك. وقد برزت في هذا الشأن مدارس تاريخية كالمدرسة اليمنية والحجازية والمدرسة العر اقية والشامية والمدرسة الأندلسية في قرطبة التي اتسمت فيها الحياة الثقافية بازدهار ملحوظ حيث كانت قرطبة تتوفر على مئات الآلاف من الوثائق، التي لم يعرف مصيرها بعد محاكم التفتيش وطرد المسلمين من الأندلس.[2]

ومن الوثائق المهمة في التاريخ الإسلامي، التي تستحق الفحص والدراسة، وثيقة صلح الحديبية (سنة 6ه) التي اعتبرت شروطها مجحفة في حق المسلمين، غير أنها أسفرت عن نتائج مهمة منها فتح مكة و انقلاب الموازين للمسلمين. ونفس الشيء بالنسبة لوثيقة المدينة التي حررها الرسول (ص) بين المسلمين واليهود والو افدين على المدينة. فقد لعبت كذلك دورا رائدا في ثقافة التعايش بين مكونات المدينة. إضافة إلى مراسلات الرسول عليه السلام لملوك وحكام العالم، التي يحتفظ بها التاريخ، كوثائق تتضمن الدعوة إلى معانقة الدين الإسلامي كرسالة عالمية غير مقتصرة على العرب فقط. وهناك وثائق أخرى محفوظة تحمل في طياتها مأساة المسلمين خاصة تلك المرتبطة بالحروب الصليبية وتصفية الوثائق التي لها علاقة بالعلوم الإسلامية التي تم حرقها و إتلافها وسرقة ما تبقى منها.

وفي العصور الوسطى، اتخذت الوثيقة شكلا رسميا ارتبطت خاصة بالكنيسة المتحكمة في حياة الناس. وكان رجال الدين والكهنة يوجهون كل المعارف والعلوم، ولا يمكن البحث عن مصدر المعرفة خارج الكنيسة. كما يعتبر البابا، المصدر الأول لكل المعلومات التي يزود بها المجتمع الوسيطي. مما جعل الوعي التاريخي والموضوعية في الكتابة رهينتان بالمصادقة البابوية. وأصبحت الوثيقة حبيسة دهاليز الكنيسة مما نعت هذه الفترة بعصور الظلام. وكل المؤرخين الذين برزوا خلال هذه الفترة كانوا تابعين للكنيسة وتوجهاتها كالمؤرخ "أوغسطين" الملقب بالمعلم الأول للكنيسة الكاثوليكية التي كان مركزها بإيطاليا.[3]

وخلال فترة النهضة الأوربية، التي اعتبرت مرحلة انتقالية من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة، مثلت الوثيقة التاريخية تلك العملية التي من خلالها تم إحياء التراث و انبعاث الآداب القديمة التي دعا إليها رواد النهضة الأوربية مما سمح بتوسيع حقل التدوين التاريخي خارج الكنيسة وحلول مسؤولية الحكام محل المشيئة الآلاهية. كما مثلت

---

1 – كوثراني (وجيه)، تاريخ التأريخ: اتجاهات – مدارس – مناهج، المركز العربي للأبحاث والدراسات والسياسات، الطبعة الثانية، بيروت، 2013، ص. 81

2 – بنواحي (عبد الرزاق)، الفكر الإصلاحي التحديثي عند محمد لن الأعرج السليماني (1868–1926)، شركة الآداب للطبع والنشر، مكناس، 2019، صص. 165– 177

3 – العروي (عبد الله)، مفهوم التاريخ، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثالثة، الدار البيضاء، 1997، ص. 56

عملية الرجوع إلى التاريخ الإغريقي والروماني القديم عاملا مهما في الاهتمام بالإنسان وسميت هذه العملية بالحركة الإنسية. وقد انتعشت الوثيقة التاريخية خلال هذه الفترة وتعددت مشاربها وتحولت من وثيقة بابوية إلى دراسة وإبداع في المجالات المختلفة. كما توجهت الكتابات إلى مزيد من فحص المعلومات السياسية والإدارية والمدنية والفنية.[1]

أما في عصر الأنوار، وبسبب تطور العلوم الكونية، فقد سجلت هذه المرحلة هجوما واضحا على الكتابات التقليدية، كما تميزت المرحلة بظهور أساليب جديدة في الكتابة ومناهج دقيقة لفحص الوثيقة تعتمد التحليل والنقد. ورغم تقدمها اعترتها بعض العيوب كالدقة في الفحص وعدم استقلالية التاريخ، باعتباره كان يدرس للأمراء وذوي الجاه، وكل الوثائق مرتبطة بالبلاط إلى حين ظهور الفلسفة التي قلبت الموازين المعرفية.

كما خضعت الوثيقة التاريخية، خلال هذه المرحلة، لخطوات منهجية تبدأ بمرحلة الجمع والانتقاء ثم الفحص الدقيق. وكانت في الغالب بعض المدارس، خاصة "الوضعية" منها، تعتمد على نوع معين من الوثائق، كالكتابات الرسمية وتحقيق الوقائع. فمهمة المؤرخ الرئيسية لدى هؤلاء كانت هي التجميع والصيانة والحفظ في الأرشيف. ومحاولة استغلالها بكل تجرد وحياد، على غرار ما كان يدعو إليه المؤرخ الألماني Von Ranke فون رانكة (1795-1886)، مؤسس المدرسة الوضعية التي جعلت من التاريخ بحثا علميا مستقلا بعيدا عن المزايدات الفلسفية.

مما جعله يفرض منهجا نقديا للوثيقة، مع اقتناء كل ماله صبغة رسمية وفحصها فحصا علميا، يعتمد فيه التحقيق والنقد الداخلي من حيث محتوى الوثيقة ومضمونها والتأكد من الوقائع التي تتضمنها. وقد رسم رانكه حدودا للتعامل مع الوثيقة ويرى أن مهمة المؤرخ تنحصر في وصف ما وقع حقيقة في الماضي وليس في تقييمه.[2]

ثم دعا إلى الاعتماد على مقارنة الوثائق، في حالة تعددها، للتأكد بعد تمحيصها من الحدث التاريخي ووضعه في سياقه الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، ومحاولة إقامة العلاقة بين الحدث ومحيطه، وكذا القوانين التي تتحكم في تلك الأحداث قوامها التشابه والتقاطع.

أما سمات الكتابة التاريخية الوضعية، فهي الاهتمام بالوقائع الرسمية، على المستوى العسكري والسياسي والديبلوماسي. مما جعلها تنفرد بالتحليل البسيط ، والتركيز على الشخصيات اللامعة، ومحدودية استعمال الوثيقة، أي التركيز على المشهور ونبذ المهمش. مما جعلها عرضة لانتقادات مدارس أخرى صاعدة كمدرسة الحوليات التي حاولت الاستفادة من أخطاء ومنزلقات المدرسة الوضعية.[3]

ج.مناهج فحص الوثيقة خلال الفترة المعاصرة

كانت عملية فحص الوثائق، لدى الحوليين، تنطلق من الخروج من الدواوين الوزارية والمجالس البرلمانية قصد مباشرة المتغيرات الاجتماعية والبنى الاقتصادية، وتوسيع استعمال الوثائق التي تهم المجتمعات في العمق من أسفل هرمه إلى أعلاه، دون الاقتصار على الطبقات العليا من المجتمع.[4] و ابتداء من ثلاثينيات القرن العشرين، سجل انفتاح

1 –Bloch (Marc) ,La société féodale , Collection ‘L’évolution de l’Humanité’, www.persee.fr , 12/02/2020

2 - Lévy- Dumoulin (Olivier), les Ecoles Historiques à l’épreuve de Gabriel Monod, www.cairn.info , vu le 20/02/2020

3 - Couzinet (Viviane), le document : Leçon d’Histoire, leçon de méthode, in : www.persee.fr , vu le 08/12/2020

4 - Couzinet (Viviane), le document.., op. cit.

الحوليين على العلوم الاجتماعية منهجا ومضمونا باعتبار التاريخ هو موضوع الإنسان. وتميزت عملية الفحص لديهم بالدعوة إلى تكسير الجمود والتخصص الضيق المشهود عند الوضعيين.

وقد مثلت سنة 1929م مرحلة مهمة في إنجاز المشروع الحولي، ليخلص بزعامة لوسيان فيفر (1878-1956) ومارك بلوك (1886-1944م) وفرناند بروديل، فيما بعد، إلى تحقيق الانتقال من النقاش النظري إلى الإنجاز الفعلي. والتعامل مع الوثائق المتنوعة بتقنيات جديدة ، وتكسير عقلية التخصص الضيقة، وفتح مجال التعاون وتبادل الخبرات بين مختلف العلوم الإنسانية.[1]

ومن خصائص الفحص لديهم، اعتبار الكتابة التاريخية قابلة للتجديد والتقدم رافضة للانغلاق منفتحة على كل التخصصات، وهو ماعبر عبر عنه بإلغاء الحدود بين التاريخ والعلوم الاجتماعية وظهور التخصصات الثنائية كالديمغرافية التاريخية، التاريخ الاجتماعي والتاريخ الاقتصادي.. ثم بروز انفتاح آخر يتمثل في استعارة المفاهيم، وتبني المناهج والأدوات المستعملة في العلوم الأخرى. فظهرت تخصصات جديدة في التاريخ ، كالتاريخ الذهني وتاريخ المؤسسات وتاريخ المعتقدات... [2]

وفي نفس السياق، تم الاعتناء بالمقاربات الجديدة كالمنهج الإحصائي والأدوات الأنثروبولوجية ونتائج الأبحاث الأركيولوجية، وتوسيع دائرة المواضيع وأصبح الاهتمام بتاريخ التحولات المناخية وتاريخ الموت والفنون الشعبية والاحتفالات والعقائد الدينية وغيرذلك. مما جعل مهمة المؤرخ الحولي واسعة وشاقة ، تتطلب تركيزا كبيرا فيما يخص جمع المعلومات، وهي مهمة أفقدت للمؤرخ انتمائه الحقيقي وأصبح تائها بين البحث عن التاريخي والسوسيولوجي والديني. فكانت عملية مقاربة الوثيقة تتميز بالتنوع وباستعمال مناهج جديدة في مقاربتها وتحليلها وبالأحرى قراءتها وفحصها.[3]

ومن خصائص مدرسة الحوليات أن لها قابلية أكثر من المدارس الأخرى للانفتاح على كل المناهج والمدارس والموضوعات، وأصبح صدرها رحبا لتقبل المفاهيم الجديدة المستوردة من العلوم الأخرى كالتركيز على المفاهيم والحديث عن البنيات والظرفية واللغة الإحصائية والديموغرافية وغيرها.

كما تبني رواد مدرسة الحوليات لمفاهيم وأدوات وتقنيات وطرق التحليل والاستعانة بالجداول والعينات . وتوسيع استعمال الوثيقة ومفاهيمها وأصبحت تشمل الوثائق الرسمية وغير الرسمية سواء كانت مكتوبة أو غير مكتوبة كالوثيقة البصرية والسمعية والوثيقة التشكيلية ناهيك عن المخلفات الأثرية من نقوش وأواني خزفية ومسكوكات.

وبالتالي فإن هذه المدرسة كانت منفتحة على كل المدارس العلمية التي قد تسهم في توسع مفهوم التاريخ حيث هيمنت على الساحة منذ تأسيسها على جل التخصصات التاريخية خلال العصور القديمة والوسطى والحديثة والمعاصرة والراهنة.[4]

---

1 - Stengers (Jean). Marc Bloch et l'histoire. In: *Annales. Économies, Sociétés, Civilisations*. 8e année, N. 3, 1953. pp. 329-337

2 - Les Annales d'études internationales. In: *Revue internationale de droit comparé*. Vol. 23 N°1, Janvier-mars 1971. pp. 129-130, www.persee.fr, vue le 12/02/2020

3 - Burguière (André). Histoire d'une histoire : la naissance des *Annales*. In: *Annales. Économies, Sociétés, Civilisations*. 34e année, N. 6, 1979. pp. 1347-1359. www.persee.fr , le 11/02/2020

4 - Braudel (Fernand). Les Annales continuent.... In: *Annales. Économies, Sociétés, Civilisations*. 12e année, N. 1, 1957. pp. 1-2.

ومن الوثائق المشئومة ما تضمره الدوائر الاستعمارية للمسلمين من كيد ومكروخاصة منها تلك التي تعبرعن "وعد بلفور" الذي كان سببا في خلق وطن قومي لليهود بفلسطين التي أصبحت اليوم من المناطق المتوترة ومن النقط السوداء في تاريخ الصراع العربي الاسرائيلي. وتعتبرحسب البعض نموذج الوثائق المزورة المبنية على أساطيرمؤسسة للسيطرة الاستعمارية الصهيونية. إضافة إلى نماذج أخرى من الوثائق المشئومة التي أمضتها الحكومات العربية والإسلامية زمن ضعفها كمعاهدات الحماية لبعض الدول المغاربية والاتفاقيات السالبة للحريات ووثائق التجزيء كسايس بيكو وغيرها.[1]

المحورالثاني: ميلاد الوثيقة الرقمية وتطورها

ظهورالوثيقة الرقمية له علاقة بما عرفه العالم، خلال العقود الأخيرة، من تطورات هائلة على المستوى التكنولوجي والتقنيات الرقمية. وتبرزمظاهرذلك، عبرربط العالم بالشبكة العنكبوتية، ذات التدفق العالي، واكتساح الحواسيب والهواتف الخلوية والذكية والألواح حياة الأفراد والجماعات. وقد ساهم فيه بقسط كبير الانفتاح الاقتصادي والعولمة التقنية، كما برزللوجود سلوك مرتبط بالتدوين الصوتي والكتابة عبرمواقع اليوتوب والفيسبوك وتويتر... وقد بدأت تلك التقنيات تغزو شيئا فشيئا كل قطاعات النشاط البشري. فأثرت في سلوك المجتمعات والأفراد سواء على مستوى العادات أوعلى مستوى طريقة تسويق المعلومات عبرالمواقع الإخبارية الإلكترونية.[2]

ولدت الوثيقة الرقمية من رحم الوثيقة الورقية، حيث خضعت لعملية تحويل، غبرآليات الكترونية وتطبيقات مرتبطة بالمعلوميات، التي أصبحت من العلوم المساعدة أو المجاورة للعلوم الإنسانية. بالنسبة لأولئك الذين اعتادوا المكوث بالخزانات الكبرى من أجل البحث والتنقيب في الوثائق الورقية، تغيرت طرائق البحث لديهم، وأصبحوا يعتمدون آليات جديدة تسمى تكنولوجيا المعلومات.[3]

1. ماذا نقصد بالتاريخ الرقمي؟

يستعمل مصطلح التاريخ الرقمي ويراد به، بشكل عام، استخدام أدوات الكمبيوترو الانترنيت في التاريخ، سواء على مستوى الكتابة أو البحث بشكل عام. كما يبدو أن المصطلح يستخدم بشكل أساسي اليوم من قبل الباحثين في المجال عبر تطبيق آليات البحث في المصادر الإلكترونية وتسليط الضوء على "العلوم الإنسانية الرقمية" كعلم تطور بوتيرة سريعة. واحتل مكانة متميزة في التاريخ القديم والوسيط والحديث والمعاصروالراهن. وأصبحت للوثيقة الرقمية وقع في مجالات التاريخ الأكثر ارتباطًا بمفهوم النصوص العظيمة (تاريخ الأدب ، تاريخ العلوم ، وتاريخ الصور كرسم الخرائط التاريخية بطرق رقمية وحديثة تعتمد أبعادا جديدة عبراستعمال برامج وتطبيقات معلوماتية أفرزتها علوم لا علاقة لها بالتاريخ. وهي علوم استفاد منها المؤرخ الرقمي وأصبحت له اهتمامات إضافية لا خيارله في تعلمها ومعرفة آلياتها.[4]

---

1 – عبد المالك خلف التميمي، الشك في الوثائق الرسمية: الوثائق البريطانية عن منطقة الخليج العربي نموذجا، مجلة عالم الفكر ، نفس المرجع السابق، ص. 25

2 – نفس المرجع السابق، ص.63.

3 - Frédéric Clavert & Caroline Muller, Le Goût de l'Archive à l'ère numérique, in : www.persee.fr, vu le 16/02/2020

4 - Dietmar Schenk, Pouvoir de l'archive et vérité historique, Traducteur : Philippe Forget, in : Open Edition Journals, CNRS Editions, vu le 12/02/2020

وأصبح المؤرخ الرقمي اليوم يستخدم باستمرار تكنولوجيا المعلومات للوصول إلى المراجع والمصادر والأبحاث المجانية والمؤدى عنها، والتواصل مع الزملاء، والطلبة الباحثين عبر الدراسة عن بعد التي أصبحت من مظاهر الثورة التكنولوجية والمعتمدة في عدد من الجامعات والكليات والمؤتمرات، وقد واكب الثورة الرقمية دراسات نظرية حول استعمال الرقمنة في الأبحاث التاريخية خلصت إلى نتائج يمكن تلخيصها في طبيعة سلوك الكتاب ونشر الأعمال على الويب ومدى قابليته لدى المهتمين على المستوى العملي .

فهناك مثلا، حالة المؤلفين في مواجهة رقمنة النصوص والمضامين وأشكال الكتابة الجديدة على الويب، فعلى مستوى فرنسا مثلا فقد سجل تطور سوق الكتاب الرقمي لكن سلوك القارئ والمتلقي اتجاهه لازال ضعيفا بالمقارنة مع الكتاب الورقي.[1]

كما تبين كذلك أن أعمال الرقمنة في هذا المجال تصل بدرجات متفاوتة بحيث أن أشكال الحضور على الويب تبدو في الدول المتخلفة محتشمة لقلة الإقبال على القراءة بصفة عامة. وأن الحضور الهائل للبحث الرقمي تعرفه بعض القطاعات المتخصصة خاصة تلك المرتبطة بالعالم الخارجي على مستوى التعامل وتبادل المعلومات. ومجالات الخبرات والاستشارات المالية والاقتصادية وغيرها. أما على مستوى البحث العلمي فهناك مجهودات قائمة تتضمن أشكال التكوين في المختبرات العلمية على المستويات المختلفة، علاوة على الاعتماد على بعض المو اقع الالكترونية المتخصصة في التاريخ والاستفادة منها بدون مقابل، أو عبر الانخراط الشخصي للباحث من أجل الحصول على بعض المقالات والكتب والمجلات أو الاطلاع على محتوياتها بمقابل.[2]

2. آليات الانتقال من الوثيقة الورقية إلى الوثيقة الرقمية وانعكاساتها

أ. المؤرخ والآليات الرقمية

لقد ساهمت التقنيات الجديدة المرتبطة بعالم الويب والالكترونيات بتغيير العلاقة بين المؤرخ والوثيقة. وأصبح الانخراط في العالم الرقمي قد أضاف عناصر جديدة للبحث أضفت في مجملها صيغا فنية وبرزت إلى الوجود عناصر ساهمت في ظهور ما سمي ب"الذاكرة الجديدة" يشوبها التوتر خاصة أثناء مرحلة الفحص لكونها تعتمد آليات جديدة غريبة عن المؤرخ.

وقد أثار كتاب الفرنسية أرليت لافارج (Arlette lafarge)[3] والمعنون ب "طعم المحفوظات في العصر الرقمي"[4] حفيظة المهتمين بالتاريخ الرقمي الذي أرخى بظلاله على البحث التاريخي، معتبرة مرحلة الجلوس في الخز انات الكبرى

---

1 – ريمي ريفيل، الثورة الرقمية ، ثورة ثقافية ، مرجع سابق، ص، 96

2 - Jacquesson (Alain) et (Rivier) Alexis, Bibliothèques et documents numériques Concepts, composantes, techniques et enjeux, ÉDITIONS DU CERCLE DE LA LIBRAIRIE, Qebec, p : 329

3 - Artières (Philippe), L'historien face aux archives , in : www.cairn.info, vue le 18/02/20120

4 – في سنة 1989 دشنت المؤرخة الفرنسية Arlette Lafarge مجالا جديدا في البحث التاريخي بعد إصدار كتابها حول طعم الأرشيف" Le Gout de l'Archive" مبرزة فيه أن دراسة الوثائق والمحفوظات التاريخية تعرف انتقالا سلسا إلى العالم الرقمي.

والاستمتاع برائحة المحفوظات والأرشيف والعادات المرافقة لتلك العمليات، سوف تتغير وتبدأ مرحلة جديدة لها سمات مغايرة ومخالفة للمرحلة الورقية ومايرتبط بها من آليات.

وقد بدأت المرحلة الرقمية بتحليل الصورة كمرحلة أساسية في عملية الرقمنة للمخطوطات القديمة، هذه العملية من شأنها إعادة الاعتبار للوثيقة بتنقيتها من الشوائب ومنحها صورة أفضل مما كانت عليه في الأصل. وتمر هذه العلمية من مرحلة التهيء تم التحليل والخضوع للتقنيات الأساسية التي تهم خاصة المخطوطات القديمة في حالة مزرية.

كما تغيرت عملية الفحص، من حيث سهولة البحث عن المعلومات التي تقدمها محركات الويب الرئيسية، وغيرت بدورها من سلوك المؤرخ في علاقته مع الأرشيف ومع محيطه الثقافي. مما سهل عملية التواصل الأكاديمي، التي تتيحها الشبكات الاجتماعية الرقمية، التي تطورت بين وسائط التنشئة الاجتماعية والباحثين في مختلف العلوم الإنسانية، ومنها التاريخ.[1]

ب. خطوات الانتقال إلى العالم الرقمي

فيما يخص الخطوات التي تم نهجها، من أجل الانتقال من العالم الورقي إلى الرقمي، فقد بدأت في البداية من طرف المؤرخ داخل قاعات المطالعة. حيث يوفر النظام الداخلي للمحفوظات والأرشيف الفرصة للعمليات الآتية:

1. التقاط الصور في الخزانات والمكتبات أو قاعات المطالعة وتثبيتها على أقراص مدمجة، ثم بعد ذلك قراءتها وفحصها على شاشة حاسوب بعد العودة إلى المنزل. وتتكرر هذه العملية بشكل روتيني وذلك لصعوبة الحصول على بعض الوثائق المهددة بالإتلاف. وتنفيذا لمقتضيات القانون الداخلي للخزانات ودور الأرشيف التي لا تسمح بإخراج بعض الوثائق لاعتبارات تهم ندرتها وأهميتها كذلك.
2. استخدام الأرشيف الرقمي عبر شبكة الانترنت والمتاح على منصات عديدة سواء تعلق الأمر بمواقع الكترونية صممت لهذه الغرض العلمي كمواقع خاصة بالتاريخ للمكتبة الوطنية بباريس، خاصة موقع كاليكا Gallica الذي يزود الباحث بعدد هائل من الكتب التاريخية حول التاريخ المغاربي.
3. الحوار المتبادل بين المؤرخ والمنتمين لوحدته البحثية على مستوى شبكات التواصل الاجتماعي (تويتر- فيسبوك- واتساب- إيميل..ألخ) وقد تودي هذه العملية إلى تعميق المعرفة العلمية وتطوير أساليب التواصل بين مكونات البحث التاريخية على علتها.
4. التدريس عن بعد الذي أصبح من المهمات التي اختارتها الجامعات في العالم من أجل تحقيق استراتيجية التعليم الإلكتروني تماشيا مع التطور الرقمي العالمي.

3. الوثيقة وتحديات التواصل الرقمي.

يمكن التمييز بين أربع مراحل أساسية في طرق التواصل، تتميز المرحلة الأولى بعمقها التاريخي المحددة بنحو أربعة آلاف سنة قبل الميلاد وتميزت تلك الفترة باختراع الكتابة التي شكلت أساس التواصل مع محيطه ومجاله. فغيرت من سوك الإنسان وعلاقته بالماضي، في حين تعتبر مرحلة القرن الثالث بعد الميلاد عرف العالم ثورة ثقافية لاكتشاف لفافات تتكون من أوراق مطوية تربط فيما بينها بخيط . ويتم اللجوء إليها كلما دعت الضرورة للاطلاع على مضمونها،

1 - Frédéric Clavert & Caroline Muller, Le goût de l'archive à l'ère numérique, www. Persee.fr, vu le 19/20/2020

ومن هناك أخذت شكلا أطلق عليه اسم الوثيقة. تحمل هوامش وحواشي وباستطاعة المرء القراءة فيه والكتابة أيضا. ويميز داخل هذا الكتاب (المخطوط) بين فقرات ونصوص قابلة للمراجعة والاطلاع.[1]

أما المرحلة الثالثة فهي التي تم فيها صناعة الطباعة وذلك خلال مرحلة من مراحل التطور الأوربي، تلتها بعد ذلك تطوير هذا الاكتشاف زمن النهضة الأوربية وميلاد الحركة الإنسية على يد غوتنبورغ وبسببه توسعت أفكار جديدة خلال تلك المرحلة، و اتخذ التواصل أشكالا جديدة بالاعتماد على الكتابة على أحرف آلية عوض النسخ باليد. واكتست الوثيقة حلة جديدة لكنها لم تقض نهائيا على مرحلة النسخ باليد التي بقيت منتشرة في العالم إلى حدود العقود الأخيرة .أما المرحلة الر ابعة فهي التي نحن بصددها وتتميز بتطور التواصل الإلكتروني الذي غير من علاقتنا مع الكتابة.

فالسرعة التي أتاحتها الانترنيت، حولت الكتابة إلى مراحل متقدمة بمحركات بحث سريعة وفعالة. مما حول النص الإلكتروني إلى نص قابل للتغيير على جميع الاتجاهات وكذا استعمال تطبيقات حديثة لإخراجه في صورة ذات جودة. ويمكن كذلك إرساله عبر تطبيقات التواصل في حينه وإخراجه ونشره ضمن نشرات على الويب على شكل كتاب أو تعليق.

كما أصبحت هذه النصوص المكتوبة، التي يتم حفظها في ملفات مستقلة، تشكل تلك الوثيقة الرقمية الحديثة ، التي يجب التفكير في تأطيرها لتصبح يوما هي الذاكرة والتاريخ. وقد ر افق هذه العلمية تغييرات مهمة على مستوى العلاقة بين المؤرخ والوثيقة عبر استعمال التقنيات الرقمية والمحركات الالكترونية (المتصفح الاكتروني، محرك البحث، برمجيات التصفح، الترجمة...)

وقد نبه كثير من المتخصصين إلى بعض الأخطار التي تحيط بالوثيقة الرقمية، لكونها مفتوحة على مصراعيها في عالم، لا تتوفر فيه وسائل الوقاية أو التأمين. وأصبحت البحوث العلمية مهددة بالاختلاس والسرقة، من قبل سماسرة الثقافة والبحث عن المعلومات المجانية، رغم وجود مضادات للفيروسات، التي بدورها مكلفة وغير آمنة. فالقراءة الرقمية تتسم بالسرعة الفائقة، كما أن البحث في عالم الويب قد يصيب صاحبة ب"التخمة المعلوماتية" وأن الاستفادة من بعض المو اقع المهمة قصد الاطلاع على بعض الكتب والمجلات الوازنة تتطلب واجبات الانخراط لباهظة الثمن.

وتتجلى استفادة المؤرخ من التقنيات الرقمية، في كون المراجع والمصادر التي يعتمدها لها تقنياتها الخاصة، والإحالة على بعض المقالات الواردة في بعض المو اقع المميزة أمر يحتاج إلى مزيد من تعميق البحث. كما أن الوثيقة الرقمية تختلف كثيرا عن الورقية باعتبار هذه الأخيرة تبقى هي أصل الأشياء وأن استعمال الآليات الالكترونية هي وسائل لتسهيل عملية البحث التاريخي. كما أن النخبة العربية غير مقتنعة في كثير الأحيان بقيمة الأبحاث المقدمة من طرف الباحثين خاصة في التاريخ. وتفضل السفر إلى محفوظات العالم من أجل الحصول على الوثائق الورقية . أما عملية طبع الكتاب الورقي فله أفضلية على الكتاب الالكتروني، يتضح ذلك خاصة على مستوى المعارض الدولية. مما دفع أصحاب الاختيار الإلكتروني إلى تحويل كتبهم من الرقمي إلى الورقي نتيجة عدم اقتناع الجمهور العربي بجدوى الكتاب الإلكتروني.

خاتمة

1 – ريمي ريفيل، الثورة الرقمية ... مرجع سابق، ص. 106.

يمكن القول إن الوثيقة لا تعبرعن نفسها، فهي تعكس مصالح وآمال ومخاوف المؤرخ. وما يستمده من هذه الوثائق من معلومات تعكس و اقعا في الماضي ولكن التحليل هو الذي يتجدد دوما. فكل جيل يمكن أن يكون له تفسيره الخاص لمضامين الوثائق والمحفوظات، وله كامل الصلاحية العلمية والمنهجية في بناء رؤيته للماضي، دون تغيير نص الوثيقة المعتمدة في الدراسة.

كما يمكن للمؤرخ أن يشك أو يعارض أو يهاجم أو أن يفكك ببساطة وبأدوات منهجية علمية منطق النص الذي جاء قبله، ولكن لا يمكنه أبدا التصرف فيه أو تغييره. وهذا معناه أن لكل جيل الحق في كتابة تاريخه الخاص بناء على أسس علمية ولا يمكن بحال من الأحوال تغيير الحقائق على نحو خاص.

ولا تشكل الوثيقة الرقمية تهديدا للوثيقة الورقية، مهما تقدم البحث التاريخي، ومهما تطورت آليات الاستفادة مما هو موجود ومتاح من المحفوظات، باعتبار أنها خرجت من رحمها وتعتبر مرحلة من مراحل إحياء الوثيقة مع الحق في حماية المعلومات التي تتضمنها طبقا للقو انين الجاري بها العمل.

ولمواكبة العصر الرقمي فإن المؤرخ مطالب بتغيير رؤيته للوثيقة واعتبار المراجع الرقمية والمو اقع التاريخية على شبكة الويب من المصادر التي يمكن الاعتماد عليها في البحث التاريخي. ولا يمكن أن يتأتى له ذلك ، إلا بالانخراط الكلي في العالم الرقمي، مع تواضعه من أجل تعلم بعض التقنيات المواكبة لتطور الرقميات، أعلاها المعرفة بمستجدات عالم الويب وما يجري فيه من سرعة وتطور على مستوى نقل المعلومة التي فرضت نفسها على الباحث المعاصر، وأدناها حسن استعمال الحواسيب والهو اتف الذكية، وما يرتبط بها، باستخلاص النصوص والوثائق وحسن فحصها.

إن الإقبال على الوثيقة الرقمية اليوم يقتصر فقط على عينة من الباحثين في التاريخ، سيما تلك الفئة المنفتحة على عالم الانترنيت نظرية وتطبيقا، ولازالت خطوات الإقدام على الاستفادة من بعض المو اقع التاريخية الالكترونية تعرف نوعا من التقاعس والتردد مما يفوت الفرصة على هؤلاء من الاستفادة من المعلومات المبسوطة في مو اقع الخز انات العالمية.

صحيح ، لقد غيرت هذه المو اقع الرقمية من سلوك المؤرخ نحو الوثيقة ومنهجية فحصها، بالرغم مما تفرضه من تحديات تتمثل في المخاطر المحيطة بهذه العملية قد تتحول يوما فريسة بيد الهاكرزومجرمي عالم الويب، لكن كذلك قد أسهمت هذه العملية الرقمية في تسريع وتيرة البحث العلمي و انتشار المعلومة بشكل واسع في العالم.

ISSN:2707-8183

أهمية العلاقة بين التاريخ وعلم الأنثروبولوجيا في التأريخ للمجتمعات الإنسانية " كتابات العسكريين الفرنسيين حول المجتمع الصحراوي الجزائري إبان الاحتلال"

الاستاذ المحاضر الدكتورة حباش فاطمة

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية/ جامعة ابن خلون _ تيارت_

الملخص:

على اعتبار أن الأنثروبولوجيا علم يدرس الإنسان على كل المستويات بدء بالجانب الثقافي والاجتماعي، نهيك عن تصرفاته وسلوكاته وحتى أفكاره ومعتقداته، بحيث يتتبع تطوره الحضاري فالأكيد أنه يعتمد ويستند على التاريخ في استنتاج تلك السلوكيات على مستوى الحاضر باستحضار لحياته في الماضي، إذن يمكن القول أن المجتمعات الإنسانية في حاضرها تستوجب توظيف علم التاريخ وما يوفره المؤرخون في كتاباتهم من معلومات وتحليلات.

ونحن هنا في هذا الطرح نحاول دراسة العلاقة بين العلمين من خلال وضع إسقاط على المجتمع الجزائري وتحديدا الصحراوي منه إبان الفترة الاستعمارية، واستخلاص الطبائع الاجتماعية والثقافية والعقائدية وحتى المادية، وفك رموزه وموروثة من خلال كتابات المستكشفين والعسكريين الذين كلفوا بحملات استكشافية إلى الصحراء خدمة للمشروع الاستعماري، وتثبيت الاحتلال وإحكام سيطرته على القبائل من خلال معرفة نقاط قوته وضعفه، من هنا نقول هؤلاء انطلقوا في مهمة ذات طابع سياسي ولكن في نفس الوقت لها طابع استكشافي استقرائي للمجتمع الصحراوي ومحاولة فك رموزه في كل المجالات بدء من البيئة الجغرافية، والطبيعية، والبيئة الاجتماعية من العادات والتقاليد والعلاقات الاجتماعية بين العشائر والقبائل، ومعرفة خصوصية هذا المجتمع باختلاف سكانه من بدو أو قصوريين من سكان الواحات خدمة وتثبيتا للوجود الاستعماري، وهذه الكتابات تشكل في الوقت الراهن أرضية للدراسات الأنثروبولوجية حول المجتمع الصحراوي الحالي بالجزائر وذلك بالارتكاز على رصيدا من المعلومات المسجلة في الماضي، وبالتالي عقد مقارنة لاستنتاج التغيرات التي طرأت عليه.

وللإشارة النموذج الذي سنعتمده في الدراسة كما أشارت له سابقا هو كتاب أحد العسكريين الذي اشتهر بتأليفه حول الصحراء والحياة الاجتماعية والدينية في الجزائر يدعى الجنرال ترومليTrumlet وكتابه " Les Français dans le désert" والصادر سنة 1885 عن دار النشر CHallamel Ainé.

The Importance of the Relationship between History and Anthropology in the Human Societies History

The French Military's Production about the Algerian Desert community during the Occupation Period

Abstract

Since Anthropology is a science that interests in humanity study at all different aspects: cultural, social,…focusing on the humans' behaviors, thoughts and beliefs, attempting to understand their civilization evolution, it certainly depends on History to infer these behaviors in the present by invoking their past. Therefore, the study of societies requires employing the science of history and exploiting the information and analysis provided by historians in their writings.

In this regard, the present paper attempts to study the relationship between Anthropology and History through an examination of the Algerian desert (Saharan) society, during the colonial period. Moreover, the study seeks to understand the social, cultural, ideological and even physical natures of people through the writings of explorers and soldieries who did some exploratory campaigns to the desert to serve the colonial plan which aimed at covering and expanding the occupation. Accordingly, through this political mission that had other objectives, they could understand the social environment of the desert people, getting information about their traditions, and social relations between clans and tribes. They could also know their privacy in terms of the population, including Bedouins, palaces inhabitants or oases inhabitants. In fact, these writings present at the present time a basis for anthropological studies about the current desert society in Algeria, based on the information recorded in the past and that allowed to conclude its changes through time.

To conduct this research, the researcher refers to the French General Trumlet 's book entitled " *French in the Desert*", published in 1885 by Challamel Ainé House. The author was so known in writing about the social and religious life in Algeria.

تمهيد:

شكلت كتب الرحلة بمختلف أنواعها سواء كانت علمية، أو جغرافية استكشافية، أو سياسية ذات طابع عسكري أو إداري رسمي إحدى مصادر الكتابة التاريخية، بحيث يمكن من خلالها التأريخ لمجتمعات بشرية في فترات زمنية مختلفة، مما يسمح بالوصول إلى دراسة منوغرافية شاملة لتاريخ المجتمعات سياسيا، واجتماعيا، وإقتصاديا، وحتى جغرافيا في سياق تاريخي.

ونحن في هذه الدراسة بصدد دراسة أحد النماذج من الدراسات، وهي تندرج ضمن الرحلات الإدارية الرسمية التي تم تدوينها عسكري من الإدارة الأهلية النقيب ترومليTrumlet الذي أرخ لمسار رحلة القائد الأعلى لقسمة معسكر دريو Durrieu، الذي انطلق من معسكر في 1853/12/31 باتجاه ورقلة بالجنوب الغربي في مهمة إدارية تقضي بتنظيم منطقة ورقلة وجعلها أغوية إدارية تابعة للسلطة الفرنسية . إذن سنحاول قراءتها قراءة علمية وفق منهج سنوضح من خلاله القيمة العلمية لهذه الرحلة من جهة في مجال التأريخ لمجتمعات المنطقة الصحراوية بالجزائر خلال فترات مختلفة، ومن جهة أخرى كيفية الاستفادة منها في بناء دراسة أنثروبولوجية للمجتمع الصحراوي في زمن الحاضر، وبالتالي الاجابة على الإشكالية الأتية: " ماهي أهم الملامح التي يمكن استخلاصها عن المجتمع الصحراوي من التدوين العام لمسار رحلة القائد دريو؟، وإلى أي مدى كان مضمونها عاملا مساعدا للمد الاستعماري الفرنسي بالصحراء، وفي نفس الوقت رصيدا معرفيا في تاريخ المجتمعات الإنسانية الصحراوية يستعين به علم الأنثرووولوجيا؟ "

للإجابة على هذه الإشكالية اعتمدنا خطة علمية شملت العناصر الآتية:

_ الأنثربولوجيا والإيديولوجية الاستعمارية

_ لمحة عن المؤلف ومحتوى الكتاب

_ القيمة العلمية ولمحات عن المجتمع الصحراوي من خلال الرحلة

_ استقراء أهم نتائج الدراسة

1_ الأنثربولوجيا والإيديولوجية الاستعمارية:

لعل من نتائج التطور الذي العالم الغربي وتحديدا الأوربي على خلفية النهضة مع القرن 16، ثم الثورة الصناعية في القرن 18، قد أحدث نوعا من التحول الفكري بأوربا، فحصل تغير سياسي واقتصادي، وحتى اجتماعي، وتعداه إلى الفكر السياسي الذي تبلور على إثرهما ظهور الإيديولوجية الاستعمارية ونموها

بين أحضان الساسة وزعماء الدول الأوربية، فأصبحوا يتطلعون إلى السيطرة على شعوب خارج مجال أوربا، والبحث عن مستعمرات جديدة بين مجتمعات بدائية حسب اعتقادهم، بحاجة لبعث وتطور على أيديهم.

إذن مع تجسد وترسخ فكرة الاستعمار في أذهان الأوربيين ظهر نوع من التنافس الاستعماري بين الدول الأوربية، وزادت مع ذلك الرغبة في دراسة ومعرفة المجتمعات وفك رموزها وأسرارها فيما يخص العادات والتقاليد، الأعراف، العلاقات الاجتماعية، ومظاهر تطورها، وعليه فقد استدعى الأمر إلى إشراك الجميع لتحقيق الهدف، ومنهم الرحالة الجغرافيين والمستكشفين تميزوا بأدوار مهمة من خلال البعثات الأولى التي انطلقت من أوربا على نفقة الحكومات والملوك، تحملوا عناء استكشاف المجتمعات البدائية عن طريق الاحتكاك بتلك الشعوب والتعرف عليهم، وعليه جمع معلومات حول عاداتهم ومعتقداتهم وحضارتهم لأجل المهمة الاستعمارية[1].

من هنا وخلال هذه الفترة نجد معرفة المجتمعات والبحث فيما يخص الإنسان التي كانت موجودة منذ القدم[2] ولغاية سياسية اقترنت بالنزعة الاستعمارية، ترسمت كعلم قائم بذاته عرف ب " الأنثربولوجيا" منذ منتصف القرن 19، يبحث فيما يتعلق بالإنسان، وسلوكياته، وإنتاجه الفكري، والحضاري، والعقائدي، يتتبع التغيرات والتطورات الحاصلة بين الماضي والحاضر، خدمة للحركة الاستعمارية، وتزويدها بمعلومات عن المجتمعات الإنسانية لأجل السيطرة عليها وبسط نفوذهم على رقعتها الجغرافية[3]، وهذا في حد ذاته سمح بحضور علماء الأنثربولوجيا بأدوارهم كأحد أساليب السياسة الاستعمارية وردت في شكل أنماط مختلفة كدراسات لإداريين أو عسكريين، ولاحقا الأكاديميين تولوا مهمة البحث في الجماعات البشرية[4].

وفرنسا كأكبر دولة استعمارية لم تخرج عن هذا الإطار، حيث استعانت بالأنثروبولوجيا في معرفة خبايا مستعمراتها ومنها الجزائر التي خضعت لحقل الدراسات الأنثروبولوجية والإثنولوجية على فترات بهدف

---

1 _ بوحسون العربي، " بين التاريخ والأنثروبولوجيا _ دراسة في الأنثروبولوجيا الإستعمارية_"، مجلة المغاربية للدراسات التاريخية والإجتماعية،(مجلد 2،ع1، السنة 2011/6/1)، ص 163.

2 _ لقد وجدت الدراسة حول الإنسان ومختاف ما يتعلق به من مجالات من القدم مع القرن 5ق م مع العالم هيرودت، فهو أول من كتب عن المجتمعات غير اليونانية، مركزا على عاداتها وتقاليدها، وبالتالي يكون قد أسس للتاريخ والجغرافية منذ العصور القديمة. طالع: _ مرقومة منصور، "الأنثروبولوجية والنزعة الاستعمارية الحديثة"، مجلة التدوين، (المجلد 4، ع8، السنة 2016/12/2)، ص 80.

3 _ مرقومة منصور، المرجع السابق، ص. 81.

4 _ Lucas Phlippe, Vatin Jean-Claud, L'Algérie des anthropologuees, Masperro François, (Paris, 1975), P.104.

المد الاستعماري، وتثبيت الاحتلال، وفرض السيطرة شمالا، وجنوب، وشرقا، وغربا. تضمنت بحثا حول المجتمع الجزائري ومعرفته معرفة عميقة ومفصلة، خاصة أنه مجتمع عشائري متميز بفئاته السكانية المتباينة سواء بين الريف والمدينة، وبين مختلف الأقاليم الجغرافية التلية، والهضابية، والصحراوية، فالحاجة إذن استدعت الاستعانة بمختلف التقارير سواء دبلوماسيين، أو تجار، أو إداريين وخاصة العسكريين بحكم احتكاكهم المباشر والدائم بمختلف المناطق، وبالتالي جمع أكبر المعلومات حول المجتمع، والبيئة، والحياة الاقتصادية، وحتى التنظيم العسكري والديني[1].

واليوم نحن في هذا المقام نحاول تقديم إحدى النماذج من الدراسات الأنثروبولوجية حول المجتمع الجزائري تم تدوينها على يد عسكري متمرس في الشؤون الأهلية ، تعنى بفترة الخمسينات من القرن 19. وتعد إحدى اقتراحات منظري الاستعمار[2]، الذين لم يتوانوا في تقديم مقترحات ضمن السياسة الاستعمارية إلى جانب أساليب أخرى اقترحت كتدجين الزعامات الأهلية ومحاولة التواصل معها، وعليه نحاول دراسة تلك العلاقة الطردية بين التاريخ والأنثروبولوجيا فيما يخص المسألة الاستعمارية.

2_ لمحة عن المؤلف ومحتوى الكتاب:

هو Corneille Trumelet من مواليد 11مارس 1820، انخرط في العمل العسكري في 17 جوان 1839، تكون عسكريا وتدرج في الرتب فبلغ رتبة قائد كتيبة ، ثم أصبح ملازما في أفريل 1848، قدم إلى الجزائر سنة 1851 برتبة ملازم أول، ثم ترقى إلى رتبة نقيب في 1856/3/22 ثم عقيد في 1870/10/4، وفي 1874/1/29 أصبح برتبة كولونيل.

إلى جانب مهامه العسكرية ضمن الجيش الفرنسي أنتدب لممارسة الإدارة الأهلية ضمن نظام المكاتب العربية، فقد تولى القيادة العليا لدائرة ثنية الحد من ديسمبر 1868إلى غاية فيفري 1871، بعدها عين قائد

1 _ وراغي أحمد، " الأنثروبولوجيا والاستعمار _ قراءة في صورة الجزائرية في المؤلفات الأنثروبولوجيا الاستعمارية_"، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، (مجلد 4، ع2، السنة 2014/1/15)، ص ص. 268_269.

2 _ من بين المنظرين للإحتلال الفرنسي بالجزائر نجد ألكسيس دو توكفيل، الذي أكد على ضرورة معرفة المتمع الجزئري بمعرفة لغته ودراسة عاداته وأعرافه وتقاليده، وبالتالي معرفة كل الخلفيات وممارسات العربي ونقاط قوته وضعفه، لتسهل بذلك عملية الهيمنة والسيطرة ثم ننتقل إلى الفرنسة والإدماج.طالع: بوحسون العربي، " الإستشراق والأنثروبولوجيا والاستعمار _ دراسة تحليلية لطبيعة العلاقة"، مجلة الإنسان والمجتمع، (ج 2، ع22، ديسمبر 2011)، ص 49

أعلى على قسمة سور الغزلان، قاد عدة حملات عسكرية بثنية الحد ما بين 1869 و1870، وفي 1871 قاد فرق عسكرية بين ذراع الميزان وبوسعادة لملاحقة المقراني.

تميز ترومللي عن باقي العسكريين بموهبة الكتابة والتأليف، ووظفها في التأريخ للتواجد الفرنسي بالجزائر، حيث أصدر العديد من الكتابات [1] منها:

_ Les Français dans le desert

_ L'insurrection de 1864

_ Les deux volumes sur Blida (1887)

_ Les sergent Blandan et le combat d'el-Mechdoufa prés Beni –Mérad (1888)

_ Général Yusuf (1890)

يعد كتاب Les Français dans le désert من الكتابات الأجنبية المصنفة ضمن المصادر، تعنى بتاريخ الجزائر كإطار جغرافي وبشري إبان الاحتلال الفرنسي، خاصة في جزئها الجنوبي" الصحراء". يؤرخ للجزائر في فترات مختلفة من منطلق هدف سياسي استعماري، وهو عبارة عن سرد ليوميات رحلة في إطار المهمات الإدارية أوجبتها الحكومة الاستعمارية في مجال توسيع وتثبيت الاحتلال بصفة شاملة، لذلك كانت لأجل ترسيم السلطة الفرنسية بمنطقة ورقلة وبأعماق الصحراء الجزائرية بعد تصفية نشاط الثائر الشريف محمد بن عبد الله.

صدر الكتاب عن دار النشر CHallamel Ainé éditeur سنة 1887، ونحن الآن بصدد عرض النسخة الرابعة، كما له طبعة ثانية صدرت سنة 1885، بلغ مجموع صفحاته حوالي 516 صفحة، متبوعة بمجموعة من الخرائط تخص مسار الرحلة من معسكر نحو ورقلة، نهيك عن بعض المخططات البيانية لواحات من الصحراء منها: متليلي، نقوسة، الأغواط، ورقلة، وكنفيدرالية الميزاب.

مع تصفح الكتاب نجده مقسم ومرتب وفق خطة شملت إحدى عشرة فصلا بدون عناوين رئيسية، تتقدمها تصدير وتقديم في شكل مقدمتين الأولى عبارة عن تصدير للطبعة الجديدة والأخيرة بتاريخ أفريل 1884، أما الثانية فهي تصدير لأول طبعة والمؤرخة ب 1862/5/1 [2].

1 _ Peyronnet . R,Livre d'or des officiers des affaires indigénes (1830-1930), (Alger : imprimerie Algérienne, 1930), PP, 327-329.

2 _ Trumelet. C, Les Français dans le désert, (Paris : challamel- Ainé éditeur, 4éme édition, 1887), PP. 1- 516 .

وللإشارة وردت الفصول بعناوين فرعية تذكر في مقدمة الفصل مع معالجة مضامنيها داخل الفصل الواحد وفق نظام الفقرات تعالج بتسلسل مضامين العنوية الجزئية، وبالطبع التسلسل خاضع لمسار الرحلة، ومن أهم ما ورد من أفكار في الفصول نجد:

_ أصل واتريخ نشأة ورقلة، الأغواط ، معسكر

_ النفوذ السياسي والديني للقبائل الجزائرية التي مروا على أراضيها منها: الحشم بمعسكر، الحساسنة بمنطقة سعيدة، أولاد سيد الشيخ بمنطقة قصور الجنوب الغربي، قبائل منطقة العمور، عائلة بن باية بواحة نقوسة....إلخ

_ ظهور الثائر محمد بن عبد الله بورقاو، وإعلانه الثورة بعد تسميتة وتزكيته بسلطان ورقلة من طرف سكانها وبدعم من الزعامات الدينية كمحمد بن علي السنوسي.

_ إسهامات الزعامات الأهلية من شيوخ القبائل إلى جانب الفرنسيين في عملية التوسع الاستعماري بالصحراء مثلما هو الحال مع زعماء أولاد سيدي الشيخ، زعماء قبيلة سعيد عتبة بورقلة.....إلخ.

_ الوصف الجغرافي والطبيعي من حيث المناخ وطبيعة الأراضي، والغطاء النباتي، والمياه للمناطق انطلاقا من التل شمالا ثم الهضاب العليا وصولا إلى الصحراء وفق خط يبدأ من معسكر، سعيدة، منطقة العمور، الميزاب، الأغواط، ورقلة[1].

3_ القيمة العلمية ولمحات عن المجتمع الصحراوي من خلال الرحلة:

من أهم ما يمكن استخلاصه من قراءة دقيقة واستقرائية للرحلة نذكر:

_ مظاهر تشكل السلطة، واكتساب الشرعية من خلال تناول إحدى قنوات النفوذ من خلال نموذجين: نموذج ورقلة بعد نشأتها، ومحاولة كسب زعيم يوحدهم ذو نفوذ ديني من خلال التواصل مع سلطان المغرب لشراء أمير، أما النموذج الثاني فهو نفوذ مادي من خلال واحة نقوسة مع سلطة أسرة ابن باية والتي هي في الواقع أصل نفوذها مادي بممارستها التجارة، وكان لها طموح سياسي سعت إلى تحقيقه من خلال فرض نفوذها على دانيها وإجبارهم على الاعتراف بها[2] .

1_ Ibid, PP. 1-516.
2 _ Ibid, PP. 1- 43(des chapitres)

_ إثارة عنصر التأثير الديني في اكتساب الشرعية من نموذج الجهاد المقدس كما هو الشأن مع الشريف محمد بن عبدالله، الذي استطاع بلوغ سلطة ورقلة وتلقب بالسلطان عليها، بعد اعتراف تام من زعاماتها خاصة الدينية، وهذا بعد توصية دينية حصل عليها من الشيح محمد بن علي السنوسي شيخ الطريقة السنوسية ، والذي كانت له سمعة طيبة ويحظى باحترام سكان الصحراء.[1]

_ مظاهر الصراع حول السلطة والنفوذ بكل أشكاله بين أفراد العائلات، أو بين القبائل، أو حتى بين الواحات، وردت في نماذج متفرقة بين فصول الكتاب منها: صراع أحياء واحة ورقلة وعدم إرسائهم على تعيين زعيم منهم، الأمر الذي تطلب منهم إلى البحث على زعيم أجنبي عنهم يتمتع بالنفوذ الديني وتجسدت الحالة أولا مع سلطان المغرب الأقصى ومحاولة شراء أمير يتمتع بالنسب الشريف، وثانيا مع الشريف محمد بن عبد الله ، ثاني نموذج يتمثل في الصراع والتنافس بين واحتي ورقلة ونقوسة من أجل فرض سلطتهما على منطقة ورقلة كليا، وبالتالي توالي الحملات والهجمات بقيادة ابن بايية على ورقلة، أما فيما يخص صراع الأفراد نذكر نموذج قبيلة أولاد سيدي الشيخ من خلال محاولة النعيمي بوبكر الصغير تصفية أخيه سي حمزة أثناء تفاوضه مع الفرنسيين بخصوص التعاون مع بعضهم البعض.

_ مسألة التباين واختلاف المواقف عند العائلات ذات النفوذ بالصحراء حول التوسع والمد الفرنسي بالصحراء والجنوب الغربي خاصة، والذي ظهر جليا من خلال رد الفعل القوي والعنيف الذي صعب من مهمة التوسع بالجنوب الغربي بعد تراجع الأمير عبد القادر، كما أن عدم قبولهم بالسلطة الاستعمارية دفعها إلى المراوغة بالتفاوض وعرض عليهم التعاون مقابل الاحترام المتبادل، وحدث هذا مع قبيلة أولاد سيد الشيخ، وفي مقابل هذا النموذج نلمس بعض من الزعامات سعت إلى عرض خدماتها على الفرنسيين كما هو الشأن بواحة نقوسة مع عائلة ابن بايية التي سعى زعمائها إلى التواصل مع الفرنسيين وعرض خدماتهم سنة 1849، الأمر الذي فسره الفرنسيون على أنه مجرد طموح سياسي ورغبة في السلطة على حساب واحة ورقلة.[2]

_ ورد ضمنيا معانة المجتمع الصحراوي وخاصة زعماء وشيوخ القبائل من سياسة الإقصاء السياسي من قبل السلطة الاستعمارية، وتم التطرق إليها بشكل ضمني وفي حالات منفصلة في سياق الفصول نستنتج منه محاولات التخلص من الزعامات الأهلية بطرق مختلفة مع عرض مظاهر هذه السياسة وإدراجها حسب الرؤية الاستعمارية ضمن مسألة عدم الثقة والخيانة، تكررت في عدة محطات في مواقف لزعامات أهلية،

1 _ Ibid , PP. 1-43.
2 _Ibid, PP 31-43.

وهذا بالرغم من التعاون والخدمات التي قدمت للفرنسيين[1]، ومن بين هذه الحالات ما وقع لزعيم قبيلة أولاد سيدي الشيخ " حمزة بن بوبكر" الذي بالرغم من الإشادة بأدواره إلى جانب الفرنسيين وأفضاله في وصولهم إلى ورقلة وجعلها منطقة فرنسية إلا أنه بقي محل شك دائماوتحت المراقبة، وتعرض لأكثر من مرة لعقوبات منها الإقامة الجبرية سنة 1850 بعد اتهامه بالاتصال سرا مع الثائر محمد بن عبد الله[2].

_ استحضار تاريخي لنشأة المدن، وأصول القبائل والعشائر، والزعامات بكل المناطق التي مرت بها الحملة الإدارية بقيادة القائد الأعلى دريو (معسكر، اليعقوبية، قبيلة حساسنة كنفيدرالية الميزاب)، مع التركيز على وضعها وعلاقتها مع السلطة الرسمية على العهد العثماني، ثم موقفها من الأمير عبد القادر، وهذا باعتبار أن المرحلتان كانت مرجعية بالنسبة للسلطة الفرنسية الاستعمارية في تثبيت سيطرتها على القبائل، وكذا إيجاد نواة الإدارة الأهلية التي ستعتمدها في تسيير شؤون الجزائريين[3].

_ من مظاهر الحياة الاجتماعية التي وردت في طيات التدوين لهذه الرحلة ما تعلق بالعادات والتقاليد التي تميز بها المجتمع الصحراوي، وجاء ذكرها حسب الحالة أو الظاهرة التي تشدهم بأي إطار جغرافي يمرون به ومنها : عادة تجول النساء اليهويات يوم السبت بمدينة معسكر، مظهر الضيافة وعرضه وفق مقياس الكرم والبخل من منطقة إلى أخرى، مع عرض أنواع الأطعمة التي تقدم، الإشارة كذلك إلى العادات السيئة المنتشرة مثل ظاهرة قطع الأشجار من أجل الفحم بنواحي سعيدة والتي وصفت بالتصرف الهمجي، التسول عند الأطفال وهي دليل على الفقر، الشعوذة والتمائم طلبا للبركة والشفاء أو الأولاد[4].

_ ظاهرة اجتماعية تم ذكرها بأشكال مختلفة وهي علاقة الأفراد والجماعات بمختلف المناطق بالدين، وتم عرضها من زوايا مختلفة أولها سياسية حيث كان الدين عنصر وحدة واتحاد لإحداث سلطة جديدة في إطار نظام المشيخة، كما أنها كانت عامل وحدة لأجل الجهاد والمقاومة كما هو الشأن لمحمد بن عبد الله وإعلانه الثورة بسند ديني، ثانيا من زاوية اجتماعية بعرض علاقة المرابط بالسكان ومدى تأثير الاعتقاد الديني والروحي به وفي كراماته لتحقيق أمنياتهم في إطار مادي بتقديم الزيارة أو العربون المادي مقابل الدعوة لهم[5].

1 _ Ibid, PP. 80- 128 .
2_ Ibid, PP. 80- 128.
3 _ Ibid, PP. 1- 170 (Des chapitres)
4_ Ibid, PP . 129-170/ PP. 172-263/ PP265- 319/ PP. 384-483
5 _ Ibid, PP. 44- 60/ PP. 172- 263.

_تناول عنصر الدين من خانة ممارسة الشعائر الدينية منها : الصلاة، التيمم، الوضوء، المساجد، طقوس عملية الدفن ومراسيم الجنائز لكن بنوع من التهكم مثل ممارسة التيمم التي ربطها بقلة الماء وقلة النظافة، ظاهرة النواح والبكاء في الجنائز...إلخ، تطرق كذالك إلى الممارسة الدينية عند الإباضيين بمنطقة الميزاب[1].

_الإشارة إلى دور الإدارة الأهلية في دعم الحملات باختلاف أنواعها من خلال إسهاماتها المتنوعة بين دعم الحملات بالمؤونة، والعدة، والقوم، وكنموذج مثلا دائرة تيارت وجيرفيل، إضافة إلى توفير أدلاء ومرشدين للحملة حسب حدود كل دائرة يمرون بها، ففي معسكر كان الدليل من قبيلة الحشم، وفي اليعقوبية بسعيدة نجد زعيم قبيلة الحساسنة، ثم الأغا ولد قاضي بنواحي فرندة، ومن أعيان قبيلة الأحرار بمنطقة العمور....إلخ ، ويندرج كل ذلك ضمن السياسة الاستعمارية من أجل تدجين الزعامات الأهلية لصالح مشروعها الاستعمار بالصحراء[2].

_التطرق إلى الآفات الاجتماعية ومعاناة السكان من الأمراض والمرتبطة كلها بانعدام النظافة وعدم اهتمام السكان بنظافة المحيط، والأجسام، وهذه الظاهرة تم تسجيلها في أغلب الواحات والقصور: المعاية، متليلي، ورقلة....إلخ، وهذا ما سمح بانتشار الأمراض المعدية كالحمى، ومرض العيون، القمل المنتشر كثيرا لدرجة تم عرض الطريقة التقليدية للسكان للتخلص منه، نهيك الإشارة إلى قسوة الطبيعة والتي عان منها الجنود الفرنسيون كقلة المياه وتلوثها، وقلة الزاد، وانتشار الحيوانات السامة كالأفاعي ذات الفرنين[3].

_ استحضار المقومات الاقتصادية والإمكانيات المادية التي يرتكز عليها سكان تلك المناطق، والتي تم تسجيلها لاستغلالها مستقبلا في الاستيطان منها ذكر أهمية سهل غريس بنواحي معسكر، وتنوع وكثافة غابات سعيدة، إلى جانب عرض أهم النبتات الهضاب والصحراء في مقدمتها الحلفاء، الدرين، الطرفة بنواحي العمور وامتدادها إلى غاية غرداية مما يعني أنها مجال مفتوح للمشاريع الاستيطانية مستقبلا[4].

1 _ Ibid, PP . 44- 60/ PP. 172- 260.
2 _ Ibid, PP . 63- 78/ PP. 80-128/ PP. 321-382.
3 _ Ibid, PP. 265- 479 (des chapitres)
4 _ Ibid, PP. 129- 170/PP384- 480.

4_ استقراء أهم نتائج الدراسة:

من خلال قراءة محتوى ما جاء في تأليف العسكري ترومليي Trumlet حول الرحلة الإدارية لقائد قسمة معسكر Durrieu [1] في إطار مهمة تثبيت الاحتلال في أعماق الصحراء بعد الانتصارات التي تحققت ضد الثائر محمد بن عبدالله وإجبار سكان منطقة ورقلة سواء قبائل بدوية أو سكان الواحات على الاستسلام للسلطة الاستعمارية مما استوجب الأمر تنظيم ورقلة إداريا تابعة للفرنسيين كأغوية إدارية تحت إشراف أولاد سيدي الشيخ[2].

لقد كان إذن تدوين مسار الرحلة ومتابعة حيثياتها كنموذج يمكننا من استقراء واستنتاج تلك العلاقة الترابطية طرديا بين التاريخ وعلم الأنثربولوجيا انطلاقا من ظاهرة الاستعمار، ويمكن تحديدها في:

_ بالرغم من اعتراف المختصين والباحثين من علماء في العلوم الإنسانية أنه هناك اختلاف من حيث المنهج والطريقة في العرض بين التاريخ وأنثربولوجيا كون الأول يعتمد على السرد واستحضار الماضي بينما الثاني ينطلق من الحاضر مرتكزا على الملاحظة المباشرة والمعاينة، إلا أنهما يشتركان في الأساس وهو دراسة المجتمعات البشرية وتتبع تطورها من خلال الربط بين ماضيها وحاضرها في كل ما يتعلق بالمجتمع الصحراوي، فأي دراسة منوغرافية جغرافية حولها يمكن العودة إليها أولا كمصدر تاريخي يؤرخ

---

1 _ دريو Durrieu Alfred Baron هو من مواليد 1912/9/2، تخرج من مدرسة سان سير الحربية برتبة ملازم في خط 27 سنة 1830، أدمج في أركان الجيش، وعين كملازم أول في 1836/1/1، ثم نقيب في 1840/1/18، قائد كتيبة في الفرقة الثالثة من الصبايحية في 1845/8/5، أصبح مقدم في 1849/5/1، ثم عقيد في 1851/7/111. أصبح عميد في 1853 ثم لواء في 1859/12/11. ارتبط نشاطه العسكري بإفريقيا خلال الفترة الممتدة بين 1837-1870.

ارتبط اسمه بنشاط ضباط الإدارة الأهلية حيث انتدب لعدة مهام في الشؤون العربية بداية من 1842/10/2 أين عين المكتب العربي للمدية، وشغل المنصب حتى 1847/10/10 ليصبح بعدها مدير إقليمي لشؤون العربية بمقاطعة الجزائر ثم رقي بعدها رئيسا للمكتب السياسي في 1850/6/1. أشاد الحاكم العام راندون بخبرته الحربية ومعرفته في تسيير شؤون الأهالي. عين في سنة 1853على رأس قسمة معسكر كقائد أعلى، لمدة سبع سنوات ، في سنة 1867 استدعي من قبل الحاكم العام مك ماهون كنائب ومستشارله، ليعين لاحقا حاكما عاما للجزائر لفترة قصير لم تتعدى الشهور مابين 7 و10/ 1870. توفي بباريس في 1877/9/30. طالع: R Peyronnet. Op. Cit. PP. 245-247. -

2 Colonieu , Voyages dans le Sahara Algérien de Géryville à Ouargla « », (Paris, Extrait du tour de Monde, 1862.), P194.

- CAOM. 1J/155, GGA, BA, Organisation de l'aghalik d'Ouargla. (Arrété le 10/2/1854.)

للمرحلة التاريخية " فترة الاستعمار"، وثانيا كدراسة أنثروبولوجية يمكن من خلالها استنتاج طبائع وعادات المجتمع الصحراوي وفهم علاقاته الاجتماعية حاليا وتفسيرها بربطها بماضيها[1].

_ نستخلص نقطة أخرى وهي أنه مثل هذه الدراسات على اختلاف أشكالها سواء كانت للجغرافيين أو إداريين، أو تجار، وبعده عسكريين تدل من جهة على تطور أساليب الاستعمار الفرنسي بالجزائر تماشيا مع المتغيرات والظروف، وكذا طبائع السكان، لذلك كان التدوين المرتكز على المعاينة الدقيقة لسكان الجنوب وكل المناطق الممتدة من معسكر بالشمال الغربي نحو الجنوب الغربي يعد في حد ذاته جزء من السياسة الاستعمارية التي أقرت ابتداء من أربعينات القرن 19 وعلى عهد الجنرال بيجو ضرورة إحداث تكامل في العملية الاستعمارية بين ما هو عسكري من خلال نشاط الجيش الفرنسي، وبين ما هو سياسي مع محاولات الحكومة في سن القوانين والمراسيم التشريعية، أو إيجاد إجراءات مدنية تخدم الاستعمار[2] مثلما هو الحال في تشجيع الاحتكاك بالسكان المحليين، ومحاولة معرفة أسرارها في المجال الحضاري، والثقافي والفكري، والعقائدي عن طريق الرحلات الاستكشافية والعسكرية على حد سواء، وبهذا تتأكد فكرة أن أنثروبولوجيا وجدت لخدمة الاستعمار واتضحت معالم ذلك مع حالة التطور التي بلغها الاستعمار الفرنسي بالجزائر لتجسيد هدفه الرئيسي " الاحتلال الشامل" بضم المناطق الصحراوية، ومن هنا فقد أصبحت مثل هذه الدراسات مرجعية التوسع الاستعماري بالصحراء وتذليل كل الصعوبات الجغرافية، والمناخية، والاجتماعية، جاء برصيد معلوماتي هام لأجل السيطرة، واكتشاف نقاط الضعف واستغلالها لصالحها مثل ظاهرة الصراعات التي استخدمت كوسيلة في تشتيت القبائل وإقصاء نفوذه[3]ا .

_ نجد الأنثربولوجيا مثلما أعانت الاستعمار بكشف أسرار المجتمع الجزائري، نجدها في نفس الوقت مادة علمية ذات قيمة للكتابة حول هذه الشعوب، فهي أصبحت مرة أخرى مرجعية بمادتها العلمية لكن في يستوجب توخي الحذر وتمحيصها بحكم أنها وجدت لأجل هدف السيطرة قائمة على فكرة العنصرية والتمييز

1 _ أوراغي أحمد، " الأنثروبولوجيا والتاريخ"، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، (مجلد 3، ع1، السنة)، ص ص . 217-224.

2 _ حباش فاطمة، المكاتب العربية ودورها في المد الاستعماري بالغرب الجزائر 1844-1870، أطروحة دكتوراه علوم غير منشورة(جامعة وهران:كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، 2014/2013) ص ص 59- 62.

3 _ مرقومة منصور، المرجع السابق، ص ص. 82-83.

نلمس فيها تشويه لصورة المجتمع في جوانبه العقائدية وعلاقته الاجتماعية من تفسير بعض الظواهر على أساس عنصر يستمد جذوره من الصراع الأزلي بين الإسلام والمسيحية.

الخاتمة:

بالرغم من أن تدوين الرحلة كان في إطار هدف علني للاستعمار الفرنسي وهو تثبيت رسمي للسلطة الفرنسية بورقلة بعد القضاء على محمد بن عبد الله، إلا أن ماجاءت به من كم هائل من معلومات جغرافية، وحول العلاقات الاجتماعية، وطبائع السكان، نيك عن إحصاء للثروات، وأهم الأنشطة وحتى الحيوانات والمسالك هو بمثابة إنجاز يخدم المشروع الفرنسي على المدى البعيد، فكشف خبايا أي إطار جغرافي أو بشري عرقل المد الاستعماري هي معلومات ستوظف لاحقا في استيطان المنطقة.

نصل في النهاية إلى القول بأن الدراسات سواء كانت لعسكريين أو جغرافييي...إلخ هي فرصة للتأريخ حول مجال جغرافي معين في إطار كتابة التاريخ المحلي.

ISSN:2707-8183

أهمية علم الاجتماع في البحث التاريخي" دراسة التركيبة الاجتماعية الجزائرية خلال الفترة الاستعمارية 1830-1847م نموذجا".

الاستاذ المحاضر الدكتور سلاماني عبد القادر/ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة طاهري محمد. بشار الجزائر.
الاستاذ المحاضر الدكتور قراوي نادية / كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة طاهري محمد. بشار الجزائر.

الملخص:

تعتبر الدراسة التاريخية بعث الماضي في صورته الحقيقية الممكنة، من خلال تصور الماضي بعد إخضاعه للمنهجية العلمية والتقيد بطرقها ولا يمكن فهم الحقائق التاريخية والأحداث وتحليل الوقائع، إلا من خلال دراسة موضوع التاريخ كدراسة شاملة للنشاط الإنساني عبر الزمن في جميع المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والقانونية والعسكرية والحضارية، فقد فرض هذا التطور لموضوع التاريخ في ضرورة الإلمام بجميع المعارف والعلوم المساعدة للتاريخ ومعرفة المفاهيم والمصطلحات وطرق التحليل والتعليل والاستنتاج ، من اجل دراسة التطور البشري والفكري والثقافي والحضاري للإنسان عبر الزمان والمكان ، ومعرفة الظواهر الاجتماعية والعلاقات الإنسانية، ومعرفة التغير الاجتماعي وحركة المجتمع عبر الزمن وعلاقتها بالأحداث والوقائع التاريخية ، فلا يمكن دراسة التاريخ بدون معرفتها للبناء الاجتماعي والاقتصادي وتأثيراته في مجالات الحياة السياسية والفكرية والحضارية، فالدراسة التاريخية ترتبط ارتباطا وثيقا بالمجتمعات والأمم في ظهور الحضارات وزوالها، وتطور الأمم والشعوب في سلوكها الإنساني وعلاقاتها الاجتماعية وظهور الطبقات الاجتماعية، لذا حاولنا دراسة المجتمع الجزائري خلال الحقبة الاستعمارية لمعرفة دور علم الاجتماع في الدراسة التاريخية من خلال المعطيات الاجتماعية في عملية تنظيم الإدارة الاستعمارية الفرنسية للمجتمع الجزائري في ظل التوسع الاستعمارية من خلال الدراسات الانتروبولوجية لمعرفة التركيبة الاجتماعية وطرق التفكير، والمعاملات الاجتماعية والروابط الأسرية وكيفية تكوين المجتمع خلال هذه الفترة ومساعي السلطة الاستعمارية الفرنسية في كيفية القضاء على البناء الاجتماعي الجزائري.

– الهدف من الدراسة هو: – محاولة معرفة أهمية ودور علم الاجتماع في الدراسة التاريخية والبحث التاريخي من خلال دراسة المجتمع الجزائري.

– معرفة مدى أهمية الدراسة التاريخية في استخدام العلوم المساعدة في إبراز الواقعة التاريخية .

– دراسة التاريخ الاجتماعي الجزائري خلال الفترة الاستعمارية كونه جزء من التاريخ الإنساني في معرفة التاريخ من جميع جوانبه ومجالاته.

– إدراك التغير الاجتماعي الجزائري خلال الفترة الاستعمارية من خلال الأسباب والتأثيرات.

Title: The importance of sociology in historical research 'The Study of the Algerian Social Composition during the colonial period 1830-1847 a model'.

Summary:

Historical study is the rebirth of the past in its true possible form, by imagining the past after subjecting it to scientific methodology and adherence to its methods and can only understand historical facts, events and analysis of facts, except by studying the subject of history as a comprehensive study of human activity over time in All economic, social, political, cultural, legal, military and civilizational fields, this development has imposed the subject of history in the need to know all the knowledge and sciences that help history and know the concepts and terminology and methods of analysis, explanation and conclusion, in order to study Human, intellectual, cultural and cultural development of man through time and space, knowledge of social phenomena and human relations, knowledge of social change and the movement of society through time and its relationship to historical events and facts, history cannot be studied without its knowledge of social construction Economic and its effects in the areas of political, intellectual and civilizational life.

The historical study is closely linked to societies and nations in the emergence and demise of civilizations, the development of nations and peoples in their human behavior and social relations and the emergence of social classes, so we tried to study Algerian society during the colonial era to learn about the role of sociology in Historical study through social data in the process of organizing the French colonial administration of Algerian society under colonial expansion through anthropological studies to learn about the social composition and ways of thinking, social transactions and family ties and how to form Society during this period and the efforts of the French colonial power in how to eliminate the Algerian social construction.

The purpose of the study is: - to try to know the importance and role of sociology in historical study and research through the study of Algerian society. To know the importance of historical study in the use of science to help highlight the historical reality. - The study of Algerian social history during the colonial period as part of human history in the knowledge of history in all its aspects and areas. Awareness of Algerian social change during the colonial period through causes and influences.

المقدمة:

تعتبر العلوم الإنسانية والاجتماعية متداخلة ومترابطة فيما بينها، بحيث لا يمكن للباحث دراسة علم مستقل عن العلوم الأخرى المساعدة له، فالتاريخ لا يمكن تحليل محتواه ودراسته من دون العودة إلى بعض المعارف الإنسانية الأخرى لان التاريخ يرتبط بالإنسان والزمان والمكان والأحداث والوقائع التي يقوم بها البشر عبر مراحل حياتهم، ولكل علم من العلوم المساعدة للدراسة التاريخية إلا ولها أهمية حسب طبيعة موضوع الدراسة، فالتاريخ يعتبر فرع من فروع العلوم الاجتماعية فلا نستطيع دراسة الوقائع التاريخية إلا من خلال معرفة المجتمعات التي قامت بتلك الأحداث، فالتاريخ يعنى بالتغير الاجتماعي والبنى الاجتماعية في المجتمعات، ونحن بصدد دراسة حالة المجتمع الجزائري خلال الحقبة الاستعمارية وآليات التغيير التي حدثت فالمجتمع خلال هذه المرحلة التاريخية ما بين 1830- 1847م.

1- أهمية الدراسة التاريخية في استخدام العلوم المساعدة في إبراز الواقعة التاريخية.

هناك العديد من العلوم المساعدة في دراسة التاريخ فلسفية وفكرية واجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية وحضارية ونفسية تتحكم في دراسة الظاهرة التاريخية، ومن بين الأهمية التي ترتبط بعلم الاجتماع كونه من العلوم المساعدة للدراسة التاريخية هي دراسة النفسيات الاجتماعية والعلاقات المعنوية الأسرية ودورها الاقتصادي والمعرفي للوسط الاجتماعي والديني للوصول إلى قوانين لإيضاح الحاضر الإنساني ومستقبله.

يعتبر علم الاجتماع من العلوم وثيقة الصلة بعلم التاريخ والتي يحتاج المؤرخ الوقوف عليها لتساعده في فهم الأحداث التاريخية وعلم الاجتماع كعلوم الإنسان يقوم بدراسة شاملة للأفعال والعلاقات الإنسانية ومن المعروف إن التاريخ يهتم بدراسة شاملة للأفعال والعلاقات الإنسانية. ومن المعروف إن التاريخ يهتم بدراسة التغير الاجتماعي مثلما يهتم بدراسة التغير السياسي والاقتصادي والديني والحربي، أي انه يهتم بدراسة حركة المجتمع داخل الزمان.

ومن الأمور التي تهم كلا من علماء الاجتماع والمؤرخين دراسة الطبقة الاجتماعية ومكانها في المجتمع، والطبقة في مفهوم الاجتماعيين تجمعات يقيم أفرادها علاقات فيما بينهم ويؤيدون استمرار تلك العلاقات على أساس من المساواة تمييزا لهم عن أفراد آخرين من أعضاء المجتمع يتميزون عنهم – ولو إلى حين– بمقياس للاستعلاء أو التدني معترف بها في إطار مجتمعهم . وتنشأ طبقة ما نتيجة تفاوت الظروف الاقتصادية بين الأفراد من حيث قدرتهم على الكسب والإنفاق .

يهتم علماء الاجتماع بأسس التناقض الطبقي وأنماط السلوك التي تميز مختلف الطبقات، وبأنواع التوتر التي تنشا بين تلك الطبقات، وكلها وسائل تهم المؤرخ دون شك وتساعده في تفهم المجتمع في مجال الدراسة.

يدرس علم الاجتماع الإنسان من خلال من خلال التعرف على القوانين التي تتناول افعال الناس وعلاقاتهم ببعضهم، وما يتصل بذلك من مظاهر التغير الاجتماعي، وهذا ما جعل علم الاجتماع على صلة بالتاريخ ، فالمؤرخ يحتك بعلم الاجتماع من خلال دراسته للتغير الاجتماعي في الماضي ، وتتبع حركة المجتمع داخل الإطار الزمني، كما المؤرخ مضطر للتعامل مع علم الاجتماع حتى في قراءة النصوص وتفسير الأحداث التي لها صلة بالنظم والعادات ليتمكن من فهم التطورات من خلال غاياتها ومراميها الاجتماعية[1] .

2- دور علم الاجتماع في الدراسة التاريخية والبحث التاريخي من خلال دراسة المجتمع الجزائري.

دراسة الحالة الاجتماعية في التاريخ يتطلب معرفة الحياة الاجتماعية من خلال الكشف عن الطبقات الاجتماعية ومركزها الاجتماعي فمن خلال تتبعنا للمجتمع الجزائري قبيل فترة الاحتلال الفرنسي لاحظنا من خلال الدراسة ذلك التمايز الطبقي الذي كان خلال الفترة العثمانية بالجزائر فقد عملت السياسة العثمانية على إبعاد الجزائريين عن المناصب الهامة، ولم يثقوا حتى في الكراغلة،[2] وقد كان لهذه السياسة المتخذة في البلاد أثر بالغ في مجال العلاقات الاجتماعية، والتي انعدم فيها التواصل بين القاعدة والقمة مع انعدام الروابط الاجتماعية التي تجعل من الشعب وحدة متماسكة[3]، ومن خلال هذا التباين تولدت صرا عات بين فئات السكان من جهة وبين السكان والنظام من جهة أخرى[4]، وعلى الرغم من أن الطائفة العثمانية في الجزائر قليلة مقارنة مع بقية السكان حيث لا تتجاوز 20 ألف نسمة،[5] إلا أنها كانت معزولة والدافع لذلك هو الرغبة الجماعة العثمانية في إبقاء هيمنتها على المناصب الحكومية وصيانة تقاليدها في نظام العيش والسلوك[6].

كان سكان الأرياف يمثلون الأغلبية من سكان الجزائر يمثلون 90% من السكان[7]، وعليهم يعتمد اقتصاد الإيالة خاصة من الناحية الزراعية، ونظرا لاختلاف مواقف سكان الأرياف من سلطة العثمانية يتمكن

1- ناصر الدين سعيدوني، أساسيات منهجية التاريخ، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2000، ص 22.

2- محمد بن مبارك الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976، ص 352.

3- بن عبد الرزاق السبع، الأمير عبد القادر الجزائري أديبا، الإسكندرية، 1988، ص 48.

4- عميراوي حميدة، جوانب من السياسة الفرنسية وردود الفعل الوطنية في قطاع الشرق الجزائري "بداية الاحتلال"، مطبعة البعث، قسنطينة، 1984، ص 22.

5- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر الفترة العثمانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص 42.

6- *Ch.R.Ageron, Histoire de l'Algérie contemporaine1830-1873, éd.Presse universitaire, Paris, 1980, p. 05.*

7- بن عبد الرزاق السبع، المرجع السابق، ص 49.

تصنيفهم على هذا الأساس، عملت الفئة الأولى على التعايش والتعاون مع العثمانيين بعيدة عن الصراعات لتكون بمنأى عن ثقل الضرائب، وخضعت الفئة الثانية خضوعا تاما للعثمانيين، الفئة الثالثة: مستقلة عن النفوذ العثماني بعيدة عن تحكم رجال البايلك، الصنف الأول المتعامل مع العثمانيين مقابل فوائد متبادلة يعرف عادة بقبائل المخزن التي اتخذت بمرور الوقت رغم تباين أصولها شكل القبائل الدوابر والزمالة تكونت نتيجة ظروف تاريخية في مجموعات عرقية مغلقة كمخزن الكراغلة والعبيد.[1]

أما الفئة الثانية الخاضعة للعثمانيين مباشرة فقد أثقل الحكام كاهلها بالضرائب وشرد أبنائها وصودرت أراضيهم الجيدة عاشت حياة بؤس وشقاء وقامت بعدة ثورات ضد الحكام العثمانيين.

كما كانت الفئة الثالثة تعيش بالجبال على شكل قبائل ضعيفة العاطفة الدينية كانت تتكلم لهجات بربرية عمقت الفارق نظرا لطبيعة أسلوب هؤلاء القبائل[2]، فعموما مجتمع الريف فتكون من طبقتين طبقة إقطاعية مالكة تسيطر على الريف تتقاسم إنتاجه الأرستقراطية الحاكمة بالمدينة وفئة الرعية مع كثرة عددها حيث كان هناك تميز بين رجال الطبقة الأرستقراطية ورجال الرعية في جميع الأشياء – اللباس، بذل الجهد، الأكل والحقوق السياسية، وكانت أحوال الرعية تزداد سوءًا حينما تحدث مجاعات أو حروب أو جفاف[3] ونتج عن هذا أن أصبحت العائلات الإقطاعية الكبرى تسيطر بمالها بامتيازات تتحكم في توجيه سكان الأرياف مما دفع السلطة العثمانية تتعامل مع هذه العائلات[4].

ساهم الأشراف في الحياة الاجتماعية بالريف حيث انقسموا إلى قسمين "أجواد ومرابطين" وكانوا يتحكمون في الفئة المستقلة عن السلطة العثمانية، الأجواد فارضين هيمنتهم على السكان بحد السيف وكانوا يتهمون المرابطون بالطموح نحو الثورة والسلطة عن طريق استغلال العاطفة الدينية لدى العامة، من أجل كسب المال والوصول للسلطة، أما المرابطون المستمدين نفوذهم عن طريق الزوايا والطرق الصوفية التي كانت منتشرة بالأرياف كانوا يصفون الأجواد بالعنف ونهب الأموال للناس بالقوة،[5] وتركت السلطة العثمانية هذا التنافس خدمة لمصالحها.

1- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر الفترة العثمانية، المرجع السابق، ص 49.

2- محمد طه الحاجري، جوانب من الحياة العقلية والأدبية في الجزائر، معهد البحوث والدراسات العربية،القاهرة، 1968، ص 24- 25.

3- عميراوي حميدة، المرجع السابق، ص 33.

4- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر الفترة العثمانية، المرجع السابق، ص 50.

5- بن عبد الرزاق السبع، المرجع السابق، ص 51.

– سكان المدن: اتخذ التنظيم الاجتماعي بالمدن شكلا هرمي تحتل قيمته الطائفة العثمانية المنعزلة عن الطبقات الاجتماعية الأخرى تكرسا لهيمنتها على مناصب الحكم والسلطة وحفاظا على تقاليدها المتوارثة يليها طبقة الكراغلة التي تكاثر عددها خاصة بالمدن الكبرى نتيجة تزاوج الجيش الإنكشاري مع الجزائريات،[1] وكونوا بذلك طبقة اجتماعية متميزة ذات ثقل اجتماعي وعلى الرغم من الصلة الوثيقة التي تربط العثمانيون بالكراغلة إلا أنهم ظلوا مبعدين عن المهام الكبرى بالدولة نتيجة تخوف العثمانيين من نشأة حلف بين الكراغلة والأهالي بحكم القرابة التي تجمعهم والتي تهدد الامتيازات والمصالح التي يتمتع بها العثمانيون، أما ما بقي الفئات الاجتماعية من السكان بالمدن فيمكن تصنيفهم لثلاث طبقات رئيسية: الحضر – طبقة البراني – طبقة الدخلاء.

فطبقة الحضر تتكون من العائلات الحضرية المتأصلة بالبلاد أو من مهاجري الأندلس الفارين وقد تمركزت بأهم المدن الساحلية [2]، والجالية اليهودية يعود أصولهم لليهود المحليين الذين استقروا بالجزائر بالإضافة ليهود الأندلس القادمين مع مسلمين الأندلس هروبا من اضطهاد النصارى مع نهاية القرن 15م حتى بداية 17 وانضم إليهم اليهود ليفرون من الموانئ الإيطالية بعد منتصف القرن 17م للممارسة في التجارة وتصريف غنائم الجهاد البحري[3]، أما الدخلاء فهذه العناصر تعتبر أجنبية عن المجتمع الجزائري المتمثلة في التجار الأجانب والقناصل الأوروبيين ورجال البعثات الدينية والإرساليات التبشيرية وجماعات الأسر المسيحيين الذين كانوا كأغلبية ساحقة من هذه العناصر الداخلية مع نهاية القرن 16م.[4]

من خلال تتبعنا للتركيبة الاجتماعية للمجتمع الجزائري نستنتج أن هناك تباين طبقي، أكدت عليه السلطة العثمانية لبقائها وفرض سلطتها، ولكن هذا التمايز الطبقي في المجتمع خلال الفترة العثمانية هل استمر بعد نهاية العهد العثماني وكيف تعاملت السلطة الاستعمارية الفرنسية من جهة مع فئات المجتمع الجزائري وما موقف هذه الفئة من الاحتلال الفرنسي للجزائر، وما موقف المجتمع الجزائري من المقاومة الشعبية الوطنية خلال هذه المرحلة، ولمعرفة موقف المجتمع الجزائري من الاحتلال الفرنسي لا بد من التطرق إلى التركيبة الاجتماعية خلال المراحل الأولى من الاحتلال وردود الفعل الوطنية من هذا الاحتلال.

3- التاريخ الاجتماعي الجزائري خلال الفترة الاستعمارية مابين 1830-1847م.

1- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر الفترة العثمانية، المرجع السابق، ص 43.

2- عميرات حميدة، عثمان خوجة حياته وآثاره، مجلة الثقافة، العدد93،الجزائر،1985، ص 105.

3- المهدي البوعبدلي- ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1985، ص 101-102.

4- نفسه، ص 104-105.

بعد توقيع الداي حسين لمعاهدة الاستسلام في 05 جويلية 1830 للجنرال ديبورمون قائد الحملة الفرنسية على الجزائر، شهدت هذه المرحلة التاريخية فوضى عارمة مست المجتمع الجزائري بعد شغور القيادة السياسة ظهر ذلك الفراغ السياسي[1]، وغياب السلطة والأمن، وهذا ما أدى إلى ظهور النعرات القبيلة والفتن بين الطبقات الاجتماعية التي كانت تعاني من تسلط الطبقة العثمانية الحاكمة، وكان للحكم العثماني في الجزائر انعكاسات اجتماعية كبيرة، ظهرت نتائجها بشكل واضح عشية الاحتلال الفرنسي للجزائر، حيث أثرت التركيبة الاجتماعية، لذا لابد من التعرف على التشكيلات المكونة للنسيج الاجتماعي، مع معرفة طبيعة العلاقات التي كانت تربط بين تلك التشكيلات.

نستنتج من خلال الدراسة الاجتماعية للمجتمع الجزائري قبيل فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر مدى تمايز التركيبة الاجتماعية، فالقبائل المخزنية كانت تبحث عن سلطة جديدة تحتفظ بها على امتيازاتها الكبيرة خلال العهد العثماني، ومن ناحية أخرى كانت هناك عدة قبائل تعاني من استبداد الحكام العثمانيين، ومساندهم مما جعلهم يبحثون عن الفرصة الملائمة للانتقام، فالوضعية الاجتماعية قبيل الاحتلال الفرنسي اتسمت بالفوضى و انعدام توافق بين توجهات مختلف العناصر الاجتماعية، ومن الملاحظ من خلال هذه دراسة للحالة الاجتماعية في معرفة دور كيفية استخدام علم الاجتماع في تحليل وتفسير الظاهرة الاجتماعية من خلال المعطيات التاريخية والتمايز الطبقي الذي شهدته الجزائر قبيل فترة الاحتلال الفرنسي وكيف أصبحت تلك التشكيلات الاجتماعية خلال الاحتلال الفرنسي.

تباينت المواقف السكانية حول الاحتلال الفرنسي للجزائر، بعد الفوضى العارمة التي شهدتها البلاد وخاصة بعد عملية التوسع الفرنسي وخاصة على حساب المدن الساحلية فمن أهم الأولويات التي اهتمت بها السلطات الاستعمارية الفرنسية هو احتلال مدينة وهران والتي توادت بها عدة تشكيلات سكانية أهمها قبائل المخزن و الحضر بتلمسان وقبائل الرعية.

– العلاقات الاجتماعية في إطار المقاومة الوطنية :

بعد التدخل العسكري الفرنسي على مدينة وهران ونهاية الحكم العثماني بالمنطقة عمل الشيخ محي الدين على إيقاف تلك الفوضى والاضطراب في ظل الأوضاع القائمة،[2] خلال تلك المرحلة بعد فشل كل من التواجد التونسي بالمنطقة الغربية للبلاد والتواجد المغربي الذي لم يستطع إعادة الأمن والاستقرار للمنطقة[3]،

1 -G.Esquer, La prise d'Alger 1830, éd. Librairie Larose, Paris, 1929, p. 312.

2- الآغا بن عودة المازاري ، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وفرنسا وإسبانيا، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1990، ص 95.

3- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية،ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1992، ص 168.

وهذا ما أدى بالشيخ محي الدين للمبادرة في مقاومة الاحتلال الفرنسي، والعمل على إرساء قواعد وأسس جديدة لمقاومة المحتل الفرنسي من خلال المبايعة التي خصت الأمير عبد القدر خلال هذه المرحلة التاريخية وذلك لشروط توفرت فيه. [1]

لقد تحكمت مجموعة من العوامل في علاقة الأمير عبد القادر قائد المقاومة الشعبية مع بقايا السلطة العثمانية بالجزائر واتصفت علاقاته مع العثمانيين بالعدائية،[2] فمعظم قبائل الرعية التي بايعت الأمير عبد القادر كانت تعاني من التعسف من طرف هذه الفئة العثمانية، فانضمت بقايا القوات العثمانية في الجزائر إلى قوات الاحتلال الفرنسي في كل من وهران ومستغانم ومعسكر وتلمسان.[3]

اعتبر الأمير عبد القادر فئة الكراغلة عنصر يمثل خطرا على التركيبة الاجتماعية لما كانت تتميز به هذه الفئة عن الفئات الاجتماعية الأخرى خلال العهد العثماني، فالتنظيم الاجتماعي الذي حاول الأمير عبد القادر إتباعه قائم على المساواة وتحقيق العدالة الاجتماعية لتحقيق الوحدة الاجتماعية حتى يكون لها دور في المقاومة الوطنية ضد الاحتلال الفرنسي.[4]

أولت قبائل المخزن التي كانت لها امتيازات كبرى خلال العهد العثماني،[5] ولائها في المرحلة الأولى للمقاومة الوطنية، ولكن سرعان ما تخلت عن المقاومة وربطت صلاتها بالاحتلال الفرنسي وأصبحت خاضعة له وتعمل تحت سلطته. [6]

إن التفسير الاجتماعي للظاهرة التاريخية من خلال المعطيات التاريخية يوضح لنا ان التركيبة الاجتماعية بعد نهاية العهد العثماني في الجزائر كانت جد معقدة ، وتميزت بالتباين الطبقي بين المجموعات السكانية سواء في المدن أو الأرياف جعلتها خلال الاحتلال الفرنسي تفقد مكانتها الاجتماعية إلى جانب حالة الفوضى ولا استقرار التي عاشتها الجزائر خلال هذه المرحلة، أدى لزيادة الضغائن والنعرات القبيلة والفتن

1- شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة أبو القاسم سعد الله، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2004، ص 16.

2- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر، الجزائر،2009، ص 241.

3-*M.Emrit, L'Algérie à l'époque d'Abd elkader, éd. Larousse, Paris, 1951, p. 31.*

4- المهدي البوعبدلي- ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 110.

5- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص 344.

6-*P.Azan, Les grands soldats de l'Algérie, éd. Pigelrt, Orleans, 1930, p. 38.*

وإذكاء روح الانتقام من ذلك التعسف والظلم التي كانت تعيشه القبائل خلال العهد العثماني ، ونستخلص من ذلك أن المقاومة الشعبية الوطنية جاءت في ظروف اجتماعية استثنائية صعبة تحكمها العصبية القبلية التي لا تساعد على إرساء قواعد الوحدة والتضامن والتماسك الاجتماعي لمواجهة الاحتلال الفرنسي.

4- آليات التغيير الاجتماعي الجزائري في ظل السياسة الاستعمارية الفرنسية:

استفادت السلطات الفرنسية من النظام العثماني بالجزائر في اعتمادها على طرق وأساليب في إخضاع الشعب الجزائري بتسليح قبائل ضد أخرى، للتفرقة بين الشعب والعمل على تفكيك وحدة المجتمع، وذلك كما فعل العثمانيون مع قبائل المخزن قدموا لهم امتيازات مقابل تسليطهم على قبائل أخرى كانت ضد التواجد العثماني بالجزائر[1].

نستخلص من خلال الدراسة الاجتماعية للمجتمع الجزائري خلال العهد العثماني إن السلطات الاستعمارية الفرنسية استطاعت من خلال دراسة التركيبة الاجتماعية للمجتمع الجزائري الاستفادة من النظام وطرق والأساليب المتبعة لإخضاع المجتمع للسلطة العثمانية ونفس الأسلوب استخدمته السلطات الاستعمارية الفرنسية في تعاملها مع المجتمع الجزائري وذلك من خلال الاستفادة من الدراسة الاجتماعية للمجتمعات وكيفية السيطرة عليها في معرفة التأثيرات الاجتماعية وكيفية التحكم فيها ، من خلال تحكيم التمايز الطبقي وكيفية توظيفه في المنظومة السياسة وأنظمة الحكم.

فمن الناحية التاريخية يقول ريشار"Richard ":" إذا توصلنا من تقسيم السكان إلى معسكرين متحاربين ومتعادين إذن نستطيع وضع حدا فاصلا بين مجموعتين من السكان هي متحدة ومتضامنة لمحاربتنا "[2].

عملت السلطات الفرنسية على استخدام بعض المناوئين الجزائريين لخدمة مصلحة فرنسا والقضاء على المقاومة الوطنية حتى لا يتسنى لها تجميع قواها ضد قوات الاحتلال الفرنسي، حيث لم تكن لهؤلاء المنشقين قيادات واسعة بل كانوا تحت مراقبة قوات الاحتلال الفرنسي،[3] لذا اعتمد الجنرال بيجو سنة 1841م في حربه ضد المقاومة الجزائرية عملية التفرقة بين الجزائريين حتى لا يتمكنوا من إعطاء نفسا ودفعا جديدا ودعما ماديا ومعنويا للقوات الوطنية الشعبية لمواصلة مشروع الدفاع عن الوطن، وأدرك الجنرال أن تجنيد الأمير

-1 W. Estirasy, *Notice historique sur le maghzen d'Oran, typographie de Berrier*, Paris, 1849, p. 233 -234.

2 - Ch. Richard, *Étude sur l'instriction du Dahra 1845-1846*, Alger, 1846, p. 185 -186.

3 - Ch.-A. Julien, *Histoire de l'Algérie contemporaine conquête et colonisation (1827-1871),P.U.F,Paris,1964,* p. 231 – 232.

عبد القادر للشعب الجزائري يمكنه لاحتضان المقاومة الوطنية، وذلك بمساعدات عن طريق توفير المؤن، والذخيرة الحربية لمواجهة القوات الفرنسية ذات التجهيز المحكم والمنظم وعمل الجنرال لتشجيع عملية التفرقة بين القبائل الجزائرية بكسب قيادات ضد أخرى لتحطيم المقاومة الشعبية الوطنية وتمويه الشعب الجزائري[1].

كما اعتمد على مراقبة الوضع الجزائري بجمع المعلومات للتعرف على تحركات القبائل ومصادر تموينهم ومراقبة القبائل التي تساند المقاومة الشعبية الوطنية يقول الجنرال بيجو " إن استعانتنا بهؤلاء الرؤساء أو العائلات الكبيرة يعد وسيلة مهمة لتعيين مواقع المقاومة وبذلك نتمكن من حصارهم والقبض عليهم بسهولة، هذه العملية تدخل في إطار الأمن والتبادل التجاري، كما أعطيت لهؤلاء الأعوان مهمة مراقبة الأشخاص الذين يمرون عبر المناطق ومراقبة الذين يحرضون الشعب بنشر أفكار معارضة ضد وجودنا في البلاد "[2]، وقد سعى بهذه الأساليب سنة 1841م من أجل توطيد الاحتلال الفرنسي بالجزائر وعمل على إحباط معنويات الشعب الجزائري في احتضان المقاومة الشعبية وتموينها بعدما فرض عليهم عقوبات صارمة من خلال الحملات الفرنسية المتتالية والمتتابعة، وهذا ما أدى لانشغال الأمير عبد القادر في 1843م بإخضاع القبائل الجزائرية لمساندة المقاومة الشعبية الوطنية، حيث عملت السلطات الفرنسية لاستمالة عدة قبائل بالوعود والرشاوي والتهديدات وإجراءات قاسية ضد القبائل الجزائرية،المساندة لقوات المقاومة الشعبية الوطنية، وذلك من أجل السيطرة عليها، وجعلها حليفة للقوات الفرنسية لتستعملها كقوات احتياطية[3]، من أجل القضاء على عملية التطوع في جيش المقاومة الوطنية والسعي لكي لا يتم تموين القوات الشعبية الوطنية التي كان الأمير عبد القادر يستلهم منها قواته للمشاركة في الدفاع عن الوطن والعمل على طرد قوات الاحتلال الفرنسي التي كانت أكثر إصرارا وتنظيما من اجل التوسع وإنجاح عملية الاحتلال .

استفادت قوات الاحتلال الفرنسي بالجزائر من دراسة وضعية المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني حيث استعمل العثمانيون بالجزائر أمام تزايد عدد الجزائريين في ثرواتهم التفرقة بين القبائل الجزائرية ليجعلونهم يدمرون أنفسهم بأنفسهم[4].

5- تأثيرات السياسة الفرنسية في تحطيم البنى الاجتماعية:

1 - *Ibid* ,p. 225 – 227.

2 - R. Germain, *La politique indigène de Bugeaud, éd. Larousse*, Paris, 1955, t. 2, p. 287.

3- تشرشل شارل هنري ، المصدر السابق ، ص. 211.

4 - E. Cavignac, *La régence d'Alger note sur l'occupation, éd.* Magen, Paris, 1839., p.56.

عملت السلطات الاستعمارية الفرنسية على تحريض القبائل الموالية للمخزن العثماني ضد المقاومة الوطنية، بعدما رفضت بعض القبائل الجزائرية بإقليم وهران، الخضوع للصف الوطني وفضلت التعاون مع قوات الاحتلال الفرنسي، لذا قام الأمير عبد القادر بإصدار إجراءات صارمة تمنع الشعب الجزائري بإقليم وهران التعامل مع قوات الاحتلال الفرنسي والمتاجرة معه،[1] تكررت عروض زعماء قبائل الدوايز والزمالة لإعلان خضوعهم للقوات الفرنسية، فقاموا ببعث وفد للجنرال الفرنسي تريزل يطلبون منه الخضوع وتم إمضاء الاتفاقية بعين البيضاء بوهران بتاريخ 16 جوان 1835م،[2] أجبر الجنرال تريزل قبائل الدوايز والزمالة الخضوع للقوات الفرنسية، وقام بترحليهم إلى مسرغين في 14 جوان 1835م، اتفاقية التينة بين الجنرال تريزل وقادة قبائل الدوايز والزمالة تعتبر نقضا للمعاهدة التي أبرمها الأمير عبد القادر مع الجنرال ديميشال حتى لا يتسنى للأمير عبد القادر تنظيم صفوفه وتهيئة الوضع لإفشال المشروع الاستعماري، لذا قامت السلطات الفرنسية بخرق إحدى بنود الاتفاقية لاستئناف الحرب والاستفادة من فرسان الدوايز والزمالة نظرا لمعرفتهم الجيدة لمنطقة الغرب الجزائري، ومصادر تموينها لذا استغلتهم في مصلحتها للقضاء على المقاومة الشعبية الوطنية، والعمل على التفرقة بين أبناء الشعب الجزائري حتى لا يتم تجنيدهم ضد المشروع الاستعماري الفرنسي في الجزائر.

لقد اعترف الجنرال لامورسيير بأعمال فرسان الدوايز والزمالة في خدمة توطيد الاحتلال الفرنسي بالجزائر يوم 4 أكتوبر 1845م، بعث تقريرا لوزير الحرب يشيد فيه دور المخزن لتوطيد الاستعمار الفرنسي بالجزائر[3]، ولنقص الوعي السياسي والبعد الوطني لدى بعض رؤساء الطرق الصوفية بالجزائر التي ارتدت عن الجهاد، رغم أن المصير كان واحدا، ولكن الشيخ التيجاني بعد الاحتلال الفرنسي للأراضي الجزائرية يرتد عن طاعة أمير المؤمنين ويقف ضد الوحدة الوطنية في مجابهة الكافر المسيحي المغتصب لأراضيه وحرمات النساء، والمساجد والى جانب عمليات الإبادة والأرض المحروقة الممارسة ضد الشعب الجزائري الا أنه فضل الأمان للفرنسيين والخضوع لهم والاستكانة للعدو.

من خلال التفسير الاجتماعي لظاهرة استكانة بعض الطرق الصوفية للاحتلال الفرنسي وخدمة لمشروعه كالطريقة التيجانية، فمن خلال تحليلنا لظاهرة استخدام الدين في المشروع الاستعماري من خلال معرفة

1- تشرشل شارل هنري ، المصدر السابق ، ص. 99.

2- A. Belmare, *Abdelkader sa vie politique et militaire*, *éd.* Bouchene, Paris, 2003., p. 60-61.

-

A. Belmare, *Abdelkader sa vie politique et militaire,op.ct.*, p. 223 -225. -3

سلطات الاحتلال الفرنسي مدى التأثير الديني في المجتمع الجزائري وخاصة من قبل الطرق الصوفية التي كان لها صدى اجتماعي واسع النطاق ، فعملية التفكيك الاجتماعي وضرب وحدة المقاومة الوطنية تمثلت حتى في كيفية استخدام الدين في بعده الاجتماعي لإنجاح المشروع الاستعماري.

استهدفت السياسة الفرنسية جزأرة الحرب بالجزائر، وذلك بكسب مؤيدين لها بالبلاد يعملون لخدمتها ومصالحها الاستعمارية، لذا عملت على مبدأ التفرقة بين الشعب الجزائري حتى تقضي على المقاومة الشعبية، وتستفيد من هؤلاء المنشقين نظرا لمعرفتهم بتضاريس المنطقة التي يعملون بها، ويتم تجنيد هذه القوات الجزائرية إلى الصف الفرنسي لخدمة مصالح الاحتلال الفرنسي، وذلك من أجل المحافظة على ميزانية الدولة الفرنسية وتخفيض نفقاتها الحربية، لذا قام الجنرال كلوزال بإنشاء قوات عسكرية تعمل على حرق المحاصيل والمنازل وتقوم بقطع الأشجار تدعى كتيبة الزواف، من السكان الجزائريين بمنطقة القبائل[1]، وفق قانون 10 أكتوبر 1830 يتكون أغلبهم من الزواوة الذين يعيشون شرق الجزائر بجبال جرجرة[2].

أعطت قوات الزواف والقناصة دفعا قويا في الحملات العسكرية الفرنسية، إلى جانب قوات الاحتلال الفرنسي بالجزائر والعمل على التفرقة بين أبناء الشعب الجزائري، لتوطيد الاستعمار الفرنسي والعمل على تحطيم وإفشال كل سبل المقاومة الجزائرية، باستعمال كل الطرق التي يمكنها القضاء عليها وتجنيد جزائريين ضد إخوانهم خدمة للمصلحة الفرنسية، يمكن الاستفادة منهم كمرشدين وجنود في صفوف الجيش الفرنسي تجسيدا للمشروع الاستيطاني الفرنسي.

تشكلت فرقة الصبايحية في العهد العثماني من بعض أبناء الشعب الجزائري ينتمون للعائلات الكبيرة يجندون لخدمة آغا العرب يوفر الصبايحي حصانه، وبندقيته،[3]وقد صدر أمر ملكي في07 ديسمبر 1841م يقضي بتحويل هذه الفرقة إلى فرقة منتظمة تخضع للجيش الفرنسي وتعمل في صفوفه فتم ترسيم الفيلق الأول بمقاطعة الجزائر والفيلق الثاني بوهران والفيلق الثالث بقسنطينة.[4]

6- انعكاسات السياسة الفرنسية في تفكيك وحدة الشعب الجزائري:

1-J. Ladmir, *Les guerres d'Afrique*, *éd.* Renault, Paris, 1858., p. 52.

2-S. Josef, *Histoire du deuxième régiment de zouaves*, *éd.* Lacheseet, Paris, 1898, p. 5.

3 - عباد صالح ، الجزائر خلال الحكم العثماني 1514- 1830 ،دار هومة للطباعة والنشروالتوزيع ، الجزائر ،2004، ص. 318.

4-V. De Paradis, *Alger au 18ème siècle*, *éd.* Fagnan, Alger, 1898, p. 75 -76.

قامت السلطات الفرنسية بالجزائر لتحقيق نفوذها الاستعماري، بالعمل على التقرب من الشخصيات المحلية وكلفتهم بمراقبة السكان، ويتم اختيار هذه الشخصيات حسب نفوذ قوات الاحتلال الفرنسي بالمنطقة ويتم تعيين آغا للعرب، أحدث الجنرال روفيقو الحاكم العام بالجزائر سنة 1833م فرعا سماه المكتب العربي يطلق عليه مصلحة الشؤون العربية ،[1] كانت هذه الهيئة الفرنسية تعمل من أجل إخضاع القبائل الجزائرية للنفوذ الفرنسي بالجزائر ومهدت لإدارة الشعب الجزائري، كان هدف الجنرال روفيقو من إنشاء الديوان العربي بالاعتماد على مترجمين مختصين في الشؤون العربية،[2] الاتصال برؤساء القبائل في جميع أنحاء البلاد وطمأنتهم بأن الإدارة العسكرية الفرنسية، لا تنوي أن تلحق الضرر بهم إذا ما تعاونوا معها وساعدوها ضد المقاومة الشعبية الوطنية، أول شخصية عينت لهذا المنصب النقيب لامورسيير الذي كان يتقن اللغة العربية، حيث أعطى هذا الضابط دفعا كبيرا لهذه المصلحة للدعاية من أجل سياسة التوسع الاستعماري[3]

شهر أفريل 1837م تم إعادة تأسيس إدارة الشؤون العربية بقيادة الرائد بليسي" Pellissier "، كلف بمراقبة تحركات الجيش الوطني الشعبي بقيادة الأمير عبد القادر، لقد قدم بليسي استقالته وخلفه النقيب ألونفيل"Allanvile"،كما قام الجنرال فالي بمقاطعة قسنطينة بتنصيب بعض شيوخ قبائل المنطقة مثل سي حمودة ولد سيدي الشيخ تحت وصاية السلطة الفرنسية، الهدف من هذا النظام الإداري الفرنسي خدمة المصالح الفرنسية بالجزائر والتعرف على بنية المجتمع الجزائري، والعمل على كيفية تفكيكه وإخضاع شعبه[4]، كانت إدارة الشؤون العربية 1837م مسؤولة عن عملية الاتصال برؤساء القبائل والتفاوض معهم، وإقناعهم بالتعاون مع قوات الاحتلال الفرنسي، مقابل احترامها لأساليب عملهم وتقاليدهم وتوفير الأمن والاستقرار بمناطقهم وحماية مصالحهم [5] .

استغل الجنرال بيجو نفوذ رؤساء القبائل وخاصة بالناحية الشرقية من البلاد، وتم تأسيس إدارة الشؤون العربية في16 أوت 1841م، وعين الضابط دوما رئيسا لها ،أنشئت إدارة المكاتب العربية بمقتضى مرسوم

-1 X. Yacono, *Les bureaux arabes et l'évolution des genres de vie indigènes dans l'ouest du Tell Algérois Dahra Chélif Ouarsenis Sarsou*, *éd.* Larousse, Paris, 1953, t. 1, p. 10-11.

2-R. Germain, *La politique indigène de Bugeaud*, *op.cit.*, t. 2, p. 194.

3-E. De Reynaud Pillissier, *Annales Algériennes*, Librairie Militaire,Paris, 1854., t. 1, p. 291 -300.

4-Ch.-A. Julien, *Histoire de l'Algérie contemporaine conquête et colonisation (1827- 1871), op.cit.*, p. 334 -335.

5-X. Yacono, *Les bureaux arabes et l'évolution des genres de vie indigènes dans l'ouest du Tell Algérois Dahra Chélif Ouarsenis Sarsou*, *op. cit.*, t. 1, p. 13 -14.

وزاري 1 فيفري 1844م، لقد أدخل الجنرال دوما "Daumas" تعديلات على إدارة الشؤون العربية بوضع سلم إداري للمؤسسة[1].

تعريف المكتب العربي: حسب هيقونيت "Hugonet" هو حلقة وصل بين الجنس الأوربي الذي استوطن بالقطر الجزائري منذ 1830م والجزائريين الذين يقطنون البلاد[2].

قرر الجنرال بيجو شهر فيفري 1844م تأسيس وبصفة رسمية المكاتب العربية، بوضع هياكل إدارية تعمل من أجل إخضاع الجزائريين وتم تقسيم المكاتب العربية لإدارة الشؤون العربية على مستوى القيادة العسكرية بتقسيمها إلى ادارت فرعية بالمقطعات الثلاث الموجودة بالجزائر، لكل مقاطعة وحدات من الدرجة الأولى وأخرى ثانوية من درجة ثانية وحسب هذا القرار الوزاري تم إنشاء المكاتب العربية يعمل بها إداريون بكل مقاطعة[3] .

تعتبر دراسة المجتمع الجزائري من قبل ضباط فرنسيين والعمل على معرفة أراضيه الزراعية وتنظيماته، الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ومصادر تموين المقاومة، ذات أهمية قصوى للاستعمار الفرنسي وذلك من أجل تحقيق النفوذ الفرنسي وتوسعاته، والعمل على تفكيك المجتمع وتشتيت قواته والقضاء على وحدته التي كان يسعى الأمير عبد القادر إلى تحقيقها.

لكن المساعي الفرنسية والدراسات الأنتروبولوجية، عن طريق عدة ضباط فرنسيين يتقنون اللغة العربية، لهم اطلاع على عادات العرب وتشكيلاتهم الاجتماعية، استطاعوا كسب عدة رؤساء قبائل إلى صفهم وتشكيلات اجتماعية وعسكرية استطاعت من مساندتهم كفرق الزواف والصبايحية، خدمة لمصالح قوات الاحتلال الفرنسي،

استفادت السلطات الفرنسية من النظام العثماني بالجزائر في اعتمادها على طرق وأساليب في إخضاع الشعب الجزائري بتسليح قبائل ضد أخرى، للتفرقة بين الشعب والعمل على تفكيك وحدة المجتمع، وذلك كما فعل العثمانيون مع قبائل المخزن قدموا لهم امتيازات مقابل تسليطهم على قبائل أخرى كانت ضد التواجد العثماني بالجزائر.

1-Ch.-A. Julien, *Histoire de l'Algérie contemporaine conquête et colonisation (1827- 1871), op.cit.*, p. 334 -335.
2-F. Hugonet, *Souvenirs d'un chef de bureaux Arabe, éd.* Levry, Paris, 1858, p. 5-6. -2
3-Ch.-A. Julien, *Histoire de l'Algérie contemporaine conquête et colonisation (1827- 1871), op.cit.*, p. 334 -335.

نستنتج من خلال الدراسة التاريخية للمجتمع الجزائري، وآليات التغيير التي طرأت على البنية الاجتماعية من خلال تأثير السياسة الاستعمارية الفرنسية على المجتمع الجزائري، والوسائل الجديدة التي استحدثتها للتحكم في البناء الاجتماعي والأدوات التي تنظمه، وتتحكم فيه من خلال عدة دراسات اجتماعية وانتروبولوجية للمجتمع الجزائري، استطاعت من خلالها السلطات الاستعمارية الفرنسية التعرف على مكامن القوة والضعف في المجتمع الجزائري وكيفية التحكم فيه.

الخاتمة:

إن أهمية الدراسة من خلال المعطيات الاجتماعية التي تستطيع أن تغير من توجهه الاجتماعي والإنساني له ا دلالة وثيقة بعلم الاجتماع وتأثيراته في الوسط، ومن خلال الدراسة التاريخية حول التركيبة الاجتماعية الجزائرية خلال الفترة الاستعمارية 1830-1847م نموذجا"، توصلنا إلى مجموعة النتائج التالية:

إن دراسة المجتمع الجزائري خلال الفترة الاستعمارية مر بمجموعة من المراحل حسب الفترة الزمنية التي قمنا بدراستها فمن خلال تحليلنا للوضعية الاجتماعية للمجتمع الجزائري لاحظنا مدى التأثير الاجتماعي الطبقي والتمايز بين تلك الطبقات الاجتماعية التي ولدتها السلطات العثمانية قبيل فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر وكيف استطاعت السلطة العثمانية من فرض تواجدها في ظل التركيبة الاجتماعية الجزائرية التي كانت مبنية أساسا على مجموعة من الفوارق والامتيازات وإذكاء الصراع القبلي.

ومن جهة أخرى أن نهاية العهد العثماني في الجزائر في ظل تلك البنية الاجتماعية ، ومع بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر وتوسعاته أدى هذا التوسع الاستعماري إلى ظهور الفوضى العارمة بالجزائر نتيجة نهاية النظام الذي كان باستطاعته تامين الاستقرار والأمن ، وهذا نتيجة عدة اعتبارات اجتماعية تولدت عنها روح الانتقام في ظل ما كانت تعيشه الفئات الاجتماعية الجزائرية من ظلم وتعسف النظام العثماني من جهة والقبائل المنفذة من جهة أخرى.

ومن بين اهم النتائج هو عدم نجاح المشروع الوحدوي في إطار المقاومة الوطنية بقيادة الأمير عبد القادر في ظل ذلك التباين الطبقي الاجتماعي وهذا ما أدى إلى عدم انخراط كل القبائل إلى صفوف المقاومة الشعبية الوطنية ضد المشروع الاستعماري الفرنسي ، فالقبائل كانت تغذيها العصبية القبلية وروح الانتقام أكثر مما يهمها ذلك المشروع الوطني في صد الاستعمار وسياسته التوسعية.

ومن النتائج هو الدراسة الاجتماعية والانتروبولوجية من قبل مختصين وخبراء فرنسيين استطاعوا من معرفة التركيبة الاجتماعية والبشرية للمجتمع الجزائري واليات التحكم فيه من خلال السياسة الاستعمارية الفرنسية اتجاه المجتمع الجزائري بمختلف شرائحه الاجتماعية.

وفي الأخير نستنتج أن الدراسة الاجتماعية للظاهرة التاريخية ذات أهمية بالغة في معرفة المجتمعات واليات التغير الاجتماعي وكيفية التفاعل الاجتماعي في معرفة نمط عيشه وكيفية تسييره وضبط قوانينه الاجتماعية.

- قائمة المصادر والمراجع:

-المراجع العربية:

– أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية،ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1992.

– الآغا بن عودة المازاري ، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وفرنسا وإسبانيا، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1990.

– السبع بن عبد الرزاق ، الأمير عبد القادر الجزائري أديبا، الإسكندرية، 1988.

– المهدي البوعبدلي– ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1985.

– حميدة عميراوي، جوانب من السياسة الفرنسية وردود الفعل الوطنية في قطاع الشرق الجزائري "بداية الاحتلال"، مطبعة البعث، قسنطينة، 1984.

– تشرشل شارل هنري ، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة أبو القاسم سعد الله، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2004.

– صالح عباد ، الجزائر خلال الحكم العثماني 1514– 1830 ،دار هومة للطباعة والنشروالتوزيع ، الجزائر ،2004، ص. 318.

– محمد بن مبارك الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976.

– محمد طه الحاجري، جوانب من الحياة العقلية والأدبية في الجزائر، معهد البحوث والدراسات العربية،القاهرة، 1968.

– ناصر الدين سعيدوني، أساسيات منهجية التاريخ، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2000،.

– ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر الفترة العثمانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.

– ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر، الجزائر،2009.

المجلات:

– حميدة عميرات ، عثمان خوجة حياته وآثاره، مجلة الثقافة، العدد93،الجزائر،1985.

-المراجع الفرنسية:

-Ageron. Ch.R, Histoire de l'Algérie contemporaine1830-1873, éd.Presse universitaire, Paris, 1980.

- Azan .P, Les grands soldats de l'Algérie, éd. Pigelrt, Orleans, 1930.

- Belmare. A, *Abdelkader sa vie politique et militaire, éd.* Bouchene, Paris, 2003.

-Cavignac. E, *La régence d'Alger note sur l'occupation, éd.* Magen, Paris, 1839.

- De Paradis .V, *Alger au 18ème siècle, éd.* Fagnan, Alger, 1898.

- Emrit .M, L'Algérie à l'époque d'Abd elkader, éd. Larousse, Paris, 1951.

Esquer .G, La prise d'Alger 1830, éd. Librairie Larose, Paris, 1929.

- Estirasy .W, *Notice historique sur le maghzen d'Oran, typographie de Berrier*, Paris, 1849.

- Germain .R, *La politique indigène de Bugeaud, éd. Larousse*, Paris, 1955, t. 2.

- Josef. S, *Histoire du deuxième régiment de zouavres, éd.* Lacheseet, Paris, 1898.

- Hugonet .F, *Souvenirs d'un chef de bureaux Arabe, éd.* Levry, Paris, 1858.Julien .Ch.-A, *Histoire de l'Algérie contemporaine conquête et colonisation (1827- 1871),P.U.F,Paris,1964.*

- Ladmir .J, *Les guerres d'Afrique, éd.* Renault, Paris, 1858.

- Pillissier .E. De Reynaud, *Annales Algériennes*, Librairie Militaire,Paris, 1854., t. 1.

- Richard .Ch, *Étude sur l'instriction du Dahra 1845-1846*, Alger, 1846.

- Yacono .X, *Les bureaux arabes et l'évolution des genres de vie indigènes dans l'ouest du Tell Algérois Dahra Chélif Ouarsenis Sarsou, éd.* Larousse, Paris, 1953, t. 1.

"إن من يتحكم بالماضي يمسك بالمستقبل"[1]

جورج أورويل

سميره تفادي

يعد التاريخ عمودا فقريا لقيام التأسيس النهضوي لأي دولة ما ومنه تستنبط رموزها ومقوماتها الانتمائية بدءا بما تتوارثه الأجيال عن السلف في طبيعة الميكانيزمات المحكوم بها والمحتكم إليها عرفا كان أو دستورا أو عادات متوارثة وعليه انطلاقا من سيرورة الشعوب في تحقيق الاستقرار الأمني والرقي يرتقب مستقبلها بين الأمم وبذلك يعد التاريخ ذاكرة تحفظ مالنا وما علينا إزاء الأرض الأصل والعرق وكون ذاكرة الأمة والدولة تفرض لا محال الزخم الكتابي من أقلام المؤرخين والمبدعين أكاديميا في طرح الذاكرة محليا كانت أم وطنية توجب الاهتمام المطلق والجدي بفتح مراكز، معاهد تربوية، و أقسام جامعية يعنى بها من أجل إنتاج علمي أكاديمي تاريخي يصون رموز الدولة من النسيان والضياع ويضمن الاستمرارية لمقومات الأمة.

لقد تنوعات الكتابات التاريخية بحسب المدارس والمناهج المتبعة وحتى باختلاف الميولات0000 والأهواء في طرح الكتابة إذ يرد الاختلاف من المؤرخ الحر إلى المؤرخ الأكاديمي إلى الصحفي إلى المغامر الهاوي والسياسي والاجتماعي، فبكثرة التخصصات تعددت الكتابة التاريخية ومن هذا المنطلق أخذنا عينة الكتابات التاريخية الأكاديمية على المستوى الجامعي وبالأخص قسم التاريخ بجامعة وهران، طور الدراسات العليا لدرجتي الماجستير والدكتوراه لكلا النظامين القديم والجديد حيث التوحيد الواضح في الطرح المنهجي والإشراف البيداغوجي ذو الأمانة العلمية بفضل أساتذة إطارات كونت وطنيا ودوليا ساعية في تتبع المنتوج العلمي المطروح على مستوى القسم تبعا لنمطية المشاريع المفتوحة.

تدور إشكالية المداخلة في طبيعة ونمطية التاريخ المبحوث أي بمعنى أي تاريخ يبحث أو أي تاريخ بحث بالنسبة لرسائل الماجستير والدكتوراه لقسم التاريخ بجامعة وهران أو بمعنى أصح أي نوع من الأجناس التاريخية يغلب على رسائل الدراسات العليا وما هو التقسيم العلمي لهذه المنجزات تحت أيادي مكونة علميا ويشهد لها بالإنجاز الفعلي على مستوى القسم وحتى بيداغوجيا.

من أجل إعطاء نتائج شاملة وإجابة تلم بسؤال الإشكالية حددنا مداخلتنا في عناصر هي كالآتي:

2. رصد بيبلوغرافي لرسائل الماجستير والدكتوراه لقسم التاريخ بجامعة وهران
3. قراءة تحليلية لطبيعة المواضيع المتداولة
4. الأجناس التاريخية الخاصة برسائل المشاريع
5. النسق الطرحي لموضوعات الرسائل أي تاريخ يبحث
6. خاتمة

1- فرانسوا دوس، التاريخ المفتت من الحوليات إلى التاريخ الجديد، ترجمة محمد الظاهر المنصوري، مراجعة جوزيف شريم، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، 2009، ص25.

1- **الرصد البيبليوغرافي لرسائل الماجستير والدكتوراه لقسم التاريخ بوهران:**

تم ضبط الجرد البيليوغرافي من خلال ثلاث جداول لكل درجة من الماجستيروالدكتوراه اختصت بثلاث تخصصات: تخصص تاريخ قديم وتخصص تاريخ وسيط بنوعين: مغرب وسيط ومشرق وسيط وتخصص تاريخ حديث ومعاصر مع الإحصاء العام لكل الرسائل بنوعي النظام البيداغوجي نظام قديم ونظام جديد، مع الشمل لكل أنواع الدكتوراه المأخوذة سواء دكتوراه درجة ثالثة أو دكتوراه دولة أو دكتوراه علوم، وعليه يمكن من خلال الاستطلاع الأولى على الجداول نتكشف المزايا الخاصة بمشاريع القسم وأي مسار أخذته طبيعة المواضيع المعالجة.

درجة ماجستير تاريخ قديم[1] :

صاحب الرسالة	عنوان المذكرة	المشرف	سنة المناقشة أو التسجيل	طبيعة الجنس التاريخي
منصوري خذيجة	الدوناتية وثورات القرن الرابع في شمال إفريقيا	محمد البشير شنتي	1987	عسكري-سياسي اقتصادي
لخضر فاضل	مقاومة سكان شمال إفريقيا للاحتلال البيزنطي	منصوري خذيجة	2002	عسكري-سياسي اجتماعي
بنت النبي مقدم	سياسة الرومان تجاه قبائل بلاد المغرب القديم خلال العهد الإمبراطوري الأولى	منصوري خذيجة	2003	عسكري-سياسي اجتماعي
خالدية مضوي	ملوك بلاد المغرب القديم قبل الاحتلال الروماني	منصوري خذيجة	2003	عسكري-سياسي اقتصادي

1- بوباية عبد القادر، قائمة برسائل الماجستير والدكتوراه التي نوقشت ومسجلة في معهد قسم التاريخ، جامعة وهران من سنة 1985 إلى أكتوبر 2004، مجلة عصور، العدد 4-5، ديسمبر 2003، جوان 2004، ص310.

قدوربن عباد مامة	الفسيفساء في موريطانيا القيصرية خلال العهد الروماني 1996	منصوري خذيجة	1996	ثقافي- اجتماعي سياسي
م.بن عبد المؤمن	بورتوس ماغنوس: دراسة مونوغر افية	بلقاسم رحماني	1996	سياسي- اجتماعي- ثقافي
مختارناير	الديانات الوثنية في بلاد المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني العهد الإمبراطوري الأعلى	بوباية عبد القادر بوعيزم	1997	ديني- سياسي اجتماعي ثقافي
سالمي سعاد بهية	النظام الإداري في إفريقيا في العهد البيزنطي	منصوري خذيجة	1998	سياسي- عسكري اقتصادي
صندوق ستي	دراسة نمطية للمصابيح المحفوظة بالمتحف الوطني أحمد زبانة	منصوري خذيجة	2007	ثقافي- اجتماعي
بغداد رباحي	دراسة حول موريطانيا قبل الاحتلال الروماني	بشيرشنيتي	1993	ثقافي- سياسي عسكري

درجة ماجستير تاريخ وسيط[1] :

صاحب الرسالة	عنوان المذكرة	المشرف	سنة المناقشة أو التسجيل	طبيعة الجنس التاريخي
محمد بن معمر	تاريخ القضاء الإسلامي وتطوره ببلاد المغرب على عهد المرابطين والموحدين	إبراهيم فخار	1995	سياسي – ثقافي ديني - اجتماعي
بوباية عبد القادر	مخطوط مفاخر البربر دراسة وتحقيق	إبراهيم فخار غازي جاسم الشمري	1996	اجتماعي- ثقافي

1- بوباية عبد القادر، نفس المرجع، ص310.

سليمان بهلولي	الدولة السليمانية والإمارات العلوية في المغرب الأوسط (73-342هـ/789-954م)	غازي جاسم الشمري	2000	عسكري- سياسي اجتماعي
عبيد بوداود	ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين 7-9هـ / 13-15م	غازي جاسم الشمري	2000	ديني- اجتماعي ثقافي
حنيفي هلايلي	المورسكيون الأندلسيون في المغرب الأوسط خلال القرنين 16م-17م	عبد الحميد حاجيات	2000	اجتماعي- ثقافي سياسي
عمر بلبشير	مرجعية الإحياء وإشكالية الحكم في تاريخ المغرب الإسلامي من بداية ق6هـ إلى نهاية القرن 8هـ	غازي جاسم الشمري	2002	سياسي عسكري ثقافي - اقتصادي
جازية هرباش	ثورة بني غانية من سنة 580 إلى سنة 633هـ	عبد المجيد بن نعمية	2002	عسكري سياسي
نور الدين زرهوني	الطب والخدمات الطبية في الأندلس خلال القرن السادس الهجري والثاني عشر م	عبد المجيد بن نعمية	2002	ثقافي اجتماعي
محمد بن جبور	صورة الجزائروالجزائريين من خلال الكتابات الفرنسية خلال القرنين 17 و18م	غازي جاسم الشمري	2003	اجتماعي ثقافي
عبد الكريم شباب	صورة المجتمع في المغرب الأوسط خلال القرنين 7 و8هـ / 13-14م	غازي جاسم الشمري	2004	اجتماعي ثقافي - سياسي

درجة ماجستير تاريخ وسيط[1] :

صاحب الرسالة	عنوان المذكرة	المشرف	سنة المناقشة أو التسجيل	طبيعة الجنس التاريخي
محمد بن معمر	تاريخ القضاء الإسلامي وتطوره ببلاد المغرب على عهد المرابطين والموحدين	إبراهيم فخار	1995	سياسي – ثقافي ديني - اجتماعي
بوباية عبد القادر	مخطوط مفاخر البربر دراسة وتحقيق	إبراهيم فخار غازي جاسم الشمري	1996	اجتماعي- ثقافي
سليمان بهلولي	الدولة السليمانية والإمارات العلوية في المغرب الأوسط (73-342هـ/789-954م)	غازي جاسم الشمري	2000	عسكري- سياسي اجتماعي
عبيد بوداود	ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين 7-9هـ / 13-15م	غازي جاسم الشمري	2000	ديني- اجتماعي ثقافي
حنيفي هلايلي	المورسكيون الأندلسيون في المغرب الأوسط خلال القرنين 16م-17م	عبد الحميد حاجيات	2000	اجتماعي- ثقافي سياسي
عمر بلبشير	مرجعية الإحياء وإشكالية الحكم في تاريخ المغرب	غازي جاسم الشمري	2002	سياسي عسكري ثقافي - اقتصادي

1- بوباية عبد القادر، نفس المرجع، ص310.

	الإسلامي من بداية ق6هـ إلى نهاية القرن 8هـ			
جازية هرباش	ثورة بني غانية من سنة 580 إلى سنة 633هـ	عبد المجيد بن نعمية	2002	عسكري سياسي
نورالدين زرهوني	الطب والخدمات الطبية في الأندلس خلال القرن السادس الهجري والثاني عشر م	عبد المجيد بن نعمية	2002	ثقافي اجتماعي
محمد بن جبور	صورة الجزائر والجزائريين من خلال الكتابات الفرنسية خلال القرنين 17 و18م	غازي جاسم الشمري	2003	اجتماعي ثقافي
عبد الكريم شباب	صورة المجتمع في المغرب الأوسط خلال القرنين 7 و 8هـ / 13-14م	غازي جاسم الشمري	2004	اجتماعي ثقافي - سياسي

درجة ماجستير تاريخ وسيط[1] :

صاحب الرسالة	عنوان المذكرة	المشرف	سنة المناقشة أو التسجيل	طبيعة الجنس التاريخي
محمد بن معمر	تاريخ القضاء الإسلامي وتطوره	إبراهيم فخار	1995	سياسي – ثقافي ديني - اجتماعي

1- بوباية عبد القادر، نفس المرجع، ص310.

	ببلاد المغرب على عهد المرابطين والموحدين			
بوباية عبد القادر	مخطوط مفاخر البربر دراسة وتحقيق	إبراهيم فخار غازي جاسم الشمري	1996	اجتماعي- ثقافي
سليمان بهلولي	الدولة السليمانية والإمارات العلوية في المغرب الأوسط (73-342هـ/789-954م)	غازي جاسم الشمري	2000	عسكري- سياسي اجتماعي
عبيد بوداود	ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين 7-9هـ / 13-15م	غازي جاسم الشمري	2000	ديني- اجتماعي ثقافي
حنيفي هلايلي	المورسكيون الأندلسيون في المغرب الأوسط خلال القرنين 16م-17م	عبد الحميد حاجيات	2000	اجتماعي- ثقافي سياسي
عمر بلبشير	مرجعية الإحياء وإشكالية الحكم في تاريخ المغرب الإسلامي من بداية ق6هـ إلى نهاية القرن 8هـ	غازي جاسم الشمري	2002	سياسي عسكري ثقافي - اقتصادي
جازية هرباش	ثورة بني غانية من سنة 580 إلى سنة 633هـ	عبد المجيد بن نعمية	2002	عسكري سياسي
نورالدين زرهوني	الطب والخدمات الطبية في الأندلس	عبد المجيد بن نعمية	2002	ثقافي اجتماعي

	خلال القرن السادس الهجري والثاني عشر م			
محمد بن جبور	صورة الجزائر والجزائريين من خلال الكتابات الفرنسية خلال القرنين 17 و18م	غازي جاسم الشمري	2003	اجتماعي ثقافي
عبد الكريم شباب	صورة المجتمع في المغرب الأوسط خلال القرنين 7 و 8هـ / 13-14م	غازي جاسم الشمري	2004	اجتماعي ثقافي - سياسي

تريكي فتيحة	جوانب من الحياة الاجتماعية البربر في الأندلس من الفتح إلى دخول المرابطين	بلهواري فاطمة الزهراء	2010	اجتماعي
حاج عبد القادر يخلف	الإسهام الفكري للبربر بالأندلس من العهد العامري إلى نهاية الوجود المرابطين 371هـ/539-981-1144	بوباية عبد القادر	2009	فكري – ثقافي
حاكمي الحبيب	الإسهام العلمي للبربر في الأندلس على عهد الموحدين من منطلق القرن السادس إلى مط مطلع السابع الهجريين 12 و13	بوباية عبد القادر	2010	فكري – ثقافي – اجتماعي
رابح رمضان	النشاط التجاري بالأندلس خلال القرنين 4-5هـ / 10-11م	بن معمر محمد	2008	اقتصادي – سياسي
زيدور حميد	البربر بين المعارضة والموالاة على عهد الإمارة الأموية بالأندلس 138هـ/356م	بوباية عبد القادر	2008	سياسي – عسكري اجتماعي

سباب خيرة	الخلافة العباسية في القاهرة 923/ه669	غازي جاسم الشمري	2000	سياسي - اجتماع
سيف الدين محي الدين	المستعربون ودورهم في تاريخ الأندلس 759-1090	بوباية عبد القادر	2008	ثقافي- اجتماعي
طيطح نصيرة	الكتابة السلطانية في عمر الخلافة الأموية بالأندلس 316-422 / 929-1031	بلهواري فاطمة الزهراء	2009	اجتماعي – ثقافي
عدالة مليكة	الإسهامات العلمية للبربر في الأندلس من خلال كتاب تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي	بلهواري فاطمة الزهراء	2010	ثقافي - فكري

درجة ماجستير تاريخ حديث :

صاحب الرسالة	عنوان المذكرة	المشرف	سنة المناقشة أو التسجيل	طبيعة الجنس التاريخي
سيد أحمد بلبوري	الاحتلال الإسباني الأول لوهران	منور الصم	1985	عسكري- سياسي
مهديد إبراهيم	الحركة الوطنية الجزائرية في القطاع الوهراني	منور الصم	1986	سياسي - اجتماعي
كريمة مجدوب	ظاهرة انعدام الأمن وإشكالية المقاومات الاجتماعية والشعبية بالقطاع الوهراني	منور الصم	1997	عسكري- سياسي اجتماعي
عدة بن داهة	الثورة الجزائرية بمعسكر وضواحيها 1954-1958	دحو فغرور	2001	عسكري اجتماعي
لحسن شاكر	نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مدينة معسكر 1931-1956	دحو فغرور	2000	اجتماعي ديني
بشير بلمهدي علي	المساجد الرسمية وموقف صحافة جمعية العلماء المسلمين منها 1931-1956	عبد الحميد بن نعمية	2002	ديني- اجتماعي ثقافي

مصطفى أوعامري	الحركة الوطنية الجزائرية في القطاع الوهراني خلال الحرب العالمية الثانية 1939-1945	دحو فغرور	2002	عسكري اجتماعي ثقافي
جيلالي بلوفة	نشاط حزب الشعب الجزائري حركة انتصار الحريات الديمقراطية في عمالة وهران 1939-1951	دحو فغرور	2002	سياسي-اجتماعي ديني ثقافي
محمد بوشنافي	الجيش الانكشاري خلال العهد العثماني في الجزائر 1700-1830	بوعلام بلقاسمي	2002	عسكري سياسي-اقتصادي
كريم ولد النبية	البلدية المختلطة والحركة الوطنية الجزائرية: نموذج بلدية عين تموشنت المختلطة 1937-1947	دحو فغرور	2002	عسكري سياسي-اجتماعي
بن عتو بلبروات	الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري 1779-1799	بوعلام بلقاسمي	2002	ديني- اجتماعي ثقافي
عبد القادر جيلالي	الحدود في المغرب العربي 1830-1912 الأبعاد التاريخية والجيوستراتيجية	بوعلام بلقاسمي	2002	اجتماعي-سياسي عسكري
علي بن حويدقة	نشاط الحزب الشيوعي الجزائري بمنطقة سيدي بلعباس 1936-1954	دحو فغرور	2003	سياسي-اجتماعي ثقافي
رحمونة بليل	العلاقات التجارية في إيالة الجزائر مع بعض موانئ البحر المتوسط (مرسيليا وليفورن)	دحو فغرور	2003	اجتماعي- ثقافي دبلوماسي
عابد سلطانة	الرسائل العربية بأرشيف وزارة الحربية الفرنسية دراسة لعينة من رسائل المخزن الكراغلة وزعماء القبائل	دحو فغرور	2003	عسكري اجتماعي ثقافي
مختار بوثقاب	تاريخ الطريقة الدرقاوية في الجزائر	دحو فغرور	2003	ثقافي – سياسي-اجتماعي
خديجة بختاوي	إصلاحات 1919 و أثارها السياسية الاقتصادية والاجتماعية في عمالة وهران 1919-1965	عبد الحميد بن نعمية	2003	ثقافي اجتماعي اقتصادي

خيرة بوسعادة	التركيبة الاقتصادية والسياسية الجزائرية ما بين 1936-1936	عبد الحميد بن نعمية	2003	اقتصادي – اجتماعي سياسي
الجيلالي شقرون	العلاقات الدبلوماسية بين ايالة الجزائر والولايات المتحدة الأمريكية 1776-1830	عبد الحميد بن نعمية	2004	دبلوماسي سياسي – ثقافي
حيان قنون	دورومكانة الأسبان في ترسيخ الاستعمار الفرنسي في القطر الجزائري 1831-1900	دحو فغرور	2004	عسكري سياسي- اجتماعي
أوهيبة خديجة	موقف منظمة المؤتمر الإسلامي من قضية القدس	عدة بليل	2010	سياسي – ثقافي
امخلاف آمال	عمر راسم حياته ونشاطه 1884-1959	بن نعمية	2001	ثقافي – اجتماعي
بحري أحمد	الحياة الاجتماعية بالجزائر في عهد الدايات 1671-1830	فغرور دحو	2003	اجتماعي – سياسي
بداني أحمد	الجزائر خلال المرحلة الانتقالية 19 مارس 5 جويلية 1962	بن نعمية	2013	سياسي – عسكري
برشان محمد	الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في منطقة بشار 1903-1962	بن نعمية	2013	اجتماعي – اقتصادي ثقافي
برمكي محمد	الجيش الفرنسي في الصحراء الجزائرية 1954-1962	بن نعمية	2013	عسكري
برنو توفيق	دكتور محمد بن عيسى أمير الطبيب المناضل 1926-1990	خليفي عبد القادر	2006	ثقافي - اجتماعي
بقبق زهرة	الأمير عبد القادر في الأندلس 1848-1852	منصوري	2010	ثقافي – اجتماعي
بكار محمد	د.محمد الصالح بن جلول 1893-1985	بن نعمية عبد المجيد	2008	ثقافي – اجتماعي
بلبروات بن عتو	المدينة والريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني	بلقاسمي بوعلام	2008	ثقافي – اجتماعي
بلقاسم محمد	الاتجاه الوحداوي في المغرب العربي 1328-1954	أبو القاسم سعد الله	2008	ثقافي – اجتماعي – سياسي

بن تركية عبد الحكيم	التوسع الاستعماري الفرنسي في السودان الغربي ومقاومة ساموري ثوري 1854-1919	جمال قنان	1996	عسكري – سياسي
بن داود أحمد	دور المسرح الجزائري في المقاومة الثقافية للاستعمار الفرنسي 926-1954	بوشيخي الشيخ	2009	ثقافي – اجتماعي – فكري
بن عبد المؤمن بهية	الحياة الاجتماعية بإقليم توات خلال القرنين 18 و19	بن معمر محمد	2006	ثقافي – اجتماعي
بن غليمة سهام	إضراب ثمانية أيام 28 جانفي 4 فيفري 1957 و انعكاساته على مسار الثورة الجزائرية	رابح لونيسي	2011	عسكري – سياسي
ثابتي حياة	الحرب العالمية الأولى 1900-918 و انعكاساتها	مهديد إبراهيم	2007	عسكري – سياسي
جيلالي حورية	زدور إبراهيم العالم المهاجر 1933-1954	مهديد إبراهيم	2009	ثقافي – سياسي
حباش فاطمة	سي الأعلى بن بوبكر القايد العسكري لثورة أولاد سيدي الشيخ 1820-1896	بن علمية عبد المجيد	2009	ثقافي – سياسي
حرشوش كريمة	جرائم الجنرالات الفرنسيين منذ مقاومة الأمير عبد القادر في الجزائر من خلال أدبياتهم	صم منور	2010	عسكري – سياسي
حمام صورية	العلاقات بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثالث عشر	بن نعمية عبد المجيد	2013	سياسي – دبلوماسي
حمايدي بشير	قضية الصحراء الغربية والنزاع العربي	فغرور دحو	2005	سياسي – دبلوماسي – عسكري
حمري ليلى	عبد الرحمن فارس 1911-1991	مهديد إبراهيم	2006	ثقافي – اجتماعي
دوبالي خديجة	رسائل أحمد باي إلى حسين باشا 1240-245 1830/1826 دراسة وتحليل	بن نعمية عبد المجيد	2006	ثقافي – سياسي
زهرة	عبد الحفيظ بوصوف حياته ومسيرته النضالية 1926-1979	بوعلام بلقاسمي	2013	سياسي – عسكري
زاير عبد القادر	دور خلفاء الأمير عبد القادر في بناء الدولة الجزائرية 1831-1847	محمد الطيبي	2010	سياسي – عسكري

سلاني عبد القادر	الإستراتيجية الفرنسية لإجهاض مشروع الدولة الحديثة 1832-1847	صم منور	2009	سياسي – عسكري
شيوب عبد القادر	اجتماع العقداء العشر من 11 أوت إلى 16 ديسمبر 1959 ظروفه وأسبابه و انعكاساته	بوعلام بلقاسمي	2010	سياسي – عسكري
صادق بلحاج	الصحافة العربية في الجزائر بين التيار الإصلاحي والتقليدي 199-1939 دراسة مقارنة	بوعلام بلقاسمي	2010	اجتماعي – ثقافي –سياسي
صافر فتيحة	كتابات الجزائريين في الصحافة الاستعمارية الفرنسية 1919-1945	بلقاسمي بوعلام	2005	سياسي – فكري
صديقي بلحاج	المكتبات الجزائرية في القطاع الوهراني خلال الحرب العالمية الأولى -1954-	بوشيخي الشيخ	2013	اجتماعي – ثقافي
صوافي زهرة	لحول حسين حياته ومسيرته النضالية 1917-1995	بن نعمية عبد المجيد	2008	سياسي – اجتماعي
طاعة سعد	المسألة الزراعية	فغروردحو	2004	اقتصادي
فارس العيد	الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في المغرب الجزائري و انعكاساتها على المقاومة الوطنية 1847-1880	مهديد إبراهيم	2009	اجتماعي – اقتصادي
قاسم عابدية	الثورة التحريرية في جلسات المجلس الجزائر ما بين 1954-1956	رابح لونيسي	2010	عسكري – سياسي
قراوي نادية	دور الريف في المغرب الجزائري ومسار الثورة التحريرية 1954-1958	رابح لونيسي	2011	اجتماعي – سياسي
لزغم فوزية	الإنجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية	بن معمر محمد	2006	علمي – ثقافي
لغريبي إسمهان	الامتيازات الفرنسية في الشرق الجزائري من خلال الوثائق المخطوطة	بن نعمية عبد المجيد	2006	اجتماعي – سياسي
لونيسي إبراهيم	القضايا الوطنية في جريدة	أبو القاسم سعد الله	1994	عسكري – سياسي
مجاهد يمينة	مشروع الدولة والأمة في أدبيات الحركة الوطنية الجزائرية 1946-1954	مهديد إبراهيم غازي جاسم الشمري	2007	اجتماعي – سياسي

مخلوفي جمال	التعليم العربي الحر في جو من التلف خلال الفترة 1930-1956	بوشيخي الشيخ	2004	اجتماعي سياسي
نقادي سميرة	و اقع التعليم الجز ائري في ظل التشريعات الفرنسية 1919-1945	مهديد إبراهيم	2008	ثقافي - سياسي

درجة دكتوراه تاريخ قديم:

صاحب الرسالة	عنوان المذكرة	المشرف	سنة المناقشة أو التسجيل	طبيعة الجنس التاريخي
خديجة منصوري	التطورات الاقتصادية لموريطانيا القيصرية أثناء الاحتلال الروماني	محمد البشير شنيتي	1996	اقتصادي ثقافي
رضا بن علال	الألعاب ببلاد المغرب القديم	خديجة منصوري	2002	ثقافي-اجتماعي
لخضر فاضل	دراسة مونوغرافية لمدينة تبسة	خديجة منصوري	2003	ثقافي-اجتماعي اقتصادي-سياسي
خالدية مشوي	التواصل الحضاري لمدينة قسنطينة في العصور القديمة	خديجة منصوري	2004	ثقافي-اجتماعي سياسي
بنت النبي مقدم	الأسرة ببلاد المغرب القديم خلال الاحتلال الروماني	خديجة منصوري	2004	اجتماعي-ثقافي عسكري
أم الخير العقون	الليبيون وتأسيسهم للدولة في مصر الفرعونية	غازي جاسم الشمري	1991	سياسي-عسكري ثقافي
عبد القادر صحراوي	الحياة الاجتماعية ببلاد المغرب القديم خلال عهد الاحتلال الروماني	خديجة منصوري	2003	اجتماعي ثقافي
حارش محمد الهادي	التطور السياسي والاقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء ماسينيسا العرش إلى وفاة يوبا الأول 203-546 ق.م	-	-	اقتصادي - سياسي

درجة دكتوراه تاريخ وسيط[1] :

صاحب الرسالة	عنوان المذكرة	المشرف	سنة المناقشة أو التسجيل	طبيعة الجنس التاريخي
نورالهدى بوخالفة	أنساب القبائل العربية المهاجرة بمواليها إلى بلاد المغرب خلال القرون الأربعة الأولى للهجرة	إبراهيم فخار	1995	اجتماعي ثقافي
محمد بن معمر	العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى من نهاية القرن الثاني إلى أواسط السادس الهجريين	غازي جاسم الشمري	2002	دبلوماسي ثقافي
عبد القادر بوباية	البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري 11م	غازي جاسم الشمري	2002	سياسي عسكري- ثقافي
إبراهيم بن مهية	الاضطرابات السياسية والاجتماعية في الدولة الأموية: تحليل المتون	غازي جاسم الشمري	/	سياسي عسكري- اجتماعي
شريفة زرهوني	التأثيرات السياسية والحضارية للأندلسيين على المغرب خلال القرن السابع هـ13م	غازي جاسم الشمري	1994	سياسي عسكري- اجتماعي
فاطمة بلهواري	النشاط الاقتصادي في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي	غازي جاسم الشمري عبد الحميد حاجيات	1991	اقتصادي ثقافي
عبيد بوداود	انتشار ظاهرة الأوقاف في بلاد المغرب الإسلامي ما بين القرنيين 7 و9هـ/ 13و15م ودورها في الحياة الاقتصادية والاجتماعية	غازي جاسم الشمري بوباية عبد القادر	2001	ديني ثقافي

1- فهرسة أطروحات الماجستير والدكتوراه، تخصص التاريخ، فرع الدوريات، المكتبة المركزية، جامعة وهران، أكتوبر، 2013.

عمر بلبشير	جوانب من الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية في المغرب الأوسط من خلال كتاب المعيار للونشريس بين ق6 و7هـ	غازي جاسم الشمري محمد بن معمر	2003	فكري ثقافي اجتماعي – اقتصادي
نورالدين زرهوني	النقل البحري من خلال كتب النوازل والرحالة المغاربة من القرن الثالث إلى القرن السابع هـ	مختارحساني	2003	دبلوماسي ثقافي سياسي
زاجية هرباش	الوضع الاقتصادي في توات القرن بين 11 و12 هجرية من خلال مخطوط الغنية	عبد الحميد بن نعيمة محمد بن معمر	2003	اقتصادي ثقافي- سياسي
أحمد غنيمة	الإسلام والحركة الإنسانية: صورة الإسلام في أوروبا خلال القرنين 16 و 17م	دحوفغرور	2001	ديني ثقافي

درجة دكتوراه تاريخ حديث[1] :

صاحب الرسالة	عنوان المذكرة	المشرف	سنة المناقشة أو التسجيل	طبيعة الجنس التاريخي
إبراهيم مهديد	الجزائريون في القطاع الوهراني 1900-1940	منصورالصم	2000	ثقافي سياسي
محمد دادة	السياسة الاستيطانية الفرنسية في الجزائر1852-1870	دحوفغرور	2003	ثقافي سياسي

1- فهرسة أطروحات الماجستير والدكتوراه، تخصص التاريخ، فرع الدوريات، المكتبة المركزية، جامعة وهران، أكتوبر، 2013.

الشيخ بوشيخي	الحركة الوطنية الجزائرية وثورة فاتح نوفمبر	غازي جاسم الشمري	2004	عسكري ثقافي
طرشون نادية	الهجرات الجزائرية والإستراتيجية الفرنسية 1958-1962	بوعلام بلقاسمي	1996	ثقافي اجتماعي
بوعزة بوضرساية	المسألة البربرية في السياسة الاستعمارية الفرنسية 1830-1930	بوعلام بلقاسمي	1996	سياسي ثقافي
عبد القادر حلوش	المدرسة الفرنسية وتكوين النخبة في الجزائر	منصور الصم	1991	ثقافي- اجتماعي
سيد أحمد بلبوري	وهران أثناء الاحتلال الاسباني الأول و انعكاساته السياسية والاقتصادية	منصور الصم	1986	عسكري سياسي- اقتصادي
كريمة مجدوب	ظاهرة انعدام الأمن والاستقرار والعنف وإشكالية المقاومة الشعبية والاجتماعية في مناطق الغرب الوهراني من 1881-1920م	بوعلام بلقاسمي	1998	عسكري سياسي اجتماعي
محمد موفق	السياسة الاستعمارية للجمهورية الفرنسية من 1870-1914	منصور الصم		سياسي عسكري
مليكة قورصو	Le presse catholique métropolitaine face a la guerre de libération	منصور الصم	1990	ثقافي اجتماعي
جمال يحياوي	جيش التحرير الوطني 1954-1962	بوعلام بلقاسمي	1999	عسكري - سياسي
عبد الحكيم مرتاض	الطرق الصوفية بالجزائر في العهد العثماني 1518-1830 وتأثيراتها الثقافية والسياسية	عبد الحميد حاجيات	2000	ديني ثقافي
لامية بوقربوة	العلاقات الجزائرية التونسية 1954-1965	بوعلام بلقاسمي	2002	دبلوماسي
مسعود شباني	الحركة الطلابية الجزائرية والمسألة الوطنية 1945-1962	بوعلام بلقاسمي	2002	ثقافي اجتماعي

أبو بكر خفا الله	التمويل والتموين في الثورة الجزائرية عبر الحدود الشرقية 1954-1962	بوعلام بلقاسمي	2002	ثقافي اقتصادي
بن عتو بلبروات	المدينة والريف في الجزائر العثمانية	بوعلام بلقاسمي	2003	ثقافي- اقتصادي
لحسن جاكر	نشاط الحركة الوطنية الجزائرية لمدينة معسكر 1950-1954	دحو فغرور	2003	سياسي ثقافي
عدة بن داهة	ظاهرة الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض خلال فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر	دحو فغرور	2003	عسكري اقتصادي
جيلالي بلوفة عبد القادر	نشاط المنظمة الطلابية الخاصة بالغرب الجزائري إلى غاية 1954	دحو فغرور	2003	عسكري سياسي – ثقافي
بشير بن مهدي علي	الخطاب الديني في الجزائر والهوية الوطنية 1925-1956	عبد الحميد بن نعمية	2003	ديني ثقافي
عبد القادر جيلالي	التنظيم السياسي والعسكري في الولاية التاريخية الخامسة 1954-1962	بوعلام بلقاسمي	2003	سياسي عسكري
حياة قنون	اللاجئون السياسيون الإسبان في منطقة الغرب الجزائري 1936-1962	دحو فغرور	2004	سياسي ثقافي - عسكري
رحمونة بليل	القناصل والقنصليات الأوروبية في الجزائر العثمانية من 1564-1830	دحو فغرور	2004	دبلوماسي
مصطفى أوعامري	المقاومة السياسية الوطنية بعمالة وهران ما بين 1942-1951 تجربة التحالفات وإرهاصات الثورة الجزائرية	دحو فغرور	2004	سياسي عسكري
عابد سلطانة	الاستثمار الاجتماعي بإقليم بايليك الغرب وتأثيره على حرمة المقاومة في عهد الأمير عبد القادر	دحو فغرور	2004	اجتماعي عسكري
خديجة بختاوي	التحولات الاقتصادية الاجتماعية في الغرب الجزائري 1870-1939	عبد الحميد بن نعمية	2004	اقتصادي اجتماعي

خيرة بوسعادة	النخب الجزائرية في عمالة وهران	بن نعمية عبد المجيد	2013	ثقافي- اجتماعي- سياسي

من خلال الجداول أعلاه يتضح لنا فعلا الشوط الدسم والغني معا في طرح مواضيع تختلف عن بعضها وترتكز على جديد المقترحات بدءا بجدية اختيار الموضوع.

كون اختيار هذا الأخير ينصب لمعايير أولها الالتزام بالزمن المحدد في الطرح مع التحديد الرئيسي للعنوان الخاضع لشروط الجدة والابتكار[1] أين لم يسبق معالجة موضوع البحث ذو التحديد اللفظي والمصطلحات الصريحة تجنبا للسرقة العلمية وللتكرار المواضيع وهذا ما تمتعت به قوائم الجرد لرسائل الماجستير والدكتوراه لقسم التاريخ جامعة وهران.

2- قراءة تحليلية لطبيعة المواضيع المتداولة:

لقد تنوعت قوائم رسائل الماجستير والدكتوراه لكلا التخصصات الثلاث: تاريخ قديم ووسيط وحديث، فبالنسبة لدرجة الماجستير قدرت عدد رسائل الماجستير القديم بـ10 رسائل ولتاريخ الماجستير وسيط 105 رسائل و62 اثنان وستون ماجستير حديث.

أما بالنسبة لدرجة الدكتوراه فقدرت بثمانية رسائل تاريخ قديم و15 خمسة عشر دكتوراه للتاريخ الوسيط وأربعة وثلاثون 34 دكتوراه بالنسبة للتاريخ الحديث ليكون مجمل رسائل الماجستير بـ105 رسالة، وبالنسبة للدكتوراه سبعة وخمسون 57 رسالة هذا عن الإحصاء التقريبي للرسائل المتوفرة على مستوى فهرسة الدوريات للمكتبة المركزية بجامعة وهران، أما عن طبيعة المواضيع المتداولة فهي بحث المشاريع المقترحة على مستوى القسم سواءا تعلق الأمر بالتاريخ القديم أو الوسيط أو الحديث والمعاصر.

ما يلحظ على الجرد الإحصائي التقريبي أن التاريخ الحديث المعاصر أخذ حيزه الأكبر في المواضيع المتداولة في نفس التخصص والذي اعتنى في غالب الأمر بتاريخ الجزائر سواء الحقبة العثمانية أو الحقبة الكولونيالية أو حقبة ما بعد الاستقلال حيث سايرت المشاريع المقترحة البعد التاريخي في الطرح والإمكانية القانونية في الحصول على الوثائق الأرشيفية بمعنى أنه قد تزامنت المشاريع بتغطية الأهم علميا تاريخيا على المهم في إطار نظري وتطبيقي إذا لزم الأمر وفي حدود معقولة التداول والاستفسار الإشكالي والاستبياني وفي مجمل مواضيع رسائل التاريخ الحديث، نذكر ما يلي:

1- عبد الله طه عبد الله السلماني، منهج البحث التاريخي، دار الفكر، الأردن، طبعة 209، ص120.

* موضوعات تتعلق بالأمة ورموز الدولة الجزائرية ومنها:

عبد الحفيظ بوصوف حياته ومسيرته النضالية 1926-1979، حيث الطرح الصريح والجريء لأهم رموز الثورة الجزائرية للباحثة رحو زهرة أين الوثائق الأرشيفية وتقارير جبهة التحرير الوطني ومراسلات المناضلين.

نشاط الحزب الشيوعي الجزائري بمنطقة سيدي بلعباس 1954-1956 أين التقارير الحزبية وأرشيف المعمول به من العمالة إلى البلدية.

جيش التحرير الوطني 1954-1962 للدكتور جمال يحياوي حيث الحرص الدقيق في الأرشفة البيبلوغرافية لشخصيات الجيش الوطني والتقنيات العملية في مسار الثورة والأرشيف المعمول به من أرشيف عسكري وأرشيف سياسي حزبي.

الهجرات الجزائرية والاستراتيجيات الفرنسية 1958-1962 أين تتوضح المخططات الفرنسية في نظام الهجرة والأوضاع السياسية العسكرية المتحكمة في طبيعة الهجرات.

* موضوعات تتعلق بذاكرة الأمة الجزائرية دينيا:

الطرق الصوفية بالجزائر في العهد العثماني 1519-1820 تأثيراتها الثقافية والسياسية أين يكشف الباحث الأرضية في التتبع التاريخ للإرث الثقافي والمكسب الديني والإرادة الجماهيرية في الإصلاح والتطلع إلى أفضل الميكانيزمات الحاكمة روحيا.

نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مدينة معسكر 1931-1956 للحسن شاكر، من خلالها يبين الباحث أهمية الذاكرة المحلية في تفعيل الذاكرة الجماعية بالتعريف بعمل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين محليا أين العطاء الجلي في الشعبية الجماهيرية والتوعية المحلية إلى أبسط أسرة جزائرية.

* موضوعات تتعلق بالذاكرة الوطنية:

من خلال الاهتمام برموز الذاكرة الوطنية كتاريخ التراجم عند لحول حسين للباحثة صوافي زهرة ومعالجة موضوع الحركة المصالية والإستراتيجية الجزائرية في عدم تفعيل أزمات تكون شرخا في النضال الوطني.

3- الأجناس التاريخية الخاصة برسائل المشاريع:

لم يكن قسم التاريخ كما قال فولتر "لم نكتب إلا تاريخ الملوك ولكننا لم نكتب تاريخ الأمة" لقد عرفت مشاريع الرسائل تجديدا وتنوعا ملحوظين إذ ألمت المشاريع الأولى في سنوات الثمانينات والتسعينات في مجملها بالتاريخ الوطني

من رموزوطنية ومعالم سياسية ومحطات ساهمت في بناء السيادة مانحتا حوصلة نضال وطني وترشيد لقاعدة بناء صلبة للوطن.

أما في سنوات الألفين فأخذت تهتم بالأجناس التاريخية الاجتماعية الاقتصادية والثقافية لتمس شريحة الشعب الجزائري عموما من العنصر الفرد وعليه تم الاهتمام بالشخصيات التي لم يسبق التحدث عنها كشخصية عمرراسم وشخصية سي الأعلى بوبكر.

أما عن التاريخ القديم فقد أخطأ الطابع الأثري الحضاري والثقافي الاجتماعي المحظ على قلة الرسائل مقارنة بالتاريخ الحديث ثم التاريخ الوسيط.

ويعد التاريخ الوسيط باختلاف مواضعه صاحب الجرأة الحقيقية في تناول المواضيع من خلال الدراسة الميدانية في تحقيق المخطوطات وتتبع الروايات الأصلية وتبيان النسخة الأصلية من المنسوخ منه، إذ ندرك فعلية التحديث التاريخي الذي يعني استعمالية البيان الحقيقي.

4- النسق الطرحي لموضوعات الرسائل: أي تاريخ يبحث ؟

إن النسق الذي طرحت فيه الموضوعات هي حوصلة تطوروتغيرتبعا لتطورالعلوم الإنسانية والاجتماعية، فالتاريخ كما قال جاك لوغوف: "التاريخ الجديد في كتاب صناعة التاريخ إبراز مجموعة من الإشكاليات والمناهج الجديدة والمساهمة في تجديد مجالات تقليدية كان التاريخ يعنى بها"[1]، وعليه نلحظ ذلك التفرع في الحيثيات الدقيقة من تاريخ اقتصادي وتاريخ اجتماعي وتاريخ ثقافي وحتى تاريخ دبلوماسي كون أن التاريخ أصبح تأسيس إبحارعلمي جديد وتصور جديد للوثيقة وإعادة النظرفي مفهوم الزمن من خلال الاهتمام بالأفكاروالنظريات مع إدراك العلوم والتربية العمومية والفنون ضمن حقل البحث التاريخي.

لقد طرحت مضامين الأطروحات والرسائل بحسب التعطش البحثي العلمي وسد الثغرات البحثية وإكمال المواضيع لبعضها البعض إذ لم ترد أية إعادة لموضوع من المواضيع أو اجترارالمعلومات تاريخية إلا من باب استعمال الوثائق الأرشيفية تأكيدا لدلالات الحادث التاريخي، ومنه نجد أن قسم التاريخ قد وضع في موضع أولوياته الاهتمام بالتاريخ المحلي لتعزيز الهوية الوطنية بالنظرلقاعدة الشعب وشريحة المجتمع، أما في النطاق الدولي فتظهر البحوث جلية الاهتمام بفترات العهد العثماني حيث الإيالات والقناصل الأوروبية من جانب التاريخ الاقتصادي البحري والملاحي والتجاري معا[2].

الإنتاج المعرفي الأكاديمي لما بعد التدرج قسم التاريخ جامعة تلمسان:

1- جاك لوغوف، التاريخ الجديد، ترجمة محمد الطاهر المنصوري، مراجعة عبد الحميد هنية، مركز دراسات الوحدة العربية، طبعة الأولى، 2007، ص145.

2- جاك لوغوف، نفس المرجع، ص112.

يعرف قسم التاريخ لمدينة الحضارة الزيانية تلمسان تقدما ملحوظا منذ تأسيسه إذ فتحت به تخصصات لما بعد التدرج و أبرزها تخصص تاريخ وسيط ذو الصدارة في التخصصات ويليه تخصص تاريخ حديث ومعاصر ب 10رسائل دكتوراه من مجموع 22رسالة دكتوراه في حين 28 رسالة ماجستير تجمع بين التاريخ وعلم الآثار ومنها أربعة رسائل في تاريخ حديث ومعاصر وهي :

1-الحياة الثقافية والاجتماعية إبان فترة الاحتلال الفرنسي تلمسان نموذجا 1900-1954 :دحماني يوسف 15 مارس 2016

2-واجهات مساكن قصور سهل وادي مزاب دراسة نمطية :بودي محمد 23جوان 2014

3-أزمة المدينة الحديثة دراسة سوسيو أنثروبولوجية حول مشكلة التحضر في الجزائر حالة مدينة سبدو :بن يوسف محمد 3مارس 2014

أما عن رسائل الدكتوراه فنذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

1-الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بالقطاع الوهراني 1929-1954 ثابتي حياة 13ديسمبر 2013

2-الثوررة التحريرية 1954-1962الولاية الرابعة أنموذجا شتوان نظيرة 23 جوان 2014

3-العلاقات الفرنسية الأمريكية والمسالة الجزائرية 1952-1962لعايب معمر 29 جوان 2014

4-المهاجرون الجزائريون ونشاطهم في ثورة 1930-1945بن جابو احمد 2011

6-حركات الانتصار للحريات الديمقراطية في عمالة وهران الخروج من النفق من انكشاف المنظمة الخاصة الى اندلاع الثورة التحريرية الجزائرية 1950-1954بلوفة الجيلالي 2014

7-شبكة الدعم اللوجيستي للثورة التحريرية طاهر جبلي 29جوان 2014

إن الأجناس التاريخية المسيطرة على رسائل الدكتوراه بالدرجة الأولى سياسي ومثال ذلك :

1-الثورة التحريرية 1954-1962الولايى الرابعة نموذجا للطالبة شتوان نظيرة

2-شبكات الدعم اللوجيستي للثورة التحريرية للباحث طاهر جبلي

3-العلاقات الفرنسية الامريكية والمسالة الجزائرية 1952-1962للعايب معمر

4-محمد الخامس والثوة التحريرية لتلي رقيق

5-حركات الانتصار للحريات الديموقراطية في عمالة وهران الخروج من النفق من انكشاف المنظمة الخاصة الى اندلاع الثورة التحريرية 1950-1954

في حين لا نسجل اي ارتفاع للمسائل الاقتصادية والاجتماعية التي تعالجها رسائل الدكتوراه إلا واحدة :

الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بالقطاع الوهر اني 1929-1959للطالبة ثابتي حياة

اما عن الجنس التاريخي الدبلوماسي نسجل رسالة دكتوراه معنونة ب :

المهاجرون الجز ائريون ونشاطهم في تونس 1930-1954

-استعمالية الأرشيف لرسائل الماجستيروالدكتوراه قسم التاريخ جامعة تلمسان :

من خلال اطلاعنا على الرسائل الأكاديمية لما بعد التدرج نجد أنها تنوعت بين

1-الأرشيف الجز ائري خاصة مديرية المحفوظات لولاية وهران

2-الأرشيف التونسي فيما يتعلق الأمر بالمهاجرين الجز ائريين

3-الأرشيف الفرنسي ما وراء البحاروهو أهم أرشيف يستند عليه الباحثين في أطروحاتهم ورسائلهم ومن ذلك على سبيل المثال :

أطروحة ثابتي حياة :

اعتمدت على سلسلة :

Seri I-Seri H-Seri F :

-Seri F:f2 / 76 participation des indigenes a des movement soiaux1936

-activités socialiste a Saf 1935.

-Seri 4H2 91 :Rapport a préfet sur la situation économique Oran 1944

-Seri I :Affaire musulmans

-I 1A/I14 : Affaire politique1837-1961

إلى جانب المنشورات المطبوعة :

-Annuaire official des abonnes aux réseaux téléphoniques

-assembles financières

- شتوان نظيرة :

الثورة التحريرية 1954-1962 الولاية الر ابعة أنموذجا

تعتمد هده الدراسة على الأرشيف بأنواعه :

-الأرشيف الجزائري غير مصنف :

ومن ذلك نجد التعليمات مثل :

-تعليمة تخص منع التجنيد الا بشروط و أيضا الأمر بصرف اعانات مادية لأسر الشهداء والمجاهدين

-تعليمة صادرة عن مجلس الناحية الأولى :المنطقة السادسة الولاية 4بتاؤيخ 1ماي 1961

-وثيقة جرد العمليات العسكرية اشتباكات كمائن عمليات فدائية في ناحية شرشال خلال فترة سبتمبر1956أوت 1960

-الأرشيف الفرنسي :

Shat : introduction à l'étude des archives de l'Algérie service historique de l'armée de terre, château Vincennes

-المهاجرون الجزائريون ونشاطهم في تونس 1830-1954:

أرشيف ما وراء البحار:

H16/questions religieuses 1945-1940

25H/30 a noter :etat civil des indigenes algeriens en tunisie 1897assistance médical 1897-1940

استعمالية الأرشيف عند الطاهر جبلي :

الأرشيف الوطني التونسي :

-تقريرعن عملية ارسال أسلحة من طرف حزب الشعب الجزائري الى قيادة حزب الدستورالجديد التونسي خلال شهر فيفري 1938

-تقرير عسكري فرنسي عن عمليات تهريب الأسلحة على الحدود الجزائرية التونسية بتاريخ 6جوان 1956المعهد العالي للحركة الوطنية التونسية المنوبة تونس

-تقرير عسكري فرنسي عن عمليات تهريب الأسلحة والأشخاص على الحدود التونسية بانجاه الجزائر مؤرخ بتاريخ 23أوت 1956 المعهد العالي للحركة الوطنية التونسية المنوبة تونس

الأرشيف الوطني الجزائري :

حصيلة مخزون الذخيرة والمتفجرات المسلمة من طرف وزارة التسليح وعبر ثمن مركز تونس نحو الجزائر خلال الفترة الممتدة من 1ماي 1957-31أوت 1959

المركز الوطني الأرشيف رئاسة الجمهورية الجزائر :

حصيلة مخزون وزارة التسليح من السلاح والدخيرة في مختلف المراكز التابعة لها في تونس وليبيا ومصر تاريخ 1اوت 1959

-جدول تفصيلي لمختلف المعدات والتجهيزات التي وصلت الى مركز تونس الى القوات المسلحة خلال الفترة الممتدة من 1اكتوبر 1957الى 31اوت 1959

الأرشيف الفرنسي :

-Dissension au sen FLN 29DECEMBRE 1961

الأرسيف السويسري :

-Document DIPLOMATIQUES SUISSES WWDOC IS 9399

-محمد الخامس والثورة التحريرية الجزائرية :

الوثائق الأرشيفية :

أرشيف مديرية الوثائق الملكية بالرباط :

-تقرير السلطات الفرنسية بخصوص المساعدات المغربية للثوار الجزائريين في عهد الملك محمد الخامس .

-تقرير يخبر بأن الهلال الأحمر المغربي سيقوم بتوزيع المواد الغذائية على الاجئين المقيمين بالمغرب الأقصى

-تقرير من عامل اقليم وجدة الى السادة :باشا مدينة وجدة ورؤساء الدوائر وجدة أبركان تاورين فجيج 8ماي1958 بيع الماعدات الغذائية الخاصة باللاجئين الجزائريين في عهد محمد الخامس

-تقرير من السلطات المحلية بفكيك عن بعض الأضرار التي لحقت بالسكان المغاربة من جراء ملاحقة القوات الفرنسية لجيش التحرير الجزائري في داخل التراب المغربي.

-المتحف الوطني للمجاهد بالرباط :

رسالة محمد بوضياف الى حمدون توارق عن دور المقاومة المغربية في انزال الأسلحة والعمل المشترك ضد الاستعمار

.

الأرشيف الجزائري :

D2/A2/3/352

D2/AN/26/003/2160

الأرشيف الفرنسي :

CAM FLN AU MAROC 25JUILLET 1958

ينقسم البحث الى فصل تمهيدي :

طبيعة العلاقات الجزائرية المغربية قبل اندلاع الثورة الجزائرية :

-فصل 1:شخصية محمد بن يوسف محمد الخامس

-فصل 2:المساعدات العسكرية المغربية للثورة الجزائرية في عهد محمد الخامس

-فصل 3:مظاهر دعم محمد الخامس للثورة الجزائرية التحريرية

-فصل 4:استراتيجية فرنسا في مواجهة دعم محمد الخامس للثورة التحريرية .

عدد رسائل الماجيستير	عدد رسائل الدكتوراه
28	22 دكتوراه
	10تاريخ حديث ومعاصر

خاتمة:

فحوى الخلاصة هي أن قسم التاريخ لجامعة وهران على مدار مساره العلمي أنتج معرفة أكاديمية يشهد لها بالاجتهاد من قبل أصحابها منهجا ومعلومة بدءا بمعطيات الوثائق، والدراسة الميدانية الأنتروبولوجية التاريخية من أجل تنعيش الذاكرة الوطنية الجماعية القلب النابض لقوام الأمم والشعوب، وعليه كانت المواضع مكملة لبعضها البعض وتسير في رزنامة التاريخ الجديد المبحوث على الرغم من القرطسة الأرشيفية بحكم المو اثيق القانونية أو القيود والحواجز البيروقراطية الإدارية حيث التحدي المزمع في إضفاء اللمسة الشخصية كوجهة نظر على أسس علمية دقيقة تجد الصدى في النقاش والتحاور تأكيد أو رفضا لصاحبها لتبقى الحقيقية التاريخية وتغطية النقص المطلب الأسمى لقسم التاريخ بجامعة وهران ولجميع أقسام العلم والمعرفة في الجز ائر.

استطاع قسم التاريخ بأساتذته واطاراته الباحثة من انتاج فكري أكاديمي لازال التواصل فيه حثيث مع المعرفة والبث الأكاديمي ولعل طبيعة الحضارة الزيانية لمنطقة تلمسان جعلت الباحثين أكثروفاء في معالجة تاريخ المنطقة في عصورها الوسطى وهدا لا يعني ان الجهود مغيبة في انتاج معرفي في التاريخ الحديث والمعاصروان قل مقارنة برسائل التاريخ الوسيط

بيبلوغرافيا المراجع :

- فرانسوا دوس، التاريخ المفتت من الحوليات إلى التاريخ الجديد، ترجمة محمد الظاهر المنصوري، مراجعة جوزيف شريم، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، 2009.

- بوباية عبد القادر، قائمة برسائل الماجستيروالدكتوراه التي نوقشت ومسجلة في معهد قسم التاريخ، جامعة وهران من سنة 1985 إلى أكتوبر 2004، مجلة عصور، العدد 4-5، ديسمبر 2003، جوان 2004.

- فهرسة أطروحات الماجستيروالدكتوراه، تخصص التاريخ، فرع الدوريات، المكتبة المركزية، جامعة وهران، أكتوبر، 2013.

- عبد الله طه عبد الله السلماني، منهج البحث التاريخي، دار الفكر، الأردن، طبعة 2009.

- جاك لوغوف، التاريخ الجديد، ترجمة محمد الطاهر المنصوري، مراجعة عبد الحميد هنية، مركز دراسات الوحدة العربية، طبعة الأولى، 2007.

-سجل الجرد الببلوغرافي لرسائل الماجيستيروالدكتوراه قسم التاريخ جامعة وهران .

--سجل الجرد الببلوغرافي لرسائل الماجيستيروالدكتوراه قسم التاريخ جامعة تلمسان .

المخطوط مصدرا لكتابة التاريخ العسكري لإيالة تونس في القرن 19

د. سنية حمدي، جامعة صفاقس، الجمهورية التونسية

مقدمة:

تناولت العديد من الكتب المخطوطة موضوع العسكر من كل جوانبه، فهناك مصنّفات حول صناعة المدافع بأصنافها[1] أو معطيات لمهمّات صناعة الطبجية (المدفعية)[2]. كما قدّمت لنا معطيات حول أشكال الحصون ومواقع بنائها مع رسوم مفصلة للمدافع[3]. أما البعض الآخر دوّن مخطوطات حول برنامج عسكري ميداني في شكل رسوم توضيحية لمختلف تدريبات المشاة[4]. كما نجد نصوص مترجمة في النّظم العسكرية الخاصة بترتيب الشروط للدخول في سلك الجندية[5] وكتب حول التعليم العسكري الميداني وأكثر مصطلحاته بالتركية العثمانية المعتمدة في الجيش التونسي[6].

ففيم تمثلت أهم المخطوطات العسكرية في الفترة الحديثة وكيف يمكن أن تكون مصدرا لكتابة التاريخ العسكري لتونس؟ وماهي خصوصية مخطوط عسكر الحنفية الذي يعود إلى ثلاثينات القرن التاسع عشر؟

أ. المخطوطات العسكرية في مشروع إصلاح الجيش ومدرسة باردو الحربية

1- المخطوطات بين الترجمة والتعليم

: ومن أهم المراجع الهامة التي إعتمدنا عليها في هذا المجال نذكر

- شبّوح (إبراهيم)، المخطوط من نفائس دار الكتب الوطنية التونسية 1، الوكالة القومية لإحياء وإستغلال التراث الأثري والتاريخي، المطبعة العربية، منشورات أليف أفريل 1989.

وبالنسبة للمخطوطات التي تناولت صناعة المدافع بأصنافها إعتمدنا على:

- مخطوط عدد 3433: الرباش بن أحمد غانم بن محمد بن زكرياء النّولشي الأندلسي (إبراهيم)، العزّ والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع، ترجمة أحمد بن قاسم الحجري. 1

2- شبّوح (إبراهيم)، المخطوط ...، نفس المرجع، ص 77.

3- نفس المرجع، ص 74.

4- نفس المرجع، ص ص 76-77.

5- يعود هذا المخطوط إلى سنة 1863 وهو مترجم من التركية بسعي من أمير أمراء عساكر التريس "رشيد"، راجع: شبّوح (إبراهيم)، المخطوط ...، نفس المرجع، ص 75- 76.

6- نفس المرجع، ص 76.

بدأت محاولة حسين باي (1824-1835) بتأسيس جيش نظامي سنة 1831 مستعينا بالخبرة الفرنسية من حيث التنظيم والتجهيز والتدريب وترجمة بعض الوثائق المتعلقة بالفنون العسكرية[1] لإدراكه بتفوّق القوة العسكرية الفرنسية في مجال التدريب وتطور الأسلحة خاصة المدفعية. وفي هذا الإطار حاول الباي تأسيس جيش نظامي مطابق للمواصفات والمقاييس الحديثة المعتمدة في أوروبا من حيث اللباس والتدريب والتسليح والكفاءة مما سيمكن هذا الجيش من التصدّي لأي هجوم محتمل[2] خاصة بعد إحتلال فرنسا للجزائر سنة 1830. فكانت بوادر الإصلاح العسكري ببناء جيش نظامي على النموذج الأوروبي. ويقول إبن أبي الضياف في هذا الصدد "وفي شعبان السنة 1246هـ (جانفي 1831) شرع الباي (حسين باي) في ترتيب العسكر النظامي. وذلك أنه جمع شبانا من أولاد الجند الثابتين في ديوانه، أكثرهم طبنجية وضم لهم آخرون من أولاد البلاد وأسكنهم المحمدية، وجلب لهم معلما من فرنسا لصناعة الرمي بالمدفع والمكحلة على الترتيب النظامي، ثم كثر عددهم شيئا فشيئا"[3]. وفي هذا الإطار أُعيد ترجمة المؤلفات الأجنبية في مجال التعليم والتدريب للإستفادة منها قدر الإمكان لتأسيس جيش عتيد لتشمل كتب حول التعليم العسكري والترجمة.

أ- في مؤلفات التعليم العسكري (مدرسة باردو)

لم يكن لمؤسسات التعليم العسكري أي وجود مع البايات السابقين لأحمد باي، إذ إكتفوا بجلب مدرّبين عسكريين أجانب ومؤطرين للجيش بطرق غير منظمة وذلك قصد تدريب العسكر التونسي على بعض التقنيات. فقد إكتفى حسين باي بالتعاقد مع ضباط أتراك وأوروبيين لتدريب الجيش وتأطيره. إلا أنه كان ينقصه تعليم الضباط والعساكر بالعلوم العسكرية الحديثة الأمر الذي عمل عليه أحمد باي الذي بعث أول مدرسة للتعليم العسكري سنة 1840 حيث بعث أول نواة للتعليم العسكري وهو مكتب الحرب بباردو[4].

تعتبر هذه المؤسسة أهم إنجاز في المجال العسكري لأنه يحتوي على الجانب العلمي في تكوين الجيش وتدريبه. وكانت الغاية من تأسيس المدرسة الحربية تخريج الضباط والمهندسين والفنّيين[5]. وكانت المدرسة

1- السميراني (محجوب)، الجيش التونسي (1831-1881) رافد نهضة وإصلاح، منشورات سوتيميديا، تونس، الطبعة الأولى، فيفري 2007، ص 60.

2- نفس المرجع، ص 61.

3- إبن أبي الضياف (أحمد)، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تحقيق لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية، تونس، الجزء 3، تونس 1965، ص 179.

4- نفس المصدر، الجزء4، ص 36.

5- عبد المولى (محمود)، مدرسة باردو الحربية، الدار العربية للكتاب، 1975، ص 39.

توفّر لتلاميذها التونسيين تعليما من قبل الضباط الأوروبيين في مجال العلوم العسكرية الجديدة وقد أشرف على إدارتها في مرحلة أولى الضابط كاليقاريس على سنة 1854. وفي الفترة الممتدة من 1855 إلى 1859 أشرف عليها الفرنسيان الرائد كمبنون والعقيد دي تفارن[1].

درّس ثلة من الأساتذة الأوروبيين بالمدرسة الحربية بباردو وتنوّعت مجالات التعليم، حيث تم تدريس الرياضيات وعلم التحصين والفنون والتاريخ العسكريين. كما درّس علم المدفعية والتكوين العسكري التطبيقي والنظري فضلا عن تدريس اللغتين الفرنسية والإيطالية[2]. أما الأساتذة التونسين أمثال الشيخ محمود قابادو الذي كان يدرّس اللغة العربية والعلوم الدينية.

ومن أجل إدخال العلوم الحربية كان من الضروري ترجمة كتب فرنسية إلى العربية لتكوين الضباط التونسيين الجدد. وقد بلغ عدد الكتب المترجمة حوالي أربعون كتابا. ومن الإنتاجات العلمية للمدرسة الحربية كتاب في التعليم العسكري[3].

كانت المدرسة تفتح بابها مرة واحدة كل سنة لدخول التلاميذ الجدد وخروج من إنتهت إقامته بالنجاح كضابط يحمل رتبة ملازم ثان، أو إحالته على الجندية في صورة عدم النجاح. وكانت المدرسة تقبل كل سنة 20 تلميذا الذي يدرسون العلوم العسكرية وتدوم مدة الدراسة 6 سنوات[4].

رغم أن مدرسة باردو الحربية تعتبر من أهم المؤسسات العسكرية الحديثة بالبلاد إلا أنها لم تحقق الأهداف المرسومة نظرا لمحدودية الفائدة التي حققتها لأسباب عدة منها ضعف الإمكانيات المادية التي تعاني منها الدولة سواء كان في عهد أحمد باي أو محمد باي أو محمد الصادق باي، فضلا عن غياب القوانين العسكرية الناظمة لسير عملها. حيث إقتصرت المدرسة على تعليم بعض المماليك وأبناء أعيان الحاضرة.

إذن يمكن إعتبار أن ضعف تشريعات عسكرية تقنّن الحياة العسكرية داخل المدرسة وغياب قوانين تقنّن التجنيد وتنظم المسؤوليات المناطة إتجاه المؤسسة العسكرية، فكان من الضروري تأسيس لقوانين عسكرية تحمي الجهاز العسكري وتنظم العمل به.

1- بنبلغيث (الشيباني)، أضواء على التاريخ العسكري في تونس من 1837 إلى 1917، مكتبة علاء الدين، صفاقس 2003، ص41.

2 - Drevet (R), *L'armée tunisienne*, Tunis 1922, p.22.

3- عبد المولى (محمود)، مدرسة باردو...، نفس المرجع، ص 53.

4- بنبلغيث (الشيباني)، الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باشا باي 1859-1882، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات وكلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس، زغوان - صفاقس، ص.57.

ب- في كتب الترجمة

يعدّ المخطوط من المصادر الأرشيفية الهامة في كتابة التاريخ العسكري في تونس الحديثة. حيث يعتبر الوعاء التاريخي للتراث الإسلامي عامة والتونسي خاصة. وتتكون دار الكتب الوطنية بتونس من عددا هاما من المخطوطات العسكرية ويمكن تقسيمها إلى قسمين: قسم ألّفه العرب المسلمين، وقسم مترجم نقلوه عن الأتراك والأندلسيين والفرنسيين.

من الكتب المترجمة مخطوط العزّ والمنافع، للمجاهدين بالمدافع (القرن 17) للمؤلّف إبراهيم الرّباش بن أحمد الأندلسي ترجمة أحمد بن قاسم الحجري[1] إبراهيم الرّباش من رؤساء البحر الأندلسيين. كتب هذا المؤلّف باللغة القشتالية (إسبانية)، وإستهلّه بتناول وصف لرحلاته مع الأساطيل الإسبانية إلى القارة الأمريكية، وعلمه بصناعة المدافع. ثمّ تناول هجرته إلى تونس وإستقراره بحلق الوادي حيث عكف على دراسة المدافع مستندا على المراجع الأعجمية إلى أن وُفّق في تأليف مخطوطه هذا الذي تناول فيه خمسين بابا في صناعة المدافع بأصنافها.

من المخطوطات المترجمة عن الفرنسية مخطوط بعنوان "مختصر في الحركات الرياضة للجيش" (1866م)، وهو منقول عن كتاب الفرنسي "سيف فيكتور ألفريد" وقدّمه للمشير محمد الصادق باي. ترجمه للعربية البنباشي الحاج محمد بن الحاج عمر سنة 1866م بأمر من وزير الحرب، أمير الأمراء أحمد زرّوق.

إستخرج "سيف فيكتور ألفريد" القواعد الرياضية من الكتب المُؤَلَّفَةُ في فنون الرياضة المتوفّرة في عصره، ورسم أنماط الحركات والتدرّب عليها في صور توضيحية[2]. كما نجد نصوص مترجمة في النّظم العسكرية الخاصة بترتيب الشروط للدخول في سلك الجندية[3]. **فماهو دور هذه المخطوطات في تنظيم الجيش التونسي خلال القرن التاسع عشر؟**

1- أنظر: إبراهيم شبّوح في كتابه المخطوط الذي أطنب في الحديث عن المخطوط عدد 3433 لإبراهيم الرباش حول العز والمنافع.

2- يعود هذا المخطوط إلى سنة 1847، راجع: شبّوح (إبراهيم)، المخطوط ...، نفس المرجع، ص ص 76-77.

3- يعود هذا المخطوط إلى سنة 1863 وهو مترجم من التركية بسعي من أمير أمراء عساكر التريس "رشيد"، راجع: شبّوح (إبراهيم)، المخطوط ...، نفس المرجع، ص 75- 76.

2- المخطوطات العسكرية ونظام الجيش

شملت دار الكتب الوطنية بتونس عددا وافرا من المخطوطات **التي إهتمت بالدراسات العسكرية النظرية، فقد أُلّفت الكثير من المخطوطات في كل المجالات فمنها دراسات حول صناعة السلاح وتطويره، وأخرى حول التدريب على السلاح واستعمالاته والخطط العسكرية وفنون التعبئة وتحريك الجيوش.**

قامت هذه المخطوطات أساسا على ضبط جملة من القوانين العسكرية في مجالات مختلفة، ذلك أن جيش إيالة تونس كانت تفتقر لقوانين ناظمة لجهاز ها العسكري. حيث تقوم هذه القوانين بتنظيم المؤسسة العسكرية هياكل وأفرادا[1]. فهذه القوانين تقوم بتنظيم سير عمل مختلف مؤسسات الجيش وفرقه وتفرض فيها الإنضباط والنظام. وتنقسم القوانين العسكرية إلى ثلاثة أقسام: أولها قوانين التجنيد أو الإنتداب، ثم القوانين الإدارية وهي قوانين تنظّم سير العمل داخل مؤسسة الجيش. وأخيرا القوانين القضائية أو الجزائية لأفراد الجهاز العسكري من ضباط وجنود. وقد سعت تونس إلى مواكبة الإحداثات العثمانية في مجال التشريعات الجزائية المناسبة لجيشها مستفيدة من مثيلتها الفرنسية[2].

من أهم القوانين الناظمة للمؤسسة العسكرية هو قانون التجنيد الذي أمر بوضعه محمد الصادق باي، حيث طلب من مدير المدرسة الحربية "دي تفارن" بترجمة قوانين الإنتداب الفرنسية لسنتي 1832 و1855 للأخذ منها في سنّ القوانين الخاصة بالجيش التونسي[3] مستعينا أيضا بالقانون العثماني[4]. فكان نتاج ذلك إصدار أول قانون عسكري تونسي في عهد محمد الصادق باي في فيفري 1860 تحت عنوان "المصباح المسفر في ترتيب دخول العسكر"[5]. وقد تركب هذا القانون من 6 أبواب فيها 50 فصلا. وتتناول هذه الأبواب الستة عدة مسائل تشريعية وهي أساسا: في بيان من يدخل الخدمة العسكرية، أما الباب الثاني فيمن يستثني من

1- صوة (محمد)، القوانين العسكرية للجيش النظامي التونسي في القرن 19، بحث لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس، السنة الجامعية 2007-2008، ص 6.

2- مخطوط عدد 18005: وهو قانون الجزاء العسكري الفرنسي معرّب وما يقابله من القانون التركي، راجع: شبّوح (إبراهيم)، المخطوط ...، نفس المرجع، ص 75- 76.

3 – Drevet (R), *L'armée tunisienne*, …,op.cit, p.27.

4- إبن أبي الضياف (أحمد)، إتحاف...، نفس المصدر، ج 44، ص 277.

5- الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 144، ملف 544، وثيقة 11: قانون المصباح.

الخدمة والباب الثالث فيمن يلزمه حضور مجلس جمعية القرعة والباب الرابع في ذكر العوض والمعوّض وشروطهما أما الباب الخامس يتعلق بترتيب كيفية إجراء القرعة أي عملية التجنيد والباب السادس يتناول عدة مسائل أهمها العقوبات الجزائية للفارين من الخدمة وغيرها[1]. وعلى ما يبدو أن هذا القانون قد تأثّر بالتشريعات الفرنسية العثمانية على حدّ السواء التي عرّبت في إطار إشعاع مدرسة باردو الحربية[2].

ومن القوانين المستنبطة من المخطوطات العسكرية التي عرفها الجيش التونسي في القرن 19 هو قانون الطبجية أو المدفعية. ويعود هذا القانون إلى فترة حكم محمد باي وقد ظهر أنه مستبط من قانون عثماني. صدر هذا القانون سنة 1859 في أواخر عهد المشير الثاني وإحتوى على ستة أبواب في ترتيب عسكر طبجية الأبراج[3]. يحتوي القانون مسؤوليات ضباط الأبراج والرتب العسكرية العثمانية مثل اليوزباشي والأونباشي كما يذكر القانون الترتيب اليومية للعسكر وسير العمل داخل البرج.

وفيم يتعلق بسلاح المدفعية كانت تنتشر أغلب المدافع بالحصون والأبراج في تونس الحاضرة وخارجها. وأغلب هذه المدافع كانت تفتقر لقواعد ضابطة لها. فهي مخصّصة فقط في وضع رمي ولم يكن لها قواعد للرمي عند التزوّد بالذخيرة وتنقل القذائف على الجمال. أما رُماة المدفعية فاقدين للخبرة والتدريب لعدم وجود مدرسة لتكوين الرماة[4] ذلك أن أحمد باي قد أولى عناية خاصة بسلاح المدفعية، وكان هذا النوع من السلاح مختلطا بسلاح المشاة ليس له تمييز عن غيره ولا ضابط ولا قشلة[5].

ومن مميزات القرن التاسع عشر إهتمام البايات الحسينيون بمختلف الفرق العسكرية ومن بينها عسكر الحنفية. **فماهي الكتب المخطوطة التي تناولت هذا الصنف من العسكر؟**

1- مخطوط عدد 18618: العقد المنضد في أخبار المشير أحمد.

2- صوة (محمد)، القوانين العسكرية...، نفس المرجع، ص ص24-29.

3- مخطوط ترتيب أصل خدمة النظام العسكري بدون تاريخ لكنه مترجم إلى سنة 1857، أنظر: شبّوح (إبراهيم)، المخطوط ...، نفس المرجع، ص 75- 76.

4- السميراني (محجوب)، الجيش التونسي...، نفس المرجع، ص 53.

5 – مخطوط عدد 18618: العقد المنضد في أخبار المشير أحمد.

ب. مخطوط عسكر الحنفية

1- ظروف نشأة عسكر الحنفية

يعتبر عسكر الحنفية إمتدادا للجيش التركي الذي كان يعتمد عليه الباشوات ثم الدايات فالبايات. وبالرغم من إنشاء حسين باي للجيش النظامي إلا أنه حافظ على التنظيم القديم، ومن بعده أحمد باشا الذي حاول إحكام تجهيزه وتدريبه[1]. وأصبح بذلك الجيش غير النظامي[2] إحدى مكونات الجهاز العسكري التونسي خلال القرن التاسع عشر. **فمن هم عسكر الحنفية وكيف تمّ تنظيم جهازهم العسكري؟**

الحنفية هو مصطلح أطلقه الصادق باي على من تبقى من أبناء جند الترك لتمييزهم عن الجنود النظاميين من المالكية. ويذكر إبن أبي الضياف بقوله "وعسكر هذه المحلة ما بقي من أولاد جند الترك المتقدم ذكرهم، وسماهم الباي "عسكر الحنفية" ومعهم جند من الطبجية وجند من العسكر النظامي"[3]

خصّص لهذا الصنف من العسكر دفاتر خاصة وميزانية، فهم يتقاضون مرتبات وبعض الإعانات حتى العجزة منهم يظفرون بمرتب قدره 30 ريالا في الشهر ولا يدفع أفراد الحنفية ضريبة المجبى باعتبارهم عسكرا[4]. ومن الملاحظ أن ضباط الحنفية إحتفظوا بنفس أسماء الرتب العسكرية القديمة مثل الآغا والبلوكباشي والأوضباشي. بينما تغيّر الأمر بالنسبة إلى ضباط النظاميين في الجيش النظامي[5].

وفي محاولة إحياء ذكرى الحنفية من أجل تحقيق شيء من التوازن بين الوحدات العسكرية المتعدّدة[6]، بدأ محمد الصادق باي بإستخدام هؤلاء الجند كلما تطلب الأمر ذلك وأعتمد عليهم في حماية الحصون خاصة في باردو والمرسى وطبرقة والبيبان[7].

---

1 – السميراني (محجوب)، الجيش التونسي...، نفس المرجع، ص119.

2 – يتكوّن الجيش النظامي من عسكر زواوة والصبايحية والحوانب والمرازقية والضبطية.

3- إبن أبي الضياف (أحمد)، إتحاف...، نفس المصدر، الجزء6، ص 55.

4- الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 169، ملف 897، ورقة 82.

5- بنبلغيث (الشيباني)، الجيش التونسي...، نفس المرجع، ص 155.

6- ابن أبي الضياف (أحمد)، إتحاف...، نفس المصدر، ص 49.

7- بنبلغيث (الشيباني)، الجيش التونسي...، نفس المرجع، ص 138.

لم تضبط عملية إنتداب عسكر الحنفية بقوانين محددة، بل ظلت عبارة عن فرض كفاية[1] إلا أن ما يؤاخذ على النظام القائم لهذا العسكر في إنتداب الشباب أنه لم يحدد مدة العمل العسكري فكانت العملية تتم بصورة إعتباطية ونهاية الخدمة تكون مرتبطة بالوضعية الصحية للجندي. والمطالبة بإنتداب أفراد من الجند الحنفي لا يكون إلا بإتفاق ديوان عسكر الحنفية والنظر في أمرهم[2].

أما مسألة العجز البدني المترتّب عن الكبر أو الإعاقة أو المرض، فقد أوجد له الباي حلاّ في تعويض كل من سُرّح بإحدى تلك الأسباب بشخص آخر ليحل محله في نفس الفرقة التي خرج منها العاجز[3]. وقد تم التعويض بالطريقة نفسها من إختيار الجنود وكانت تسلّط هذه العملية على مدن الساحل وصفاقس، وأصدر أمرا في ذلك في ماي 1848 لكل المفتين والقضاة وأمراء الأولوية بالساحل والقيروان بأن ينتخبوا من يصلح للخدمة العسكرية من هذه الجهات ليعوّضوا الضعفاء من العسكر القائمين بفرض الكفاية على المجموعة في حراسة الثغور وطلب منهم التعاون مع ذلك وأن لا يمتنع أحد ممن له القدرة[4].

نستخلص مما تقدّم أن البلاد التونسية قد عرفت في العهد الحديث منذ سقوط الدولة الحفصية إعادة تشكّل لمعظم مؤسساتها وبالدرجة الأولى المؤسسة العسكرية. **لكن ماهي الضوابط التي كانت تقنّن هذه المؤسسة وتعمل على حسن إدارتها بهدف تجنّب تجاوزات وإنتهاكات فئة العسكر على المجتمع المحلي؟**

2- قانون العسكر الحنفي

في سياق زيادة الإهتمام بهذا التشكيل العسكري، أصدر الصادق باي قانونا[5] لعسكر الحنفية مؤرخ سنة 1866 يشتمل على 17 فصلا يوضح ما يجب على كبراء عسكر الحنفية عند السفر بالمحلة وتنظيم عملهم[6]. وقد عالج هذا القانون مسألة واجبات الضباط والأنفار عند الاستعداد لسفر المحلة وأثناء السفر. وتطرق في ثناياه إلى عرض واجبات الإستعداد وجملة من الأطر القانونية المتعلقة بمسألة التهيؤ للسفر وقدّم عدد من

1- نفس المرجع، ص 41.

2- الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، حافظة 114، ملف 348.

3- المصدر نفسه.

4- نفس المصدر، حافظة 114، ملف 348.

5- مخطوط دار الكتب الوطنية عدد 3735: قانون عسكر الحنفية سنة 1866 .

6- المصدر نفسه.

الإجراءات الجزائية منها والتنظيمية والعادات العسكرية من ملبس ومأكل والأدوات المستعملة. كما حدّد التكوينة البشرية لعسكر الحنفية ومهام كل رتبة عسكرية وحدودها.

فبالنسبة إلى قانون السفر في المحلة أوجب هذا النص القانوني عند عملية الاستعداد للتّرحال على الآغة عند تعيين وقت السفر أن يرسل نبيها بذلك لأغوات البلدان والبلوك باشية والشواش الذين ينبهون بدورهم العسكر ليكونوا على أهبة السفر ثم يسرع البلوكباشية والأوضباشية بالذهاب إلى الحاضرة لتجهيز لوازم السفر. وأوجب على العسكري أن يكون على الحالة التامة من الإستعداد للسفر في المحلة.

من واجبات البلوكباشي أن يُلازم المسير مع آغة المحلة وتفقّد العسّاسّة ليلا وإخبار الآغة في حالة التقصير في الواجب أو الهرب. ومن واجباته تفقد طائفته في نظافتهم ولباسهم وحرجهم. أما أهم واجبات الأوضباشي أثناء سير المحلة فهي الحرص على مؤونة جماعته. ويقوم آغة الصنجق بترتيب مسير طائفته في الطريق كل يوم، وإذا تخلّف أحدهم يخبر عنه البلوكباشي الذي يعلم عنه بدوره آغة المحلة. كما أوجب القانون كذلك أن يكون على رأس كل 10 أخبئة صنجق دار مكلف بحمل الصنجق. وأثناء السفر يلزم القانون العسكر الإنتباه أثناء تأدية واجب الحراسة، وغير هذا الوقت عليهم عدم مغادرة طائفتهم وفي كلا الحالتين يكونون دائما متقلدين لأسلحتهم.

وبالنسبة إلى المكلف بالحرج، فأبرز مسؤولياته نظافة الخبأ وترتيب الأسلحة والحرج في الشاطال وتعيين عسّة عليها. أما وظيفة الطباخ فهي جمع الحطب وتحضير الطعام وتنظيف الروزان (المطبخ). ويكون العشيّ مطالبا بنظافة الأخبئة والمطبخ وتصليح البرادع ويخبر باش عُشّي بما يعرض له من خلل في ذلك وتكون مهمة هذا الأخير وضع مشكا[1] بين كل خبئين للعسكر ومشكا أمام باي المحلة[2].

إنطلاقا مما سبق ذكره، فإن الضوابط التي تسير حياة عسكر الترك وتضبط حدوده من واجبات وتحمي حقوقه تخضع بدورها إلى جملة من الإجراءات العقابية في حالة الخلل بهذه القوانين أو محاولة تجاوزها أو إهمالها عن غير قصد. **فماهي أهم القوانين الجزائية الناظمة لسلوك العسكر؟**

أما خارج المحلة يوكل آغة البلد مهمة النظر في النوازل الخفيفة. في حين النوازل الثقيلة من مهام آغة العسكر. وعند الإستعداد للسفر يقوم آغوات البلدان والشواش بتحريض العساكر على القدوم للمحلة ويحذّرون المتخلّف من العقاب الشديد الذي يرفع لآغة المحلة لينظر في النوازل الخفيفة. وفي المقابل تكون

1- وعاء يوضع فيه الماء يصنع عادة من جلد الإبل.

2- مخطوط دار الكتب الوطنية، عدد 3735.

النوازل الثقيلة تحت إشراف أمير المحلة. ومن أهم هذه النوازل التّخلفُ عن المحلة أو الهرب منها أو أن يلبس العسكري في العسة شيئا مُضافا على ذلك إلا لعذر كبير وشديد، ويكون ذلك بإذن شاوش الطائفة وبلوكباشيتها وله أن يقيم عوضا عنه عسكريا مثله ولا يسوغ له السّراح ولا "البترمه" وإلا أن يجلس حال عسته بل يكون واقفا.

كما تطرّق هذا القانون إلى بعض العقوبات المالية التي يتعرض لها الأنفار في المحلة والمتعلقة بإضاعة الأسلحة. فكل فرد أضاع بندقية أو "طابنجيتين" إثنين يغرّم بثمنها المقدر بـ150 ريالا للبندقية الواحدة و50 ريالا للطابنجات، وإن ضاع أحد السّلاقات[44] سلاحه المعطى له يغرّم بـ324 ريالا[45].

بهذا يتبيّن أن الإجراءات الجزائية تمسّ كل جوانب الحياة العسكرية للجندي وتحدّد نواميس يخضع لها ولا يمكنه يتجاوزها. وهذه الحدود نلمسها أيضا حتى في مسألة الهندام والشكل الخارجي للعسكري. فعند الإستعداد للسفر، يقدّم للبلوكابشية والأوضباشية لباسا لائقا يتكون من قفطان وبرنس وحذاء أسودين وشاشية عسكرية. ويتكوّن سلاحهم من "بالة"[46] و"طانبجيتين" وسلاح "لدّ بالقطّة" و"الشنتيات" للحرب وبندقية طويلة، وترفع له من خزنة الدولة ويرجعها يوم عودة المحلة من السفر.

أما بقية الضباط والكبراء وهم آغة المحلة وكاهيته وباش شاوش وكاهية وشواش السلام وباش أوضات وباش سقا، فقبيل إنطلاق المحلة يركب هؤلاء أحصنتهم متقلّدين لنفس أسلحة البلوكباشية والأوضباشية المعطاة من الدولة بإستثناء الباش أوضات الذين يتميّزون عليهم بالسكاكين المعدة لهم والآغة يتقلّد "بالة" فقط. وأثناء الرحيل يرتدي صنجق دار الحامل للصنجق معطفا أسودا. ويكون مسلحا تسليح بقية العساكر وعليه الحرص على نظافة الصنجق واللباس والسلاح.

وألزم هذا الترتيب العسكر بحضور "اليقلامة" اليومية (التحية اليومية) صباحا مساء والصياح بأعلى أصواتهم أيام الإقامة ومساء الرحيل قائلين "الله ينصر سيدنا" ثلاث مرات. كما أكّد عليهم الإنتباه أثناء تأدية واجب الحراسة وغير هذا الوقت عليهم عدم مغادرة طائفتهم وفي كلا الحالتين يكونون دائما متقلّدين لأسلحتهم[1].

وكان عسكر الحنفية يُؤخذ في بعض الحالات عوضا عن عسكر زواوة في المحلة[2]. ويمكن أن يحلّ عسكري حنفي محلّ أحد الأنفار التي تنتمي للعسكر النظامي مثال ذلك مراسلة من أمين اللواء عساكر

1- رتبة عسكرية خاصة بعسكر الحنفية لم نجد لها رتبة معادلة.

2- مخطوط دار الكتب الوطنية، عدد 3735.

الحنفية براهم آغة الحوانب إلى وزير العمالة بتاريخ 1867[1] يخبره فيها مصطفى صفر من عسكر الحنفية أن له صهر من عسكر الألاي الأول تخلّف عن خدمة العسكر فحل محله النفر الأول.

وانطلاقا مما تقدّم ذكره فإن الإصلاح العسكري قد شمل مختلف الفرق دون استثناء، فقنّن العمل العسكري داخل الأبراج والفشل بعد إهمال لقوانينها وسير عملها طيلة قرون ويعود الفضل إلى جملة من الكتب المخطوطة بأيادي فرنسية وعثمانية ساهمت بشكل كبير في تغيير الجهاز العسكري وجعله أكثر نظاما وانضباطا وقوة.

1- بالة يعني سيف.

خاتمة

نخلص القول تنوع المخطوطات حول العسكر إنطلاقا من طريقة بناء الأبراج مرورا إلى صناعة الأدوات المدفعية ثم عرض لرسومات تدريبات الجيش فالقانون المنظّم للعسكر.

وقد إنقسمت هذه المخطوطات بين ماهو مترجم عن الخبرة الفرنسية التي وظّفها حسين باي لتطوير الجيش التونسي، وماهو مترجم عن القوانين التركية العثمانية. وإهتمت أغلب هذه المؤلفات بتنظيم وتجهيز وتدريب وتقنين العسكر كقانون العسكر الحنفي.

المصادر:

1- **المخطوطات**

- مخطوط عدد 3433: الرباش بن أحمد غانم بن محمد بن زكرياء النّولشي الأندلسي (إبراهيم)، العزّ والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع، ترجمة أحمد بن قاسم الحجري.
- مخطوط عدد 3735: قانون عسكر الحنفية سنة 1866.
- مخطوط عدد 18618: العقد المنضد في أخبار المشير أحمد.

2- الأرشيف الوطني التونسي

- السلسلة التاريخية، صندوق 144، ملف 544، وثيقة 11: قانون المصباح.
- السلسلة التاريخية، صندوق 169، ملف 897.
- السلسلة التاريخية، صندوق 169، ملف 899.
- السلسلة التاريخية، حافظة 114، ملف 348.

3-المصادر باللغة العربية:

- إبن أبي الضياف (أحمد)، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، تحقيق لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية، تونس، ج 3-4-6، تونس 1965.

المراجع:

- شبّوح (إبراهيم)، **المخطوط من نفائس دار الكتب الوطنية التونسية 1**، الوكالة القومية لإحياء وإستغلال التراث الأثري والتاريخي، المطبعة العربية، منشورات أليف أفريل 1989.

-السميراني (محجوب)، **الجيش التونسي (1831-1881)**، منشورات سوتيميديا، تونس، ط1، فيفري 2007.

- عبد المولى (محمود)، **مدرسة باردو الحربية**، الدار العربية للكتاب، 1975.

- بنبلغيث (الشيباني)، **أضواء على التاريخ العسكري في تونس من 1837 إلى 1917**، مكتبة علاء الدين، صفاقس 2003.

-بنبلغيث (الشيباني)، **الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باشا باي 1859-1882**، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات وكلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس، زغوان - صفاقس.

- صوة (محمد)، **القوانين العسكرية للجيش النظامي التونسي في القرن 19**، بحث لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس، السنة الجامعية 2007-2008.

ملحق الصور:

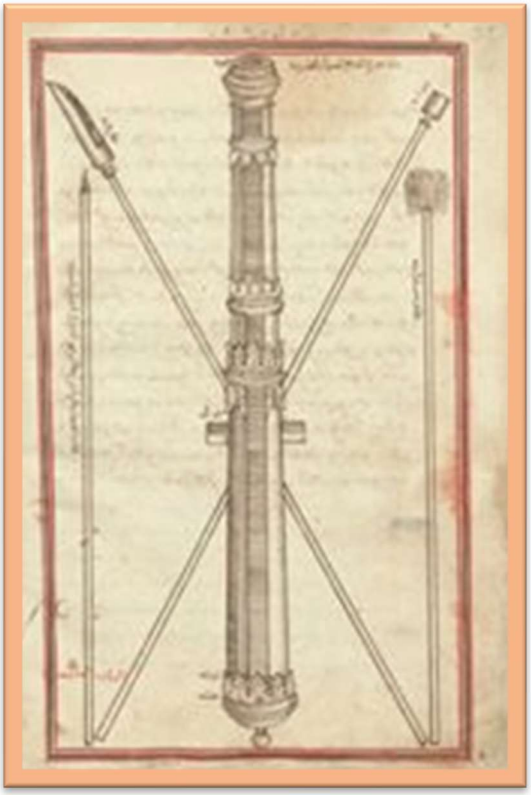

مدفع تهديم الأسوار والحصون

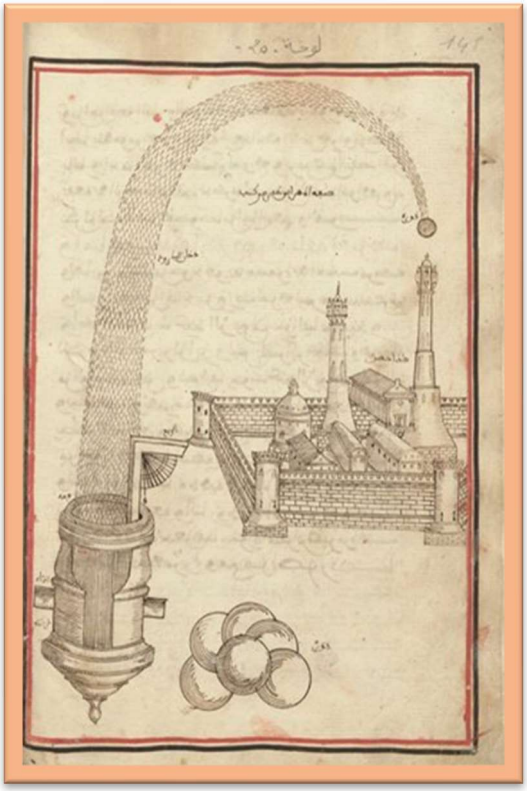

مدفع الفلبرينة ومعدّاته

المصدر: مخطوط عدد 3433: الرباش (إبراهيم)، العزّ والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع، ترجمة أحمد بن قاسم الحجري.

تدريبات المشاة

المرجع: صورة لحركات رياضية للجيش سنة 1866. وهو مخطوط لـ"سيف فيكتور ألفريد" وقدّمه للمشير محمد الصّادق باي، أنظر:

شبّوح (إبراهيم)، **المخطوط من نفائس دار الكتب الوطنية التونسية 1**، الوكالة القومية لإحياء وإستغلال التراث الأثري والتاريخي، المطبعة العربية، منشورات أليف أفريل 1989، ص ص73-74.

ISSN:2707-8183
العدد 13 كانون الثاني 2021

العلوم البحرية عند العمانيين ودور المؤرخين في إبرازها

حمود بن حمد بن جويد الغيلاني

" إن العمانيين كانوا أول أمة عبرت مياه المحيط الهندي، وقد فعلوا ذلك قبل الفينيقيين والمصريين والفرس والهنود والصينيين واليونانيين والرومانيين بزمن بعيد، مؤكدين على أن السفن العمانية قد كان لها الأولوية في اكتشاف الكثير من دول وجزر المحيط الهندي "[1]

العالم الروسي اندريه شغاكوف

" وكانت السفن العمانية تبحر إلى أندونيسيا وجنوب الصين وسيريلانكا (سرنديب) ومدغشقر وزنجبار، وظلت التجارة والنقليات في البحار الجنوبية مركزة في أيدي التجار والبحارة العمانيين طيلة مئات السنين[2] ."

أليكس بودتستروب

وتذكر الدكتورة صباح الشيخلي في بحثها المقدم بندوة راس الخيمة التاريخية الثالثة أن أحمد بن ماجد بيّن مزايا مسقط و أهميتها في جذب التجار، مسترشدة بما ذكره (تيبتس Tibbetts) إلى القول ":..بأن أحمد بن ماجد قد أندفع في الكتابة بشكل واسع عن مسقط والسواحل العمانية بوصفه مواطنا عُمانيا)

الدكتورة صباح الشيخلي[3]

مقدمة :

يرى العديد من المؤرخين والباحثين أن العمانيين يعتبرون رواد الملاحة البحرية العربية في البحار الشرقية، ويردون ذلك إلى العديد من الأسباب مادية كانت أو غير مادية، وأدت الاكتشافات الأثرية الحديثة في عمان وغيرها إلى تأكيد هذا التوجه.

فمن المؤشرات الغير مادية ونقصد بها ما كتبه المؤرخون والرحالة الجغرافيين أو التجار القدماء، ويمكن الإشارة هنا العديد من الأسماء مثل " هيرودوت" و " استرابو" و " اريانوس فلافيوس (اريان) - Flavius Arrianus " و " جاليوس بلينوس الثاني Plinius Secunds Galus " ، وفي العصر الوسيط نذكر كل من " الادريسي " و " والسيرافي " و" ابن الفقيه الهمداني " و " المقدسي " و " بزرك بم شهريار " .

أما في العصر الحديث يمكننا الإشارة إلى كل من " اندريه شغاكوف " و " تيودور شوموفسكي و " اليكس بودتستروب " و " عبد الفتاح وهيبة " و " محمد عتريس " وغيرهم .

---

1 بودتستروب ، إليكس ، بحث بعنوان : الباحثون الروس العمانيون أول أمة عبرت مياه المحيط الهندي ، مجلة نزوى ،مسقط ، العدد 24 ، 2009/7/12 م ، ص 7.

2.7 بودتستروب ، إليكس المرجع السابق، ص

3 الشيخلي ، صباح إبراهيم ، العلاقات التجارية بين الخليج العربي وشبه القارة الهندية في القرن 9هـ / 15 م ،كما تعكسها مؤلفات أحمد بن ماجد ، رأس الخيمة ، مركز الدراسات والوثائق ، 2001 م ، ص 51.

أما في مجال مساق مؤتمرنا هذا والمعنون بـ " التاريخ حقيبة العلوم، يمكننا الإشارة إلى عدد من المؤرخين في العصر الحديث الذين عملوا جاهدين إلى توثيق العلوم البحرية لدى العمانيين مثل " تيودور شوموفسكي" و جابرييل فران (Ferrand Gabriel) ، و" ليوبولد دي سوسور " و " هنري غروسيه " ، و " أيغور تيموفيف " ، و أ.د. سعيد الهاشمي ، أنور عبد العليم ، و إبراهيم خوري ، و حسن صالح شهاب، و محمد بن قاسم أبو حجام، ومحمد ياسين الحموي، وحمود الغيلاني الذي تناوله في أكثر جانب متصل أو منفصل.

العلوم البحرية:

إن ارتباط الإنسان العماني بالبحر، ليس بوليد لحظة زمانية حالمة ، بل علاقة تعود في جذورها إلى ما قبل الألف الثالثة ما قبل الميلاد ، أو قبل ذلك ، ومن خلال التجربة العملية والرصد والملاحظة، واكتشاف الأجهزة الملاحية ، أتجه الملاحون العمانيون إلى توثيق كل ذلك في كتبهم ومرشداتهم المعروفة باسم (الرحمانيات) .

ومن أشهر هذه الرحمانيات ، رحمانية الفوائد في أصول علم البحر والقواعد للمعلم الربان أحمد بن ماجد و رحمانية حاوية الاختصار في أصول علم البحار ، و رحمانية البداية والنهاية في العلوم البحرية للربان جمعه بن مسلم بن جمعه العلوي ، و رحمانية نفحة الأزهار في علوم البحار للربان محمد بن ناصر ، و رحمانية تنبيه الغافل في معرفة علم البحر وقواعده و رحمانية معدن الأسرار في علوم البحار للربان ناصر بن علي بن ناصر الخضوري ، و رحمانية الجوهر اللطيف في علم البحر المنيف للربان أبو إدريس سعيد بن محمد ود عبود الغيلاني ، و رحمانية دلائل المبحرات والمبحرات للربان أبو أحمد بن ماجد الظاهري الحكماني ، وهناك الكثير من الرحمانيات التي فقدت ولم تعرف أسماؤها للربابنة مثل سعيد بن حمد بن ماطر التمامي سعيد بن عمر المرزوقي، وموسى بن سلطان الجامعي وعلي بن محمد بن خميس ، ومحمد بن ماجد بن سالم المرزوقي، وصالح بن علي بن خميس الغيلاني، ومحمد بن علي بن خميس الغيلاني، وعبد الله بن أحمد سعيد التمامي .

لقد وثقوا المسالك والمجاري البحرية والرياح أسماءها واتجاهاتها وقوتها وتوقيتها، ورسموا الخرائط التي تحدد مواقع المدن والموانئ والعلامات في البر التي تحدد المواقع ، كما حددوا خطوط الطول والعرض ، وذكروا أسماء الأجهزة الملاحية وكيفية استخدامها .

هؤلاء الملاحون والربابنة المعلمون الذين تركوا أثرهم المعرفي في مصنفاتهم، فالبعض معروف لدى العامة من الناس ، وغيرهم الكثير مما يجهلهم الناس ولا تعرف أثارهم العلمية ، وسوف نستعرض هنا عددا من المصنفات البحرية العمانية :

1 . المعلم أسد البحار أحمد بن ماجد له العديد من المؤلفات والأراجيز البحرية منها، (كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد) و (كتاب حاوية الاختصار في أصول علم البحار) ، ومن أثاره العلمية .

* البوصلة: يعتبر أحمد بن ماجد أول من طوّر البوصلة الملاحية بالمفهوم الحديث، والتي كانت تعرف عند الملاحين العرب باسم (الحقة)، حيث يقول[1] : " " ومن اختراعنا في علم البحر تركيب المغناطيس على الحقة بنفسه " ويقول في موقع أخر " تجليس المغناطيس على الحقة بنفسه ".

* لاحظ ابن ماجد بدائية طريقة (القياس بالأصابع) لتحديد القبلة والمواقع، فادخل عليها من التحسينات ما عرف بعد ذلك (الخشبات والألواح) وأطلق عليها اسم (آلة الكمال).

2 . الملاح حمد بن سعيد بن ماطر التمامي، والذي لا تزال مخطوطته موجودة حتى اليوم في المتحف البحري البريطاني، والذين استولوا عليه عام 1860 م.

1 السعدي، أحمد بن ماجد ، حاوية الاختصار في أصول علم البحار (866 هـ – 1461 م)، ص115

3 . الملاح ناصر بن علي الخضوري ، صاحب كتاب " معدن الأسرار في علم البحار " وكتاب " تنبيه الغافل في معرفة علم البحر وقواعده ".

4 . الملاح أبو إدريس سعيد بن محمد ود عبود الغيلاني الصوري العماني صاحب كتاب " الجوهر اللطيف في علم البحر المنيف ".

5 . الملاح علي بن محمد بن خميس الغيلاني له مؤلف موجود حاليا في وزارة التراث والثقافة العمانية.

6 . الملاح جمعة بن مسلم بن جمعة بن سليم القعدوي صاحب كتاب " الميل البحري لكل ربان بحري ".

7 . الملاح خميس بن محمد بن مسلم بن حمد بن جمعه صاحب كتاب " جداول في علم البحار".

8 . الملاح راشد بن مسلم الصوري العماني الذي نظم أرجوزة خاصة بالملاحة البحرية في عام 1853 م الموافق 1270هـ في أثناء رحلة العودة من موسم الحج من ميناء جده إلى ميناء صور.

9 . الملاح سعيد بن سالم بن سعيد الجامعي، الذي له مخطوطة عرفت باسم " نهت الغافل " محفوظة بوزارة التراث والثقافة.

10 . الملاح أبو أحمد محمد بن ماجد الظاهري له رحمانية تعرف باسم " دلائل المبحرات والمبحرين"

11 . الملاح سعيد بن عمر المرزوقي، الذي رسم عدد من الخرائط البحرية في القرن السادس عشر لموانئ بحر العرب، استولى عليها البرتغاليون أثناء تواجدهم في المنطقة.

12 . الملاح سعيد بن عمران بن إبراهيم المرزوقي، الذي له مخطوطة تعرف باسم " نهت الغافل في حسبت المنازل) بعام 1253 هـ الموافق للعام 1837 م، ولا زالت محفوظة بوزارة التراث والثقافة.

13 . الملاح محمد بن ماجد بن سالم المرزوقي، له مخطوطة تعرف باسم " الجامع اللطيف في علم البحر ".

14 . الملاح سعيد بن محمد بن راشد آل فنه العريمي، الذي له رزنامة مخطوطة تعرف باسم " رزنامة الملاح سعيد بن محمد آل فنه العريمي ".

15 . الملاح علي بن مسلم القعدوي العلوي، له رزنامة تعرف باسم " رزنامة علي بن مسلم العلوي".

وهناك الكثير من مؤلفات ومخطوطات الملاحين الصوريين من ابناء عمان فقدت بسبب الإهمال من قبل ملاكها بعد ذلك.

<u>المنهج الذي أتبعه العمانيون في كتابة العلوم البحرية تدوينا وتحليلا واستنتاجا:</u>

إن ارتباط الإنسان العماني بالبحر، ليس بوليد لحظة زمانية حالمة ، بل علاقة تعود في جذورها إلى ما قبل الألف الثالثة ما قبل الميلاد ، أو قبل ذلك ، ومن خلال التجربة العملية والرصد والملاحظة، واكتشاف الأجهزة الملاحية ، اتجه الملاحون العمانيون إلى توثيق كل ذلك في كتبهم ومرشداتهم المعروفة باسم (الرحمانيات) .

لقد أتبع الملاحون العمانيون كأحمد بن ماجد المنهج التجريبي في علومهم، مع الملاحظة والرصد لأية متغيرات علمية في معلوماتهم ، كملاحظتهم للنجوم ، وتغيّر الرياح ، ومياه البحار ، وتألق ماء البحر ليلا، مما اكسب علومهم جانبا تطويرا متراكما .

وفي مقدمة الحاوية الاختصار في أصول علم البحار ، نرصد الكثير من تلك الإشارات حول منهجيته في التصنيف والتوثيق ، فيقول :" ومما حل بي على نظمها خشيتي ايقاع الجهل على البريه واندراس العلم ونزوله بساحة من ليس له فيه أهليه، فوضعت فيها من الالفاظ الغريبة ، والحكمة الربانية بمشيئة الله تعالى، ما أرجو به انشراح صدور ذوي الالباب عندما يدهيهم من شدة ومصاب صفيتها مما سلك في عصري من الأراجيز المصنفة والرهمانجيات (الرهمانجات) الواسعة

المؤلفة كثيرة التردد والتكرار ، مستحسنة لكافة الجمهور وهي للمضيوم إقالة وحضور ، وكان قصدي الاختصار واسقاط الحشو من هوش الاكثار لإلا يستطيلها الملول ولا يتفرغ لقريتها المشغول .

لقد وثقوا المسالك والمجاري البحرية والرياح أسماءها واتجاهاتها وقوتها وتوقيتها، رسموا الخرائط التي تحدد مواقع المدن والموانئ والعلامات في البر التي تحدد المواقع ، كما حددوا خطوط الطول والعرض ، وذكروا أسماء الأجهزة الملاحية وكيفية استخدامها .

فيقول أحمد بن ماجد :" ..مثل قياسات و أسماء النجوم ومعرفتها والهداية عليها ... مثل الدير الصحيحة والترفات الرحويات و الشقاقات .." (السعدي، 880هـ، ص10)، فرصد هذه النجوم والعمل على تحديد قياساتها في مختلف بحار المحيط الهندي الشرقية منها والغربية يتطلب جهدا كبيرا، ويقول في جانب آخر:" وكذلك صفات البرور التي جربناها وحررناها ودلنا على ذلك كثرة التجربة " (السعدي، 880هـ، ص12).

جمع بين الاستنباط والاستقراء، وبمعنى آخر بين الفكر والملاحظة وهما عنصرا ما يعرف بالتفكير التأمُّليّ، فالاستقراء يعني ملاحظة الظواهر وتجميع البيانات عنها بهدف التوصُّل إلى تعميماتٍ حولها، أمَّا الاستنباطُ فيبدأ بالنظريَّات التي تستنبط منها الفرضيَّات ثمَّ ينتقل بها الباحث إلى عالم الواقع لاختبار صحَّة هذه الفرضيَّات، وفي الاستنباط فإنَّ ما يصدق على الكلّ يصدق على الجزء؛ ولذا فالباحثُ يحاول أن يبرهنَ على أنَّ المعلم أحمد بن ماجد قد وضف ذلك الجزء منطقيّاً في إطار الكلّ واستخدم لهذا الغرض وسيلةٌ تعرف بالقياس، ويستخدم القياس لإثبات صدق نتيجة أو حقيقة معيَّنة.

ولعل من علامات توظيف ابن ماجد للجانب المعرفي الخالص في أشعاره وأراجيزه انحيازه للتجريب، وأخذه في الاعتبار التعامل مع الطبيعة من قبل الربّان بإعطاء أولوية لمشاهداته وتجاربه العملية الشخصية، وهذا انحياز منهجي لمبدأ أساسي في العلوم الحديثة وهو التجريب.

دور المؤرخين في إبراز تلك العلوم البحرية ومصنفاتها من عدمه

نرى من خلال تتبع هذا الجانب أن هناك قصورا لدى المؤرخين العمانيين في القرون الممتدة من القرن الثاني عشر وحتى القرن العشرين، إذا لم يتطرق كتاب التاريخ خلال تلك الفترة إلى دور العمانيين في علوم البحار والعمل على إبرازها وتعريف العالم بها والعمل على الحفاظ عليها من النسيان إلا ما ندر كما ورد في كتب الفقه والاحالات والفتاوي في عمان من إشارات إلى بعض جوانب العلوم البحرية كالعلاقات بين أفراد العاملين على السفينة وحقوق الغير ونقصد هنا بذلك التجار، وفي العصر الحديث أشار محمد بن عبد الله السالمي " الشيبة" في كتابه " نهضة الأعيان : بحرية عمان " إلى جوانب من تلك المعارف البحرية لدى العمانيين.

وفي العصر الحديث ظهر الكثير من الباحثين التاريخيين الذين أولوا مؤلفات العمانيين في العلوم البحار اهتماما أكبر من الفترة السابقة، حيث تناولوا بالشرح والدراسة والتحليل والمقارنة والتوثيق والتي أثبتوا من خلال جهودهم هذه تبوء العلوم البحرية العمانية مركزا مرموقا ومتطورا على مستوى العالم، بل أثبت العديد منهم أن الكثير من العلوم البحرية العمانية استفادت منها تلك الدول والشعوب التي اطلعت عليها بعد ترجمة تلك الدراسات أو المؤلفات العمانية الى اللغات الأجنبية .

المؤلفات الحديثة التي تناولت فيتناول دور المؤرخين الحديثين في إبراز تلك العلوم البحرية ودراستها وحفظها ونشرها لتعريف العالم بالأثر العماني في العلوم البحرية.

رغم تميّز العرب عموما والعمانيين بالخصوص في العلوم البحرية، دراسة وتطبيقا وتوثيقا ممنهجا والذي استمر العمانيون في ممارسته لمدة تزيد عن خمسة قرون متصلة، إلا أنه لم حظه من الدراسة والتوثيق التاريخي قديما، أما حديثا فهناك دراسات قليلة وغير مكتملة في بعض الجوانب، وسوف نستعرض هنا أهم من تناول هذا الجانب في العصر الحديث.

تيودور شوموفسكي [1]:

الذي حقق كتاب " ثلاث أزهار في معرفة البحار" لمؤلفه أحمد بن ماجد .

جابرييل فران (Ferrand Gabriel)[2]

مما يحسب لـ جابرييل فيران أنه من خلال مقالاته في " دائرة المعارف الإسلامية " مكن من أدخلوا اسم أحمد بن ماجد نظريا إلى مجال العلم العالمي المعاصر.

ليوبولد دي سوسور[3]

له عدد من الأعمال التي أبرز فيها العلوم البحرية العمانية مثل:

1 . أصل وردة الرياح و اختراع البوصلة.

2 تعليقاته على مؤلفات أحمد بن ماجد وسليمان المهري.

هنري غروسيه[4]

تناول شخصيتي أحمد بن ماجد وسليمان المهري في عدد من أبحاثه.

كراتشكوفسكي [5]:

ألف كتابا ضخما عنونه باسم " المصنفات الجغرافية العربية" وأعطى الجغرافية البحرية وأحمد بن ماجد حيزا هاما وكبيرا من كتابه.

أيغور تيموفيف[6] :

عمل على إبراز جهود كل منه كراتشكوفسكي وشوموفسكي في تناولهم للعلوم البحرية العربية وخاصة العمانية ممثلة في جهود أحمد بن ماجد .

جيرالد تبتس Tibbetts G [7]:

---

1 السعدي، أحمد بن ماجد، ثلاث أزهار في معرفة البحار، تحقيق: تيودور شوموفسكي، ترجمة: د. محمد منير مرسي، القاهرة، عالم الكتب، 1969م، ص 45

2 بو حجام، محمد بن قاسم، أحمد بن ماجد في كتابات المستشرقين، ندوة الملاح العماني أحمد بن ماجد، مسقط، وزارة التراث والثقافة، 2018م، ص19

3 بو حجام، المرجع السابق، ص24

4 بو حجام، المرجع السابق، ص14

5 بو حجام، المرجع السابق، ص17

6 بو حجام، المرجع السابق، ص22

7 الهاشمي، سعيد بن محمد، ابن ماجد الإنسان والملاح العالمي، ندوة الملاح العماني أحمد بن ماجد، مسقط، وزارة التراث والثقافة، 2018م ،ص11

أولى اهتماما بأعمال أحمد بن ماجد ومما يحفظ له قوله :" ويمثل عمل ابن ماجد .... المفتاح الحقيقي لدراسة الملاحة العربية".

الأميرال التركي سيدي علي ريس حسين :

في كتابه (المحيط في علم الأفلاك والأبحر) :" هو أفضل ربابنة الشاطئ الهندي الغربي في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، مقدرة ونزاهة ، تغمده الله برحمته"[1].

أ.د. سعيد الهاشمي:

نشر الأستاذ دكتور سعيد الهاشمي ثلاث دراسات مفصلة عن أحمد بن ماجد وعلومه مما عمل على إبرازها للعالم منها " ابن ماجد الإنسان والملاح العالمي"، " أحمد بن ماجد المفترى عليه " ، و " " .

أنور عبد العليم :

أبرز دور العمانيين في كتابه المعنون باسم " الملاحة وعلوم البحار عند العرب ".

دكتورة صباح الشيخلي[2] :

في بحثها المقدم بندوة راس الخيمة التاريخية الثالثة أن أحمد بن ماجد بيّن مزايا مسقط و أهميتها في جذب التجار ، مسترشدة بما ذكره (تيبتس Tibbetts) إلى القول :" ..بأن أحمد بن ماجد قد أندفع في الكتابة بشكل واسع عن مسقط والسواحل العمانية بوصفه مواطنا عُمانيا)

إ. إبراهيم خوري :

تناول بكثير من الشرح وأبرز العلوم البحرية العمانية عند أحمد بن ماجد في كتابه المعنون باسم " العلوم البحرية عند العرب".

أ. حسن صالح شهاب[3]

قام الأستاذ حسن صالح شهاب بعدد من الجهود وقدم كتابه " أحمد بن ماجد والملاحة في المحيط الهندي" وغيرها من الدراسات لأراجيزه كأرجوزة " النونية الكبرى " مما ساعد في حفظ وإبراز دور العمانيين في العلوم البحرية.

أ. محمد بن قاسم أبو حجام:[4]

تناول العلوم البحرية عند العمانيين وخاصة أحمد بن ماجد في العديد من الكتب والدراسات والبحوث وعمل على الرد في الأجزاء المفترى فيها على الشخصيات العمانية كأحمد بن ماجد

---

1 عبد العليم ، أنور، ابن ماجد الملاح ، القاهرة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر،1976م،ص 63 .

2 الشيخلي ، صباح إبراهيم ،العلاقات التجارية بين الخليج العربي وشبه القارة الهندية في القرن 9هـ / 15 م ،كما تعكسها مؤلفات أحمد بن ماجد ،رأس الخيمة ،مركز الدراسات والوثائق ، 2001 م ، ص 51

3 شهاب، حسن صالح ، أحمد بن ماجد والملاحة في المحيط الهندي، رأس الخيمة، الديوان الأميري، 2002، ص 19

4 بو حجام، محمد بن قاسم، أسد البحار العماني أحمد بن ماجد، ج 1، مسقط، هيئة الوثائق والمحفوظات الوطنية، 2015، ص 28

أ. محمد ياسين الحموي[1]:

تناول الحموي العلوم البحرية عند العمانيين من خلال بحثه المنشور والمعنون باسم " الملاح العربي – أحمد بن ماجد ".

أ. بدر بن ناصر بن خميس العريمي[2]:

له رسالة الماجستير بعنوان (مصنفات الملاحة البحرية عند العمانيين خلال القرنين التاسع والعشرين " الرحمانيات أنموذجا") تناول فيها العلوم البحرية بإسهاب مما يساعد في إبراز هذا النوع من المصنفات والمعروف بالرحمانيات.

جمعة بن محمد بن علي الخضوري [3]:

عمل المؤلف في كتابه المعنون باسم "البحرية العمانية عبر الزمان مجد تليد من تاريخ عمان" على توثيق جانبا مهما من العلوم البحرية العمانية.

حمود بن حمد بن جويد الغيلاني[4]:

من خلال عدد من الدراسات المنفصلة عند العلوم البحرية وتطورها عند العمانيون قدمت من الأبحاث:

1. تطور العلوم البحرية عند العمانيين.
2. قراءة لأرجوزة حاوية الاختصار.
3. ذكر جهود أحمد بن ماجد العلمية وتطويره واختراعاته في هذا المجال في كتابنا " اسياد البحار".
4. كتاب سنّة النواخذة[5]: تحدث فيها عن النظم والقوانين البحرية عند أحمد بن ماجد وحتى منتصف القرن العشرين الميلادي.

النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

من خلال ما تم استعراضه نرصد عدد من النتائج التي نرى أن في خلال العمل بها سوف تعمل على إبراز دور علوم الملاحة البحرية لدى العمانية والعربية على المستوى العالمي:

1 . إن حالة الإهمال والاغفال للعلوم البحرية لدي العمانيين ساهمت بشكل كبير في فقد العديد من المؤلفات العلمية للبحريين العمانيين.

2 . إن العمانيين برعوا منذ القدم في الملاحة البحرية.

3 . أبدع العمانيون في العلوم البحرية من خلال استخدامهم للمنهج التجريبي فرصدوا الكثير من المعارف والمعالم البحرية.

4 . يصل عدد المصنفات في علوم البحار التي عند العمانيين والتي وثقها المؤرخون ما يزيد على (60) مصنفا علميا.

---

1 الحموي، محمد ياسين، الملاح العربي أحمد بن ماجد، دمشق، مكتب النشر العربي، ب.ت. ص 10

2 العريمي، بدر بن ناصر بن خميس، مصنفات الملاحة البحرية عند العمانيين خلال القرنين التاسع عشر والعشرين (الرحمانيات نموذجا)، رسالة ماجستير، جامعة السلطان قابوس، 2019م، ص 30

3 الخضوري، جمعة بن محمد بن علي، البحرية العمانية عبر الزمان مجد تليد من تاريخ عمان، مسقط، مطبعة الألوان الحديثة، 2012م، ص 70

4 الغيلاني، حمود بن حمد بن جويد، أسياد البحار، ط2، مسقط، مطبعة مزون، 2017م، ص 186

5 الغيلاني، حمود بن حمد بن جويد، سنّة النواخذة، جعلان بني أبوحسن، مطبعة جعلان، 2016م، ص 84

5 . أظهرت المؤلفات والدراسات التاريخية العربية والأجنبية أن تأثير العمانيين في العلوم البحرية كان غنيا وواسعا بمجالاته المتعددة.

5 . ارتباط علوم البحار بعلم الفلك لدى أحمد بن ماجد ينم على سعة مداركه في هذا الجانب.

6 . المؤلفات التاريخية والجغرافية والدراسات العلمية للمؤرخين والباحثين العرب والأجانب عملت إبراز ونشر العلوم البحرية العمانية على مستوى العالم.

التوصيات:

نظرا للنتائج وما جاء بالورقة يوصي الباحث.

1 . ضرورة تدريس تاريخ العلوم البحرية ضمن مساقات الدراسات الجامعية في الوطن العربي.

2 . عمل مؤتمر خاص عن العلوم البحرية عند العرب وخاصة العمانيين لبروزهم في هذا المجال ولعدم انقطاع العلوم البحرية لديهم حتى فترة متأخرة.

المصادر والمراجع:

السعدي ، أحمد بن ماجد ، حاوية الاختصار في أصول علم البحار (866 هـ - 1461 م).

ـــــ، ثلاث أزهار في معرفة البحار، تحقيق: تيودور شوموفسكي، ترجمة: د. محمد منير مرسي، القاهرة، عالم الكتب، 1969م.

بودتستروب ، إليكس ، بحث بعنوان : الباحثون الروس العمانيون أول أمة عبرت مياه المحيط الهندي ، مجلة نزوى ،مسقط ، العدد 24 ، 2009/7/12 م .

بو حجام، محمد بن قاسم، أحمد بن ماجد في كتابات المستشرقين، ندوة الملاح العماني أحمد بن ماجد، مسقط، وزارة التراث والثقافة، 2018م.

ـــــ، أسد البحار العماني أحمد بن ماجد، ج 1، مسقط، هيئة الوثائق والمحفوظات الوطنية، 2015م.

الحموي، محمد ياسين، الملاح العربي أحمد بن ماجد، دمشق، مكتب النشر العربي، ب.ت.

الخضوري، جمعة بن محمد بن علي، البحرية العمانية عبر الزمان مجد تليد من تاريخ عمان، مسقط،

شهاب، حسن صالح ، أحمد بن ماجد والملاحة في المحيط الهندي، رأس الخيمة، الديوان الأميري، 2002م.

الشيخلي ، صباح إبراهيم ، العلاقات التجارية بين الخليج العربي وشبه القارة الهندية في القرن 9هـ/ 15 م ،كما تعكسها مؤلفات أحمد بن ماجد ، رأس الخيمة ، مركز الدراسات والوثائق ، 2001 م .

عبد العليم ، أنور، ابن ماجد الملاح ، القاهرة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر،1976م.

العريمي، بدر بن ناصر بن خميس، مصنفات الملاحة البحرية عند العمانيين خلال القرنين التاسع عشر والعشرين (الرحمانيات نموذجا)، رسالة ماجستير، جامعة السلطان قابوس، 2019م.

الغيلاني، حمود بن حمد بن جويد، أسياد البحار، ط2، مسقط، مطبعة مزون، 2017م.

ـــــ ، قراءة في حاوية الاختصار، ندوة الملاح العماني أحمد بن ماجد، مسقط، وزارة التراث والثقافة، 2018م.

ـــــ، سنّة النواخذة، جعلان بني أبوحسن، مطبعة جعلان، 2016م

الهاشمي، سعيد بن محمد، ابن ماجد الإنسان والملاح العالمي، ندوة الملاح العماني أحمد بن ماجد، مسقط، وزارة التراث والثقافة، 2018م .

ISSN:2707-8183
العدد 13 كانون الثاني 2021

العلاقات الدولية في اوربا 1806-1809
تحالفات اوربية فاشلة ضد فرنسا

الاستاذ الدكتور ابراهيم سعيد البيضاني

ملخص:

تعد السنوات 1806-1809 من تاريخ اوربا جزء مهم من السنوات التي امتدت من عام 1789 قيام الثورة الفرنسية حتى عام 1815 موعد انعقاد مؤتمر فيينا، وهي سنوات شهدت احداث وصراعات وحروب بين فرنسا من جهة واوربا من جهة ثانية، على اثر التداعيات والاثار التي تركتها الثورة الفرنسية على اوربا وانتقال تأثيراتها على انظمة الحكم المجاورة، بل ان وصول نابليون الى الحكم عام 1799 زاد من اطماع وخطط فرنسا وادى الى تغيير الخارطة السياسية لاوربا.

لذلك فهي فترة مهمة من فترات الصراع والحروب في اطار الحرب الدائرة بين فرنسا واوربا وبالتحديد خلال فترة حكم نابليون، اذ شهدت احداث مهمة منها التحالف الاوربي الرابع والحصار القاري الذي فرضه نابليون على بريطانيا، فضلا عن التحالف الاوربي الخامس، واندلاع الحرب الفرنسية الاسبانية التي شكلت عاملا مهما في تغيير مسار الاوضاع في اوربا.

لذلك نحاول ان نعطي وصفا تحليليا تاريخيا للعلاقات الدولية خلال هذه السنوات.

الكلمات المفتاحية

فرنسا ، بروسيا، روسيا، اسبانيا، الحصار القاري، التحالف الرابع، التحالف الخامس

International Relations in Europe 1806-1809
Failed European alliances against France

Prof. Dr. Ibrahim Saeed Al-Baidhani

Summary

The years 1806-1809 of the history of Europe are an important part of the years that spanned from 1789, the rise of the French Revolution until 1815, the date of the Vienna Conference, which were years that witnessed events, conflicts and wars between France on the one hand and Europe on the other hand, as a result of the repercussions and effects of the revolution. French influence on Europe and the transmission of its effects on neighboring regimes. Indeed, the arrival of Napoleon to power in 1799 increased France's ambitions and plans and led to a change in the political map of Europe.

Therefore, it is an important period of conflict and wars within the framework of the ongoing war between France and Europe, specifically during the reign of Napoleon, as it witnessed important events, including the Fourth European Alliance and the continental blockade imposed by Napoleon on Britain, as well as the Fifth European Alliance, and the outbreak of the Franco-Spanish war that constituted a factor. Whatever in changing the course of the situation in Europe.

Therefore, we try to give an analytical historical description of international relations during these years.

key words

France, Prussia, Russia, Spain, Continental Blockade, Fourth Alliance, Fifth Alliance

التحالف الرابع

في مطلع عام 1806 كانت اوربا منقسمة الى معسكرين، المعسكر الاول تقوده فرنسا ويضم إسبانيا ، وبروسيا ، والإمبراطورية العثمانية ، وبافاريا ، وفورتمبرغ ، وبادن ، وممالكه التابعة لإيطاليا ونابولي وهولندا كحلفاء. وعلى الرغم من سيطرة القوة الفرنسية على التحالف ، فقد استندت الاتفاقيات إلى المصالح المتبادلة . والمعسكر الثاني يضم بريطانيا والسويد في مواجهة فرنسا.[1]

الا ان احداث ومتغيرات ساهمت في تغيير موقف بروسيا من التقارب مع فرنسا، اذ اسس نابليون عام 1806 اتحاد الراين الذي تالف من16 عضو من ملوك وامراء المقاطعات الالمانية، وبالتالي فقد وقع جزء كبير من المانيا تحت هيمنته.[2]

1 EGO,European History online, Frederik C. Schneid ,the French Revolutionary and Napoleonic Wars The Napoleonic Wars, 1803–1815

2 عبد العظيم رمضان، تاريخ اوربا والعالم في العصر الحديث، المصدر السابق، 428.

فقد اضاف نابليون لقبا جديدا لالقابه هو حامي اتحاد الراين، وبالمقابل اعلن الدايت الالماني مصادقته على حماية نابليون لاتحاد الراين في عام 1806، فضلا عن تعهد اتحاد الراين بان يمد امبراطورية نابليون بستين الف مقاتل.[1]

وهذه التطورات بشان اتحاد الراين ازعجت بروسيا، اذ ترى انه يشكل خطرا على حلمها في بناء امبراطورية المانية على انقاض امبراطورية النمسا، فضلا عن ذلك فان نابليون لم يف بعهده بان يكون اتحاد الماني في شمال المانيا مقابل اتحاد الراين، بل انه اخذ يفاوض بريطانيا بان يعيد اليها هانوفر مقابل اخلاءها صقلية، وبالتالي زادت الحماسة القومية الالمانية وترسخت قناعة لدى الالمان بان نابليون يقف امام تطلعاتهم القومية ولابد من محاربته.[2]

وامام هذه الحماسة القومية الالمانية زار قيصر روسيا برلين وعرض المساعدة لبروسيا لمحاربة نابليون، وكان نابليون الذي يتابع هذه التحركات يرى ان مصلحته استدراج بروسيا للحرب قبل وصول القوات الروسية، لذلك اخذ يستفزها ويستهين بقادتها وملكها.[3]

وبما ان بروسيا ترى في هذا الاتحاد تهديد لوجودها ونفوذها في المانيا الشمالية، لذلك قرر فردريك وليم الثالث في التاسع من اب اغسطس 1806 اعلان التعبئة العامة، وقدمت الحكومة البروسية مذكرة الى فرنسا تطالبها بالايفاء بوعودها باقامة اتحاد شمال المانيا تحت زعامتها، والانسحاب من الراين قبل اكتوبر من عام 1806، وزحف الجيش البروسي قاصدا الراين عبر اراضي سكسونيا، وقد عرقلت المدفعية الفرنسية حركة عبور الجيوش البروسية نحو الراين، ثم جرت معركة يينا Jene في 14 اكتوبر تشرين الاول 1806 التي حققت فيها فرنسا انتصارا كبيرا. وعلى ضوء هذه المعركة انهارت بروسيا كلها امام القوات الفرنسية، ودخل نابليون برلين في 27 اكتوبر 1806.[4]وبالتالي فقد اخطات في اختيار ساعة المواجهة مع فرنسا، واكدت بموقفها ان نابليون نجح فعلا باستفزازها واستدراجها الى الحرب.[5]

وبعد تقهقر فردريك وليم الثالث واحتلال برلين انسحب بانتظار وصول الكسندر الاول قيصر روسيا الذي حشد جيوشه عند نهر الفستيولا في نوفمبر 1806، وفي منتصف يناير 1807 دارت معركة كبيرة في الثلوج كانت الغلبة في بادئ الامر للجيش البروسي، الا ان القائد الفرنسي الجنرال مورا قد تمكن من اختراق صفوف المشاة الروس، وعدل ميزان المعركة لصالح الجيش الفرنسي، فضلا عن ذلك، فقد وصلت الجيوش الفرنسية الاخرى وتكون ما يطلق عليه الجيش الاعظم، وفي 14 يونيه حقق الجيش الفرنسي نصرا اخرا في معركة مارنجو.[6]

وبعد ان تمكن نابليون من عزل بروسيا عن روسيا والنمسا واجتاح في أكتوبر 1806 الممالك الألمانية ودارت معركة في جينا و أورستيدت في 14 أكتوبر 1806.[7]

بعد ظهر يوم 13 أكتوبر 1806 وصل نابليون مع قواته إلى جينا Jena وصعد على الفور إلى Landgrafenberg ، التي تسيطر عليها القوات الفرنسية واتخذ منها مقرا لإدارة المعركة وتوزيع المهام والواجبات على قياداته . وابرز صفحات القتال

---

1 زينب عصمت راشد ، المصدر السابق،199.

2 المصدر نفســــــــــــــــــــــــــه، 200.

3 المصدر نفســــــــــــــــــــــــــه والصفحة نفسها.

4 عبد العظيم رمضان، تاريخ اوربا والعالم في العصر الحديث، المصدر السابق، 428.

5 زينب عصمت راشد، المصدر السابق،200.

6 عبد العظيم رمضان، تاريخ اوربا والعالم في العصر الحديث، المصدر السابق، 430.

7 EGO,European History online, Frederik C. Schneid ,the French Revolutionary and Napoleonic Wars
The Napoleonic Wars, 1803–1815.

كانت حول حول Dornberg التي تقع بين Krippendorf و Closewitz ، وتمثل أعلى نقطة في ساحة معركة Jena ، كان من الممكن الاستيلاء على ساحة المعركة بأكملها عند النظر إلى الشمال والغرب. كان نابليون مدركًا تمامًا للميزة الاستراتيجية الهائلة لها ، وركز كل الجهود الممكنة على غزوها بمجرد اندلاع المعركة . وخلال الليل احتلت القوات الفرنسية Landgrafenbergبجميع معداتها - وهو إنجاز هائل في مجال الخدمات اللوجستية ، خاصة بالنظر إلى صعوبة نقل المدفع في التضاريس القاسية. شارك نابليون نفسه وتدخل في وقت ما لتسوية الازدحام المروري ولضمان سيولة المسار في المرتفعات. وفي فجر 14 أكتوبر 1806 هاجم الفرنسيون القوات البروسية والساكسونية التي كانت تحتجز Dornberg تحت قيادة الجنرال .Tauentzien ، واجبرتها على التقهقر والتراجع ، واتجه نابليون نحو Dornberg ، عبر مرتفعات Cospeda. وبعد الانتصارات التي حققها نابليون على بروسيا ودخوله برلين واصدارة مراسيم انشاء اتحاد الراين عام 1806 وقضائه على الامبراطورية الرومانية المقدسة، فقد اصبح صاحب الكلمة العليا في المانيا واضعاف دور كل من النمسا وبروسيا.[1]

من خلال احداث وتطورات الاوضاع والعلاقات الدولية في اوربا عام 1806 وبظل تواصل انتصارات نابليون، وفي ظل الصراع والحرب التي كانت بظل التحالف الاوربي الرابع، يمكن ان نؤشر القراءات التالية:

- ان ايغال نابليون في تعزيز نفوذه وهيمنته دون مراعاة سيادة الشعوب والدول الاوربية واحترام هويتهم القومية، ولعل قيام اتحاد الراين مثالا لذلك، فقد ادى الى استياء وقلق اوربا، ودفعت بروسيا الى المشاركة في حروب التحالف الرابع،
- على الصعيد العسكري نجح نابليون في استدراج بروسيا للحرب قبل وصول الجيش البروسي، وتمكن الظفر بها، ولكن بالمقابل فانه كان من الممكن ان يجعلها حليف او تقف على الحياد، بايفاء بالتزاماته الدولية واعطاء بروسيا حق قيام اتحاد الماني برئاستها.
- وعلى العموم فان نابليون في نهاية عام 1806 اصبح صاحب النفوذ والهيمنة في المانيا وتمكن من اضعاف كل من بروسيا وروسيا.الحصار القاري

على اثر دخول نابليون برلين وكسر شوكة الدول المهمة في التحالف الرابع النمسا وبروسيا وروسيا، قرر مواجهة بريطانيا من خلال فرض الحصار القاري عليها. وجعلها على راس اهدافه، ومواجهتها من خلال اغلاق الاسواق الاوربية امام بضائعها.[2]

ومن برلين اعلن نابليون في 21 نوفمبر 1806 مراسيم الحصار القاري التي حرم بموجبها على كل الدول الاوربية الاتجار مع بريطانيا او فتح موانئهم امام السفن البريطانية.[3]

وبالمقابل ردت الحكومة البريطانية في العام التالي بفرض حصارًا على أوروبا التي تسيطر عليها فرنسا ، وأذنت الحكومة البريطانية لبحريتها بالاستيلاء على السفن التي تنتهك الحصار. وما كان من نابليون سوى الرد بمزيد من القيود التجارية في مرسوم ميلان لعام 1807.

---

1 عبدالعزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين، التاريخ الاوربي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الاولى،دار الفكر العربي مصر1999،.301.

2 عبدالعزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال المصدر السابق،301.

3 عبد العظيم رمضان، تاريخ اوربا والعالم في العصر الحديث، المصدر السابق، 429.

وارغمت الحامية الفرنسية ملك نابولي على اعتماد تجارة تناسب فرنسا، وادرك نابليون ان سياسة الحصار لا تكفي ان تعتمدها فرنسا لوحدها، ولابد من اشراك اوربا بهذه السياسة.[1]وعلى راس الدول الاوربية التي جعلها شريكة له في هذه المهمة هي روسيا، اذ تمكن ان يقنع القيصر الروسي، ,ويضع هدف منع دخول البضائع البريطانية الى اوربا ضمن بنود معاهدة تلست.[2]

انعكست الاجراءات التي طبق فيها نابليون الحصار القاري واجراءات بريطانيا لمواجهتها على العلاقات البريطانية الامريكية، فقد اخذت بريطانيا تفتش السفن الامريكية بحجة البحث عن الفارين من البحرية البريطانية ، وبالتالي رد الرئيس جفرسون باجراءات حظر لجميع التجارة الخارجية مع بريطانيا بهدف اضعاف الاقتصاد البريطاني. وبما ان الاقتصاد الامريكي يعتمد بشكل كبير على التجارة مع بريطانيا، لذلك لم تكن الاجراءات التجارية بمقاطعة التجارة البريطانية مرغوبة من الشعب الامريكي، مما اضطر الرئيس الامريكي جفرسون في اخر قراراته كرئيس الغاء قانون الحظر، بقانون اخر اصدره اوائل عام 1809 سمح بالتجارة باستثناء بريطانيا وفرنسا.[3]

وعلى الرغم من كل الاجراءات والاجراءات المقابلة والانعكاسات والتأثيرات التي اتسعت مساحتها، الا ان هذا الحصار حكم عليه بالفشل، وجاء بنتائج عكسية. ومن اسباب فشله فان كل من نابليون والكسندر قيصر روسيا لم يثق اي منهما بالأخر، فضلا عن ان عوامل اخرى ساهمت في ان تجعل من القيصر الروسي خصما عنيدا لنابليون، فقد سئم القيصر الروسي من الحصار القاري واثاره السيئة على اقتصاد بلاده، وبالتالي فان ذلك جعل البضائع البريطانية تتدفق على بلاده، ومن جانب اخر فان نابليون كان يناور في مسالة مستقبل القسطنطينية التي وعد القيصر بها، فهو يدرك ان القسطنطينية تعد حاجزا مهما امام انطلاق روسيا نحو البحر المتوسط، وهي ايضا تجعل الدولة العثمانية باقية وصامدة لتكون حاجز امام توسع روسيا، فضلا عن ان القيصر الروسي كان مستاءا جدا من زواج نابليون من اميرة نمساوية، اذ راى فيه تحالف نمساوي فرنسي ضد روسيا، وبالتالي فان من الواضح ان القادم سيكون مواجهة روسية فرنسية كبيرة.[4]

فضلا عن ذلك فان الحصار القاري يعد خيار واسلوب خاطئ استخدمه نابليون، اذ لم تكن الموانئ هي الطريق الوحيد لدخول البضائع التجارية، فضلا عن اوربا التي شعرت انها وقعت تحت رحمة مارد جبار هو نابليون، فأنها في الوقت نفسه هي بحاجة الى البضائع والتجارة البريطانية، لذلك كانت اوربا تتطلع الى الخلاص من هذا الحصار.[5]

كان التأثير الاقتصادي للحكم النابليوني أكثر أهمية في تشكيل الهوية الأوروبية، اذ انه على الرغم من أن النظام القاري ، الذي حظر استيراد وتصدير البضائع من وإلى بريطانيا ، كان ضارًا للغاية للمنازل التجارية في المدن الساحلية في القارة الأوروبية ، إلا أن هذه البيوت التجارية نقلت مراكز عملياتها للاستفادة من التدفق المتزايد للسلع داخل الإمبراطورية الكبرى. بدأت التجارة بين الدول الأوروبية تتجذر ، وهذا يوفر بالتأكيد تجارة دولية أكبر ، حتى لو لم تعد تتخذ شكل التجارة الخارجية .[6]

---

1 مفيد الزيدي، موسوعة تاريخ اوربا الحديث والمعاصر، ج 3-4،دار اسامة للنشر والتوزيع،679.

2 عبدالعزيز سليمان نوار،محمود محمد جمال المصدر السابق،301.

3OFFICE OF THE HISTORIAN. Napoleonic Wars and the United States, 1803–1815.

4 عبدالعزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين، المصدر السابق، 301.

5 المصدر نفســـــــــــــــــــــــــــه والصفحة نفسها.

6 EGO,European History online, Frederik C. Schneid ,the French Revolutionary and Napoleonic Wars.

الحصار القاري يعد من الاخطاء الكبيرة التي اضعفت نابليون وخلقت امامه المصاعب والتحديات، فقد اعتمد اجراءات مبنية على افتراضات خاطئة، فقد جعل اوربا تتطلع الى اليوم الذي تتخلص فيه من قيوده، فاوربا كانت بحاجة دائما للبضائع البريطانية وتضررت كثيرا من حرمانها من الاتجار معها، فضلا عن ان بريطانيا عوضت عن خسارتها في الحرمان من التعامل مع الموانئ الاوربية في انها اتجهت الى الاسواق الامريكية والى الشرق.[1]

وبالتالي فان التعويضات التي حصلت عليها بريطانيا من مستعمراتها منحتها القدرة على المقاومة في مواجهة نابليون والحصار القاري، والحصيلة ان اوربا تضررت اكثر مما تضررت بريطانيا، ولعل هولندا التي عرشها تحت حكم لويس بونابرت اخ نابليون اكثر الدول التي تضررت من ذلك الحصار، وظهرت فيها ردود فعل سلبية تجاه اثار الحصار القاري، فقد ترك لويس بونابرت عرش هولندا بعد ان يأس من الحصول على استثناءات لهولندا من اجراءات الحصار، فما كان من نابليون الا ان يضم هولندا الى فرنسا، فضلا عن ان دول اوربا اخذت تفتح بلادها امام البضائع البريطانية دون الاعلان عن ذلك واخذت تعد العدة لبناء نظام عسكري واداري استعدادا لخوض المعركة المقبلة ضد نابليون، وهذا الوصف ينطبق على بروسيا اولا ثم النمسا الى حد ما. فضلا عن ذلك فان من نتائج اذلال بروسيا وسياسات نابليون المتشددة هو احياء الروح القومية الالمانية، فقد دفعت الى ظهور زعامات قومية ادت الى انشاء جيش قومي الماني، فضلا عن التحولات في علاقة بروسيا مع الشعب الالماني واعتماد سياسات داخلية عمقت العلاقات بين المدن الالمانية.[2]

لذلك فان هذه جملة من العوامل والاسباب التي اضعفت من الحصار القاري الذي كان نابليون يراهن عليه في مواجهة بريطانيا، فقد جاء بعوامل واسباب اضعفت من قدرة نابليون وجعلت اوربا تفكر بالخلاص من هذه السياسات المؤذية التي الحقت الضرر ببلدانها.

وصف سياسة نابليون 1807

بنى نابليون إمبراطوريته على أساس العلاقات الفرنسية التاريخية، وقام بتوسيع ممتلكات الأسرة ، وزراعة الأمراء والدول التابعة . وتمثل الحروب النابليونية الاستمرارية في حرب التحالف والسياسة الخارجية الفرنسية حتى عام 1807. وان حجم نجاحات نابليون من عام 1807 يفتقر إلى أي إطار تاريخي يفسر فيه التوسع من سلطته. باختصار ، بعد عام 1807 ، سعى لبناء إمبراطورية بلا نهاية ، وكشفت سياسته عدم قدرته على صياغة نظام سياسي متماسك لتعزيز موقفه من الهيمنة الأوروبية.

منذ اللحظة التي أصبح فيها نابليون القنصل الأول لفرنسا حتى تنازله عن العرش ، لعب على المصالح الفردية والمنافسات للدول الأوروبية لإبعادهم عن بعضهم البعض. علاوة على ذلك ، ترجمت الطموحات الإمبراطورية الفرنسية إلى هيمنة ثقافية على السكان الأوروبيين ، الأمر الذي غذى التوترات وعزز في نهاية المطاف ردود الفعل الوطنية على الحكم الفرنسي. سعت الإدارة الفرنسية في مناطق أوروبا الملحقة في الإمبراطورية الفرنسية إلى منح هذه الشعوب "فوائد" الثقافة الفكرية والسياسية الفرنسية. كان هذا هو الحال بشكل خاص في بيدمونت وتوسكانا وأومبريا .[3]

تنامي القوميتين الايطالية والالمانية بعد معاهدة تلست 1807

The Napoleonic Wars, 1803–1815.

1 عبدالعزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين، المصدر السابق، 301.

2 المصدر نفسه والصفحة نفسها.

3 EGO,European History online, Frederik C. Schneid ,the French Revolutionary and Napoleonic Wars

The Napoleonic Wars, 1803–1815.

ابتعد نابليون عن أي إطار تاريخي أو تقليدي في قراراته الاستراتيجية ، اذ أدخلت الإمبراطورية النابليونية تغييرات أساسية على الخريطة الأوروبية. والغى الإمبراطورية الرومانية المقدسة واستبدالها باتحاد الراين على نطاق واسع كبداية لألمانيا الحديثة. وكردة فعل على الاحتلال الفرنسي للماليك الايطالية والالمانية فقد تنامت الدعوات القومية، وبعد ذلك تحولا مهما في القوميتين الايطالية والالمانية، فقد كان العصر النابليوني فترة محورية في تحول القومية، وبعد ان كانت حركة فكرية في القرن الثامن عشر فقد اتضحت معالمها في القرن التاسع عشر .

على الرغم من امتداد النفوذ الثقافي الفرنسي إلى أوروبا المحتلة ، لكن التأثير الكامل للحكم النابليوني كان محسوسًا فقط في تلك المناطق من أوروبا المدمجة مباشرة في الإمبراطورية الفرنسية. حكمت الدول التابعة التي حكمتها عائلة نابليون ، وحلفاؤه والدول العميلة قانون نابليون وعناصر أخرى من التقاليد الثورية الفرنسية فقط إلى الحد الذي يمكن أن تتحمله مجتمعاتهم ونظمهم السياسية. تمكن الأمراء الألمان من الحد من درجة التأثير الدستوري والقانوني الفرنسي طوال الفترة. في بعض الحالات

كانت الهيمنة الفرنسية اكثر تاثيرا على المؤسسات والتنظيم والتكتيكات العسكرية، اذ قامت الدول الحليفة لنابليون بتكييف النظام الفرنسي تدريجياً. لقد خفضوا شروط الخدمة العسكرية ، وأنشأوا فرقًا وألوية على الطراز الفرنسي ، واعتماد الخطط والتكتيكات التي ساهمت في نجاح جيوش نابليون في ساحات المعارك. في حين اعتمدت ممالك إيطاليا و ويستفاليا وهولندا ونابولي نظام التجنيد الفرنسي. فضلا عن قيامهم بتعديل أنظمة التوظيف الخاصة بهم ، لكنهم لم يقبلوا تمامًا نموذج التجنيد الفرنسي ، لأنه كان له آثار على أنظمتهم الاجتماعية والسياسية. وبالمثل أدخلت النمسا وبروسيا وروسيا جوانب النظام العسكري الفرنسي من تلقاء نفسها ، لكنها رفضت إجراء إصلاح شامل على النموذج الفرنسي .

حول نابليون انتباهه إلى بولندا ، حيث كانت الجيوش البروسية المتبقية مرتبطة بحلفائها الروس. لم تسفر حملة الشتاء الصعبة سوى عن حالة من الجمود ، تفاقمت بسبب معركة إيلاو في 7-8 فبراير 1807 (Battle of Eylau on February 7–8, 1807)، حيث ارتفعت الخسائر الروسية والفرنسية مقابل مكاسب قليلة. استؤنفت الحملة في الربيع ، وهذه المرة هُزم جيش بينيجسن الروسي في معركة فريدلاند في 14 يونيو 1807.(Battle of Friedland on June 14, 1807) .أنتج هذا الانتصار معاهدتي تيلسيت بين فرنسا وروسيا وبروسيا في يوليو ، مما ترك نابليون بلا أعداء في القارة. .[1]

تمثل اتفاقية تلست الموقعة بين نابليون والقيصر الروسي الكسندر في عام 1807 ذروة انتصارات نابليون وقوته، فقد كسر شوكة كل من النمسا وبروسيا. إذ تدهورت اقتصاديات دول اوربا نتيجة الحصار القاري، في حين ان بريطانيا عوضت عن ذلك بتوسيع تجارتها مع الاسواق الامريكية والشرقية، فضلا عن ان مستعمراتها مدتها بالكثير من التجارة التي منحتها المقاومة والصمود. .[2]

وفي معاهدة تلست 1807 تمكن نابليون ان يجعل قيصر روسيا حليفا له، وبالمقابل تمكن ان يحقق انتصارات وشروط مذله على كل من بروسيا والنمسا، فضلا عن ان وفاة بت رئيس وزراء بريطانيا قد يجعل خليفته لا يجرا على رفض المصالحة مع فرنسا. كانت معاهدة تلست 8 يوليو 1807 شديدة الوطاة على بروسيا، اذ فرض عليها جباية تعويضات حربية باهضة، وفرض عليها ان تنفق على جيش الاحتلال، فضلا عن ذلك قام بتحجيم وتحديد قوتها العسكرية، وقام بإجراءات اخرى

1 Ernest Meissonier.Charge of the French cuirassiers at Friedland (1807).

2 عبدالعزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين، المصدر السابق، 303.

تضعف من مكانتها، بان اقام دوقية واشو وجعلها خاضعة لملك سكسونيا في الجنوب وانشا مملكة وستفاليا في الغرب وضم اليها ولايات مسلوخة من بروسيا ونصب عليها جيروم بونابرت، وكل ذلك كان نابليون يرى انه كان شفيقا ببروسيا.[1]

في معاهدة تلست عام 1807 وبعد ان حقق نابليون انتصاره على روسيا، تمكن من ان يجعل روسيا حليفة لفرنسا، واتفق مع القيصر الروسي على مواجهة بريطانيا من خلال فرض الحصار القاري عليها، الا ان الحصار جاء بنتائج خطيرة مدمرة على فرنسا وعلى نابليون، فقد على اثره حلفائه وعلى راسهم القيصر الروسي الذي تضررت بلاده من تطبيقه، وفقد حلفاء اخرين، وبالتالي فان التذمر الاوربي من سياسات نابليون التعسفية في فرض الحصار القاري جعل اوربا تحشد قدراتها لمواجهة نابليون من جديد.

التحالف الخامس 9 نيسان 14/1809 اكتوبر 1809

كانت النمسا التي عاشت هدوءا نسبيا وانتعاشا لفترة قصيرة تراقب الحروب الدائرة في اوربا، وتمكن صقور الحرب من اقناع بلاط الإمبراطور فرانسيس الأول بالاستفادة الكاملة من انشغال فرنسا بالحرب مع اسبانيا.[2] و بدأت النمسا بالتعبئة والاستعداد للقتال.

أعطى تركيز نابليون على إسبانيا فرصة للنمسا لإعادة التسلح والاستعداد للحرب. وفي الوقت الذي فشلت فيه النمسا في كسب الدعم البروسي والروسي لحربها في عام 1809 ،الا انها حصلت على اعانات مالية محدودة من بريطانيا، اذ كان البريطانيين يركزون قواتهم واهتمامهم في أيبيريا، في حين تمكن نابليون من تأمين التزام روسيا بتحالفه، وتمسك حلفاءه باتفاقاتهم على الرغم من لديهم فرصة لتقويض الهيمنة الفرنسية .[3]

وعلى الرغم من ان ستاديون يدرك ان نظام الاحتياط وتنظيمات الميليشيات تحتاج إلى كلفة اقل من أعداد الجيوش النظامية، الا انه أيضا بحاجة إلى وجود الدافع للقتال، لذلك بدأت النداءات للتعبئة العسكرية بأشكال مختلفة بحسب عناصر المجتمع المختلفة، ولعل ابرز هذه النداءات التي كانت لا تخلو من الغرابة هي تلك الموجهة للالمان، اذا نها صادرة من حكومة هابسبورغ التي تعد العدو الاساسي للقومية الألمانية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، ولم تقتصر النداءات إلى الألمان بل أصدرت الحكومة النمساوية دعوات تحت لافتة حب الوطن وحب الإمبراطور ومقاتلة الأجانب، وبنفس الخطاب الموجه للألمان لكن بتبديل صيغة النداء وجهت الإمبراطورية النمساوية نداءات للتعبئة العسكرية للتشيك والسلوفيلين والمجريين والبولنديين .[4] لذلك فان النمسا قامت بما يلزم والتعبئ من اجل الاستعداد للحرب.

و في أبريل 1809 فاجئ النمساويين فرنسا بالدخول إلى الحرب دون سابق انذار، وحققوا مكاسب بسيطة وبطيئة، الا ان عودة نابليون إلى ساحة الحرب قادما من باريست مكن الفرنسيين من تحقيق الانتصار على النمساويين ، وهُزم النمساويون في معركة إكمول (Battle of Eckmuhl) وفروا فوق نهر الدانوب وفقدوا قلعة راتيسبون(fortress of Ratisbon). لكنهم ظلوا قوة قتالية متماسكة ..

استولى الفرنسيون على فيينا وحاولوا عبور نهر الدانوب عبر جزيرة لوباو جنوب شرق العاصمة النمساوية ، لكنهم خسروا معركة Aspern-Essling اللاحقة ، وهي أول هزيمة للجيش الكبير. أثبتت المحاولة الثانية لعبور النهر نجاحًا أكبر في يوليو / تموز ، ومهدت الطريق لمعركة واغرام التي استمرت يومين ، حيث انتصر الفرنسيون ، وأوقعوا حوالي 40.000

1 فشر ، المصدر السابق، 83.

2 Horace Vernet, Napoleon at the Battle of Wagram, 16 July 1809.

3 EGO,European History online, Frederik C. Schneid ,the French Revolutionary and Napoleonic Wars The Napoleonic Wars, 1803–1815

4 ENCYCLOPEDIA BRITANNICA ,Conflicts with revolutionary France, 1790–1805.

ضحية للنمساويين ، لكنهم خسروا 37 الف من قوتهم. أدت الهزيمة إلى إحباط معنويات النمساويين بشدة لدرجة أنهم وافقوا على هدنة بعد ذلك بوقت قصير. أدى هذا في النهاية إلى صلح شونبرون في أكتوبر 1809. كان الجيش الكبير قد أنهى التحالف الخامس وفقدت الإمبراطورية النمساوية ثلاثة ملايين من سكانها نتيجة المعاهدة الحدودية التي فرضت عليها.[1]

وبموجب معاهدة شونبرون التي وقعت بين فرنسا والنمسا في (14 أكتوبر 1809 (Treaty of Schönbrunn, Oct. 14, 1809) ، في قصر شونبرون في فيينا ، بعد انتهاء الحرب النمساوية الفرنسية (حرب التحرير النمساوية) عام 1809. فقدت النمسا حوالي (83000 كيلومتر مربع) من الأراضي التي يبلغ عدد سكانها حوالي ثلاثة ملايين وخمسمائة نسمة.

بموجب شروط المعاهدة ، استلمت فرنسا فيوم وإستريا وتريست ، وهي جزء من كرواتيا ، ومعظم كارينثيا وكارنيولا ؛ زيادة على ذلك وافقت النمسا على دفع تعويضات كبيرة ، وخفض جيشها إلى 150 ألف رجل ، واجبرت على قطع العلاقات الدبلوماسية والتجارية مع بريطانيا والمشاركة في الحصار القاري.[2]

اضطرت النمسا للتنازل عن سالزبورغ لنابليون الأول لنقلها إلى بافاريا. مرت مقاطعة Görz (Gorizia) و Istria و Trieste و Carniola و Fiume (Rijeka) وأجزاء من كارينثيا وكرواتيا من النمسا مباشرة إلى فرنسا وتم تضمينها في المقاطعات الإليرية التابعة لنابليون. تنازلت النمسا عن غاليسيا الغربية لدوقية وارسو الكبرى ؛ انتقلت مقاطعة غاليسيا في تارنوبل من النمسا إلى روسيا كتعويض عن مشاركة روسيا في الحرب إلى جانب الفرنسيين.

والاعتراف بجميع التغييرات التي سيقوم بها نابليون في إسبانيا والبرتغال والدول الإيطالية ؛ نصت المعاهدة على وجه التحديد على أن النمسا يجب أن تتخلى عن التدخل في الشؤون الداخلية لهذه الدول. ،. تم ضمان سلامة الممتلكات النمساوية المتبقية من قبل نابليون.[3]

وعلى اثر توقيع هذه المعاهدة فان العلاقات الفرنسية النمساوية اتسمت بالهدؤ، فضلا عن ان هذه المعاهدة حولت النمسا الى تبعية فعلية لفرنسا، زيادة على ذلك لابد من القول ان حرب التحرير النمساوية جرت ليس في وقتها المناسب، مما جعلت النمسا تدفع ثمن ذلك ، اذ انها كانت تتوقع مساعدة بروسية، الا ان ذلك لم يحصل. ذهب النمساويون إلى الحرب ضد تحالف نابليون لروسيا ، واتحاد الراين ومملكة إيطاليا. أدى عدم قدرة النمسا على حشد الدعم من بروسيا أو روسيا إلى تقويض جهودها الحربية ومكن نابليون من التفوق عليها في ساحة المعركة وفي الساحة السياسية. كانت حرب عام 1809 بالتأكيد أكبر اختبار للإمبراطورية الكبرى المهيكلة حديثًا.[4]

وفي العام التالي النمسا عام 1809 تزوج نابليون من ابنة فرانسيس. ويمكن اعتبار اتحاد هابسبورغ-بونابرت هذا بمثابة تجديد للتحالف النمساوي الفرنسي في القرن الثامن عشر. من المنظور النمساوي ، مكنت هابسبورغ من ترسيخهم فوق البروسيين والروس في سياق إمبراطورية نابليون الأوروبية. لقد كانت طريقة تمكن سلالة هابسبورغ من إعادة تأكيد نفوذها في "أوروبا الجديدة" بعد أن تخلت عنها بروسيا وروسيا في 1809.45 .[5]

فقد اختارت النمسا الوقت غير المناسب للاعلان الحرب على فرنسا، فخاضت حرب التحرير النمساوية منفردة، فخسرت الحرب وفرضت عليها الشروط، لكن زواج نابليون من ابنة فرنسيس فتح الافاق لتعاون وتحالف نمساوي فرنسي،

1 Horace Vernet, Napoleon at the Battle of Wagram, 16 July 1809.

2 Encyclopaedia Britannica. Treaty of Schönbrunn.

3 https://www.thefreedictionary.com,Schönbrunn, Treaty of (1809)

4 EGO,European History online, Frederik C. Schneid ,the French Revolutionary and Napoleonic Wars The Napoleonic Wars, 1803–1815

5 IBID.

هدفت النمسا من وراءه استعادة قوتها امام كل من بروسيا وروسيا، فالتحالف الاوربي الخامس اساسة حرب التحرير النمساوية.

العلاقات الفرنسية الاسبانية 1808-1809

أنشأت معاهدة تيلسيت تحالفًا سياسيًا رسميًا بين روسيا وفرنسا. في حين ان الدول الأوروبية خارج هذه الرابطة القارية اقتصرت على بريطانيا والبرتغال والسويد والإمبراطورية العثمانية، وأدى رفض البرتغال الامتثال للنظام القاري الذي فرضه نابليون الى شن حملة عسكرية فرنسية ضدها في أواخر عام 1807. هذه الحملة شكلت الأساس لحرب شبه جزيرة ايبريا، التي استنزفت الموارد الحيوية والقوى العاملة لفرنسا. فضلا عن ذلك فان عدم ثقة نابليون بحلفائه الإسبان دفعه إلى الإطاحة بهم في ربيع عام 1808. واستبدل البوربون الإسبان بشقيقه الأكبر جوزيف (1768-1844).

اذ كانت اسبانيا من اكثر الدول الاوربية التي انتفضت ضد سياسة نابليون بتوزيع التيجان الاوربية على عائلته،اذ اثار تنصيب اخيه جوزيف على عرش اسبانيا غضب الاسبان الذي عدوه مذلا لهم، ونتيجة لذلك ظهرت حركة اصلاحية وطنية تمكنت من تنظيم جيش قوي انتصر على نابليون في معركة بابلين في يوليو 1808،وقد شكلت هذه المعركة منعطفا مهما في رسم مصير نابليون ، ورسخت قناعة لدى الدول الاوربية بان السبيل متاح لهزيمته، فقد تحالفت اسبانيا مع بريطانيا التي امدتها بالسلاح والمؤن، وتمكنت من الحاق الهزيمة بنابليون، وهذه الهزيمة التي تعرض اليها نابليون جعلته مضطرا لان يقاتل في جبهتين عريضتين مختلفتين، اذ عليه مواجهة النمسا في جبهة ومواجهة اسبانيا في جبهة اخرى، فضلا عن انه اصبح على نابليون ارسال المعدات والاسلحة والجيوش الى هذه الجبهة التي تعرض فيها الى هزيمة كبيرة حطمت اسطورة الجيش الفرنسي.[1]

التحديات والمشاكل التي واجهت نابليون خلال محاولة احتلال اسبانيا وما تعرض له من هزائم، دفعه الى ان يقدم الجيش الكبير الذي يبلغ قوامه 125000 جندي واستولى على قلعة بورغوس ، وذلك مهد الطريق إلى مدريد في معركة سوموسيرا ، وأجبروا الجيوش الإسبانية على التراجع. ثم اشتبك الفرنسيين مع جيش مور البريطاني ، مما دفع البريطانيين إلى الانسحاب من شبه الجزيرة الأيبيرية بعد الانتصار في معركة كورونا في 16 يناير 1809.[2]

بعد استدعاء السير آرثر ويليسلي بعد توقيع اتفاقية سينترا في عام 1808 ، تولى السير جون مور قيادة القوات البريطانية في إسبانيا ، وقاد 23 ألف رجل إلى سالامانكا بهدف دعم الجيوش الإسبانية التي كانت تحارب نابليون. عند وصوله إلى المدينة ، علم أن الفرنسيين هزموا الإسبان مما عرّض قواته للخطر. رفض مور التخلي عن حلفائه ، بينما كان يقترب ، وردت تقارير تفيد بأن نابليون كان يقود الجزء الأكبر من الجيش الفرنسي نحو قواته . وعندما احس مور بالخطر بدأ بالانسحاب نحو كورونا في الركن الشمالي الغربي لإسبانيا. بانتظار سفن البحرية الملكية لإجلاء رجاله. مع تراجع البريطانيين غير المنتظم كان نابليون يلاحقهم . وصل مور إلى كورونا مع 16000 رجل في 11 يناير 1809 ، وانتظر اربعة ايام لحين وصول وسائل النقل المكلفة بنقل قواته المنسحبة. كان القتال شرسا بين القوات الفرنسية المهاجمة والقوات البريطانية المنسحبة، وتمكن البريطانيين من النجاح في صد الهجوم الفرنسي، وفي هذه الاثناء قتل القائد البريطاني مور نتيجة اصابته بقذيفة مدفع. ونجح البريطانيون في الانسحاب عبر وسائل النقل الخاصة بهم مع العملية التي تحميها مدافع الأسطول والحامية الإسبانية الصغيرة في كورونا.[3]

---

1 عبدالعزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين، المصدر السابق، 303.

2 Ernest Meissonier.Charge of the French cuirassiers at Friedland (1807).

3 Eferrit. كيندي هيكمان، الحروب النابليونية

كانت الخسائر البريطانية في معركة كورونا بين 800-900 قتيل وجريح. عانى فيلق سولت 1400-1500 قتيل وجريح. في حين فاز البريطانيون بالنصر التكتيكي في كورونا ، نجح الفرنسيون في طرد خصومهم البريطانيين من إسبانيا. كشفت حملة "كورونا" عن مشاكل في نظام الإمداد البريطاني في إسبانيا بالإضافة إلى نقص عام في التواصل بينها وبين حلفائها.[1]

تقييم لغزو اسبانيا

اشعل غزو فرنسا لاسبانيا حربا استمرت ست سنوات استنزفت موارد القوى الحيوية لنابليون، ومنحت بريطانيا حليف قاري جديد وقاعدة للعمليات لضرب فرنسا. وشهدت الحرب في إسبانيا (1808-1814) استخدام واسع النطاق لحرب العصابات ضد القوات الفرنسية بالترادف مع الجيوش الأنجلو-برتغالية والإسبانية التقليدية. كان هذا التحالف الجديد اتفاقًا عسكريًا رسميًا بين السلطات . هناك جدل بين المؤرخين حول مدى لعب الأيديولوجية دورًا في حرب العصابات في إسبانيا. من المؤكد أن السياسات المعادية لرجال الدين لفرنسا الثورية قد عملت على حشد السكان الإسبان ضد الغزو الفرنسي في عام 1794 ، لكن نابليون لم يكن مناهضًا لرجال الدين وقام بتعديل البابوية في عام 1801.

وبالتالي فان حرب العصابات توضع في اطار كونها حرب تقليدية السياق ، اذ شكل الجنود غالبية قوات حرب العصابات الإسبانية بدلاً من الفلاحين .[2]

من طبيعة الاسبان انهم يحملون الكراهية لمبادئ الفلسفة الاجنبية المعادية للبابوية والتي تنفذ بحراب فرنسية، وهم يهتمون اكبر اهتمام بالدين الكاثوليكي، ولكنهم لا يولون وزنا لمبادئ حقوق الانسان، فالكنيسة اقرب الى نفوسهم، وتميز الشعب الاسباني بسمات وعادات مختلفة عن بقية اوربا، ويعيشون بحالة شبه عزلة عن اوربا، وكانوا بارعين في حروب العصابات ومنحتهم الطبيعة بيئة ملائمة لذلك، ولعب القائد البريطاني ارثر ولزلي Arthur Wellesley دورا مهما في دعم وقيادة الجيوش الاسبانية والبريطانية لمواجهة فرنسا.[3]

لذلك نقول ان اخطاء نابليون وعنجهيته هي التي زجته في مواقف وهزائم وحسابات جديدة اعادت رسم شكل الخارطة السياسية لاوربا واعادة التوازن الدولي. ونؤكد ايضا ان غزو نابليون لإسبانيا عام 1808 يعد من الاخطاء الكبيرة والمواقف غير المدروسة التي اعتمدها وادت الى استنزاف موارده، فضلا عن انها حرمته من حليف استراتيجي، وبالمقابل تكون تحالف بريطاني اسباني تمكن من ان يبني قاعدة عمليات مشتركة استنزفت طاقات وموارد فرنسا

1 IBID.

2 EGO,European History online, Frederik C. Schneid ,the French Revolutionary and Napoleonic Wars The Napoleonic Wars, 1803–1815.

3 فشر ، المصدر السابق، 85.

ISSN:2707-8183

أوضاع الجاليات الأرمنية في بلاد الشام ما بين عامي (1295-1326هـ/1878-1908م)

الباحث ديفيد
Davit Sahakyan
أ . د. ميسون منصور عبيدات

ملخص

في هذه الدراسة، كان التركيز على المجتمعات الأرمنية في بلاد الشام ما بين عامي 1295-1326هـ/ 1878-1908م ، حيث كان الوجود الأرمني فيها – ولا يزال – راسخًا جدًّا، وترك بصمات مُؤثِّرة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية فيها.

الهدف الرئيسي من هذا البحث هو دراسة أنشطة الأرمن الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية في هذه المنطقة في الفترة المذكورة أعلاه من أجل فهم جذور الوجود الأرمني هنا، لأنه حتى الآن تعتبر بلاد الشام مركزًا مهمًا للشتات الأرمني وهم يواصلون لعب دورا مهما في مجتمعات هذه المنطقة.

في إطار البحث تم أيضاً تضمين دراسة وتحليل الفظائع الحميدية ضد الأرمن العثمانيين في نهاية القرن التاسع عشر.

Abstract

This study is aimed at examining the conditions of Armenian communities of Levant in the period between 1295–1326 H./1878–1908 A.D. where the Armenian presence was well established, and left its imprints on the life its population. The main goal of this study is to examine the socio-political, cultural and economic activities of Armenians of this region in the above-mentioned period in order to understand the roots of Armenian existance here, because even now Levant is an important center for Armenian diaspora and they continue to play an important role in the societies of this region. In the framework of the study it is also included the examination and analysis of Hamidean atrocities against Ottoman Armenians at the end of the 19th century.

أوضاع الجاليات الأرمنية في بلاد الشام ما بين عامي (1295-1326هـ/1878-1908م)

كان لعام 1295هـ/ 1878م والأحداث التي أعقبته حتى نهاية الحرب العالمية الأولى أهمية كبيرة في تاريخ أرمينيا عامة، والجاليات الأرمنية في بلاد الشام بوجه خاص. فقد أسفرت الحرب الروسية التركية وما تلاها من معاهدة سان ستيفانو ومؤتمر برلين عن استيعاب المسألة الأرمنية، حتى إنَّه يُمكِن بالقول بفصلها عن المسألة الشرقية.

أدَّت هذه الأحداث إلى سطوع نجم القومية الأرمنية في الدولة العثمانية حتى مجيء السلطان عبد الحميد الثاني (1293–1327هـ/1876–1909م). تُمثِّل هذه السنوات تاريخًا حزينًا دمويًّا جدًّا لأرمينيا؛ بسبب قمع السلطات العثمانية للأرمن، إلى جانب اضطهادهم في الدولة العثمانية من قِبَلِ الأكراد والشركس. وقد أُجبِر العديد منهم على ترك منازلهم في أرمينيا الغربية، والهجرة خارج الدولة وداخلها. وكانت إحدى وجهاتهم الرئيسة منطقة الشرق الأوسط، ولا سيَّما بلاد الشام، حيث كان للأرمن وجود قديم جدًّا فيها كما أشرنا في الفصل السابق. إن هذه الموجة الجديدة من المهاجرين، التي أعقبتها هجرات الأرمن في أثناء الحرب العالمية الأولى، جدَّدت الحياة في المجتمعات الأرمنية الموجودة، وأصلحت أحوالهم المجتمعية كلها.

هذا البحث سيعرض أساسًا الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية للمجتمعات الأرمنية في بلاد الشام. وتبعًا لذلك، فقد أفرد الباحث فصلًا فرعيًّا منفصلًا لتقصّي الأحداث التي وقعت في الأناضول بين عامي (1295–1326هـ/1878–1908م)، وأدَّت إلى هجرات الأرمن إلى بلاد الشام. صحيح أن هذه القضية تحيد عن موضوعنا الرئيس، بيد أنه لا يُمكِن تشكيل صورة كاملة المعالم عن سبب إحياء المجتمعات الأرمنية الشامية وتحويلها إلى مجتمعات مُنظَّمة جيدًا، إلّا بمناقشة ما حدث في أرمينيا الغربية متبوعًا بتدويل المسألة الأرمنية.

أولًا: الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمجتمعات الأرمنية في بلاد الشام:

خلافًا للأرمن الذين استقروا في بلاد الشام في أوقات مختلفة، ونتيجة للأحداث المعروفة في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين للميلاد؛ عاش الأرمن الذين لجؤوا إلى بلاد الشام حياة جماعية، فعملوا على بناء الكنائس، وفتح المدارس، وإنشاء المدارس العامة والخيرية والمنظمات، وإصدار الصحف التي مثَّلت وسيلة ناجعة للبقاء، والحفاظ على الهوية الأرمنية. فالأرمن الذين يستقرون في بلد أجنبي يتكيَّفون سريعًا مع البيئة المحلية، ويتعلَّمون لغة سكانها وعاداتهم؛ ما يساعدهم على الثبات ومواجهة الصعاب.)[1](

) 1(Hovhannisyan Nikolay, History of Arab Countries, Vol. II, Yerevan, 2004. p. 85.

ولا شكَّ في أن الاستقبال الحسن الذي لمسه الأرمن من شعب بلاد الشام العربية أسهم أيضًا في تكيُّفهم مع الظروف الجديدة. فقد سُمِح للأرمن بالإقامة في بلاد الشام، ومُنِحوا حق المشاركة في الأنشطة التجارية والاجتماعية والتعليمية.[1] ولولا ذلك، تمكَّن المجتمع الأرمني من البقاء والتطوُّر.

إن الأرمن في سوريا، المنتمين إلى الأقليات القومية، كانوا – وما يزالون–يحظون بكرم الضيافة والاحترام والثقة من جانب العرب. وهذا عامل مهم جدًّا ساعد على ترسيخ وجود المجتمع الأرمني وتنميته. وتقديرًا لموقف العرب؛ وقف الأرمن دائمًا إلى جانب العرب في اللحظات الحاسمة، وقاتلوا دفاعًا عن حرية وأمن وطنهم الثاني.

في منتصف القرن التاسع عشر للميلاد، قُسِّمت سوريا أيام حكم العثمانيين إلى أربع مناطق إدارية، هي: ولايات حلب، وسوريا، وبيروت، ومتصرفات جبل لبنان ودير الزور.

في ستينيات القرن التاسع عشر للميلاد، بلغ عدد المسلمين في سوريا قرابة (1.325.000) نسمة، في حين بلغ عدد المسيحيين نحو (410.000) نسمة. أمّا في جبل لبنان فبلغ عدد المسلمين (160.000) مسلم، و (32.700) مسيحي.[2]

أشارت بعض المصادر المقارنة إلى وجود نحو (80.000–85.000) أرمني كانوا يعيشون في بلاد الشام وقتئذٍ، وتركَّزوا أساسًا في ولاية حلب.[3] أمّا عدد الأرمن في ولايتي سوريا وبيروت فكان أقل كثيرًا؛ إذ بلغ (7.500) أرمني و (4.481) أرمنيًّا على التوالي.[4]

كانت اللغة الرسمية لهذه المنطقة هي اللغة التركية، بالرغم من أن اللغة العربية هي أكثر انتشارًا، وكان السكان المحليون يتحدَّثون بها. أمّا اللغة الأرمنية فقد احتفظ بها الأرمن، ولكنها اختلطت بالعربية، وكانت مختلفة عن اللغة الأرمنية التقليدية.

مثَّلت الجالية الأرمنية واحدة من أكبر مجموعات الأقليات في سوريا. ودينيًّا، كانت الطائفة الأرمنية الرسولية ثالث أكبر جالية أرثوذكسية بعد المارونية واليونانية في بلاد الشام.

فيما يتعلَّق بأعداد السكان في الفترة التي تناولتها الدراسة، فقد أظهرت الإحصاءات لعام (1298–1299هـ/1881–1882م) أن عدد المسلمين في مدينة حلب بلغ (51.000) مسلم، (6.500) يهودي،

(1) Aprahamian Ashot, Short History of the Armenian Emigration, Yerevan, 1964 & 1967, pp. 17-18.
(2) Lenormant Francois, Histoire des Massacres de Syrieen 1860, Paris, 1861, p. 15.
(3) Topuzyan Hovhannes, The History of the Armenian Communities of Syria and Lebanon. (1841-1946), Yerevan, 1986, p. 46.
(4) Ibid, p. 47.

و(21.235) مسيحيًّا، منهم (6.473) أرمنيًّا.[1] وفي عام 1880م، كان في أنطاكية نحو (500) أرمني،[2] في حين بلغ عددهم فيها (3.784) أرمنيًّا عام 1895م من أصل (7.500) مسيحي.[3]

أمّا في منتصف القرن التاسع عشر للميلاد فبلغ عدد أفراد الجالية الأرمنية في بيروت نحو (300) شخص، ثم ارتفع هذا العدد حتى بداية الحرب العالمية الأولى ليصل إلى (1500) أرمني.[4]

وأمّا بالنسبة إلى الأرمن في اللاذقية فلا توجد إحصاءات دقيقة عن أعدادهم فيها. وبحسب المُؤرِّخ كين، فقد بلغ عدد سكان المدينة عام 1305هـ/ 1895م نحو (22.000) نسمة، منهم (10.000) مسيحي، منهم (1.600) أرمني.[5]

وأمّا في متصرفية دير الزور فكان فيها (450) أرمنيًّا تقريبًا.[6] وقد أُنشِئت مجتمعات أرمنية صغيرة أيضًا في بعلبك، وحماة، وحمص، وغيرها.

يَتبيَّن ممّا سبق وجود عدد كبير من الأرمن الذين سكنوا هذه المنطقة، وشاركوا بفاعلية في مختلف مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية فيها. وبناءً على هذه الإحصائيات، سنتابع مناقشة الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية لأرمن بلاد الشام بين عامي (1295–1326هـ/1878–1908م).

شارك الأرمن بفاعلية في العديد من الأعمال التجارية في المرحلة الأولى من تكوين مجتمعاتهم الجديدة في سوريا ولبنان.

في منتصف القرن التاسع عشر للميلاد، تدهور الوضع الاقتصادي والتجاري في حلب بصورة كبيرة، نتيجة عدم الاستقرار في منطقة البحر الأبيض المتوسط، والمشكلات الإدارية العثمانية في سوريا في هذه الأثناء، وانتشار الكوليرا والطاعون وما خلَّفه ذلك من ويلات أصابت قطاع التجارة بالشلل. يضاف إلى ذلك افتتاح قناة السويس وقتئذٍ الذي أدّى إلى تراجع مدينة حلب بوصفها مركزًا للتجارة الدولية.[7] وقد أكَّد ذلك روايات العديد من روايات شهود العيان؛ فوَفقًا لمشاهدات المسافر الأرمني أستواتسادور تير–هوفهانيسيان، الذي كان مسافرًا إلى حلب عام 1285هـ/ 1868م، لم تكن فيها التجارة على النحو المعهود سابقًا، وكان نطاق أنشطتها محدودًا.[8]

---

(1) Syurmeyan Artavazd, The History of Armenians in Aleppo (1355-1908), Vol. III, Paris, 1950, p. 894; Cuinet Vital, La Turquie D'Asie, Geographie Administrative, Vol. II (Ed. 1891-1894), Ernest Leroux, Paris, 1894, p. 178.
(2) Topuzyan H., ibid, p. 47.
(3) Cuinet V., ibid, p. 193.
(4) Varzhapetyan Sisak, Armenians in Lebanon, Vol I, Beirut, 1982, p. 34.
(5) Cuinet Vital, Syrie, Liban Et Palestine: Geographie Administrative, Statistique, Descriptive et Raisonnee, Ernest Leroux, Paris, 1896, p. 82.
(6) Cuinet V., La Turquie D'Asie, Geographie Administrative, p. 297.
(7) Sanjian Avedis, The Armenian Communities in Syria under Ottoman Dominion, Harvard University Press, Cambridge, Masshachusetts, 1965. p. 50.
(8) Aprahamian A., ibid, p. 14.

في إشارة إلى الوجود المتواضع للأرمن في حلب، أفردت المجلة الأرمنية (تسيلن أفارايري Tsiln Avarayri) عام 1283هـ/ 1866م مقالًا عن ذلك، جاء فيه: "تضم حلب حوالي (500) عائلة أرمنية من رجال الدين والعلمانيين، ولكن لا أحد يعرف لغتها الأم من أجل القراءة أو الكتابة بلغتهم."[1]

في ثمانينيات القرن التاسع عشر للميلاد شهدت حلب انتعاشًا تجاريًّا،[2] وكانت التجارة في سوريا غالبًا في أيدي المسيحيين. وبدءًا من ثمانينيات القرن التاسع عشر للميلاد إلى عام 1326هـ/ 1908م، كان قادة الحياة القومية الأرمنية في حلب هم التجار الأرمن. ولكن تدفُّق رأس المال الأجنبي أضعف دور التجار الأرمن، وقصَر مشاركتهم على التجارة الداخلية فقط؛ إذ لم يكن هناك سوى عدد قليل من الأرمن يُصدِّرون إلى أوروبا. وما إن انتهى القرن التاسع عشر للميلاد حتى اقتصرت الأنشطة التجارية للأعضاء القياديين في المجتمع الأرمني الحلبي على دور الوسطاء أو الوكلاء.

كانت أسواق التجارة الأرمنية الصغيرة موجودة في جميع المناطق المأهولة بالأرمن في سوريا ولبنان. وقد امتازت هذه الأسواق بوجود ممرات خشبية ومتاجر فيها. وكذلك مَقاهٍ صغيرة ومُصفِّفو شعر، وباعة للملابس والأحذية وغير ذلك.

بالرغم من فقر الأرمن وهروبهم من المذابح في بلادهم عام (1312-1314هـ/ 1894-1896م)، فإنهم حاولوا تحسين ظروف عيشهم، وتطوير أنفسهم؛ فعملوا بدايةً وكلاء، وطهاة، وخدم عند الأثرياء المسيحيين. ثم دخل كثير منهم في سلك الخدمة الحكومية، فبرز منهم العديد من الحكام، وكبار المسؤولين المدنيين والعسكريين، ومُمثِّلي القنصليات والشركات التجارية.

اختار غالبية اللاجئين الأرمن، وبخاصة بعد مجازر الأعوام (1312-1314هـ/ 1894-1896م)، حلب موطنًا جديدًا لهم، وأقاموا علاقات تجارية مع شركات في المحافظات الشرقية. وكانت تجارة المنسوجات في حلب، وبخاصة الحرير، في أيدي الأرمن، إلى جانب العلاقات التجارية التي امتدَّت من الصين إلى هولندا.[3]

بعد مذابح عام 1314هـ/ 1896م، سحبالعديد من التجار الأرمن (مثل: كالوست، وهوفانيس كيولبنكيان، وأبراهام شاموريان، وتيغران كاسارشيان) رؤوس أموالهم من تركيا، واستقروا في بيروت؛ ما عزَّز مكانة التجار الأرمن فيها.

كان بعض التجار الأرمن في بيروت وحلب على اتصال بكومبرادور أرمن آخرين في لندن وباريس ومانشستر (كانت المنتجات الأوروبية وقتئذٍ تنتشر في مختلف أنحاء الدولة العثمانية) بوصفهم وسطاء للتجارة العثمانية والفرنسية والعثمانية والبريطانية. فمثلًا، كانت تجارة الترانزيت الشمالية كلها تقريبًا التي تمرُّ عبر بيروت وحلب وقيليقية والأناضول في أيدي الأرمن؛ إذ كانوا يستوردون الصوف، والحرير، والدهانات،

(1) "Tsiln Avarayri" Magazine, Constantinople, 1866, p. 409.
(2) Masters Bruce, The Ottoman City between East and West: Aleppo, Izmir and Istanbul, Cambridge University Press, Cambridge, 1999, p. 19.
(3) Ibid., p. 84.

والحديد، والزجاج، وما إلى ذلك.[1] ووَفقًا للمُؤرِّخ الأرمني كيهيان، فإن الأرمن استحوذوا على 3/1 حركة التصنيع ببيروت في نهاية القرن التاسع عشر للميلاد.[2]

مقارنةً بحلب وبيروت، كانت مشاركة التجار الأرمن متواضعة جدًّا في أجزاء أُخرى من سوريا؛ فخلافًا لأرمن حلب، لم يُسهِم أرمن دمشق إسهامًا فاعلًا في تجارة المدينة، في حين شاركت نسبة منهم (أرمن دمشق) في أنشطة تجارية صغيرة الحجم، وكان غالبيتهم من الحرفيين وأصحاب المتاجر. من التجار الأرمن المشهورين في دمشق، الأخوان غريغوريان اللذان كانا يستوردان السيارات من أوروبا.[3]

وسعيًا لتحسين الوضع الاقتصادي للمجتمع؛ أسَّست مجموعة من الأرمن في دمشق الجمعية الهايكازية عام 1292هـ/ 1875م. وكان هدف الجمعية الرئيس التعامل حصريًّا مع الاستثمار المالي لمصلحة مشتركيها.[4]

وفي هذا السياق، لم تكن مشاركة الأرمن في الشؤون العامة لدمشق كبيرة أو ثابتة مقارنةً بحلب؛ نظرًا لقلَّة عدد السكان الأرمن في هذه المناطق.

إن الأنشطة الاقتصادية لطائفة الأرمن في حلب لم تقتصر فقط على التجارة؛ فحتى النصف الأول من القرن التاسع عشر للميلاد، كانت العديد من المدن السورية مراكز مشهورة للحرف اليدوية، مثل: صناعة القطن والحرير والصوف التي تُصدَّر إلى أوروبا. ولكن في ظلِّ التدفُّق الكبير للمنتجات الأوروبية عالية الجودة إلى هذه المنطقة في منتصف القرن التاسع عشر، بدأت هذه الحرف تتلاشى بين السوريين. وقد أثَّر هذا الوضع كثيرًا على المجتمعات الأرمنية، التي يُمثِّل الحرفيون قسمًا كبيرًا منها. غير أن هجرة الأرمن إلى سوريا في نهاية القرن التاسع عشر للميلاد أعاد الحياة إلى هذه الحرف.

والحقيقة أنمعظم المستعمرين جلبوا معهم الفنون والحرف اليدوية والحرف التقليدية، وأسَّسوا مشاغل صغيرة، وطوَّروا حرفهم، ولا سيَّما العائلية منها.[5] ولكن ذلك لم يزد الأرمن إلّا عزيمةً وإصرارًا؛ فهم يُمثِّلون أُمَّة نشيطة وعاملة، وقد نبغوا في كثير من المجالات، مثل: التجارة، والطب، والهندسة، والفن، والكتابة، والميكانيكا، بغض النظر عن اختلاف أجناسهم، وتباين أقطارهم.

ووَفقًا لمجلة (الصحافة الشرقية) الأسبوعية (Arevelyan Mamul) الصادرة في إزمير، كان للأرمن إسهامات في جميع الحرف اليدوية تقريبًا في سوريا، وبخاصة في صناعة السجاد.[6] ففي عام 1316هـ/ 1898م في حلب، افتتح كارابيد كيهيايان مشغله لصنع السجاد الذي نما وتطوَّر ليصبح شركة كبيرة تضم (600) موظف في عام 1330هـ/ 1912م.[7]

---

(1) Topuzyan H., ibid, p. 60.
(2) Varzhapetyan S., ibid, p. 32.
(3) Topuzyan H., ibid, p. 62.
(4) Sanjian A., ibid, pp. 58-59.
(5) Ibid, p. 51.
(6) "Arevelyan Mamul", Weekly Magazine No. 36, Izmir, 1906, p. 668.
(7) Topuzyan H., ibid, p. 53.

كان الحرفيون المشهورون بشكل خاص بين الأرمن من نسّاجي الحرير، وكانت أقمشة الحرير التي يصنعونها يدويًّا ذات جودة ممتازة، وتحظى بشعبية كبيرة، حتى بعد ظهور أقمشة الحرير عالية الجودة المصنوعة في أوروبا. وقد أنشأ العديد من الأرمن مشاغل في منازلهم لنسج المنسوجات من الحرير والصوف والقطن.

إلى جانب نسّاجي الحرير، حظي الخياطون الأرمن وصانعو الأحذية منهم بشعبية كبيرة في حلب، وبرز العديد من الخياطين الأرمن، حتى كان بعضهم خياطين شخصيين لمحافظي حلب، والعديد من الشخصيات البارزة في المدينة.[1]

أمّا أرمن كسب فاشتُهِروا بإنتاج الحرير والتبغ وزيت الغار الذي كان يُصدَّر إلى حلب، وأضنة، وبيروت، وقبرص،وغيرها.[2]

كان من أرمن حلب أيضًا صائغو الجواهر المشهورون جدًّا، التي كانت تُمثِّل حرفة أرمنية في حلب. وبحسب المطران سيرميان، فإن كل عائلة بارزة في حلب كان بحوزتها جواهر أرمنية مشهورة.[3]

وبالمثل، كانت نساء الأرمن في سوريا ولبنان من المُطرِّزات اللواتي ابتكرن منتجات مطلوبة كثيرًا في هذه البلدان؛[4] فقمن بتطريز الفساتين، والأوشحة، والستائر، والشراشف من خيوط الذهب والفضة، ولم يقتصر بيعها فقط على الأسواق المحلية، وإنما وصلت الولايات المتحدة والدول الأوروبية.

طوَّر الحرفيون الأرمن أيضًا فن الصباغة التي ظلَّ قرونًا عِدَّة (من القرن الرابع عشر للميلاد فصاعدًا) احتكارًا أرمنيًّا كبيرًا، وكان كثير من صاغة حلب الأرمن، وعدد من رجال الدين يشاركون في هذا العمل وقت فراغهم.

كانت النجارة أيضًا مهنة أرمنية في حلب. وتحديدًا، تخصَّص المهاجرون من أورفة وعينتاب في البناء، وتقطيع الأحجاروتكسيرها. وكان العديد من المهندسين الأرمن معروفون ليس فقط في حلب، بل في دمشق وبيروت، حيث صمَّموا العديد من المباني الشهيرة فيهما.

قدَّم عدد من المعماريين الأرمن خدمات جليلة في مجال التنمية الحضرية في سوريا. فمثلًا، كان مانوك مانوكيان (1260-1343هـ/1844-1925م)، رئيس قسم الهندسة والمعمار في دمشق وبيروت لنحو خمسين عامًا. وفي سبعينيات القرن التاسع عشر للميلاد كان هوفسيب خياط المهندس الرئيس لدمشق.[5]

(1) Syurmeyan A., ibid, p. 973.
(2) Sanjian, A., pp. 54-55.
(3) Syurmeyan A., ibid, p. 975.
(4) "Azdak" Daily Newspaper, Beirut, 7 September 1933, p. 2.
(5) Topuzyan H., ibid, p. 151.

كان للأرمن أيضًا إسهام في الصبغة التي كانت حرفة مشهورة في سوريا منذ القرن السابع عشر للميلاد، ولكن إسهام الأرمن فيها بدأ بتسعينيات القرن التاسع عشر للميلاد، ولم تكن جودة اللون الأحمر تُماثِل جودة اللون الأوروبي، وتمكَّن الأرمن من التوصُّل إلى تقنية تجعلها مطابقة للمعايير الأوروبية.[1]

يُذكَر أن التصوير الفوتوغرافي وصل إلى حلب على يد الأرمني غريغور ميسيرليان في ثمانينيات القرن التاسع عشر للميلاد، وما يزال حتى الآن مهنة أرمنية بامتياز.[2]

أمّا في مجال الطب، فكان للأرمن حضور بارز مهم؛ فقد حاضر الدكتور جون فاردابيتيان (1240-1326هـ/1826-1908م) سنوات عديدة في كلية الطب بالجامعة الأمريكية في بيروت.[3] وقد ذكر المطران الأرمني سيرميان في كتابه (تاريخ أرمن حلب) أشهر الأطباء الحلبيين في تسعينيات القرن التاسع عشر للميلاد، أمثال: بغداسار بابازيان، ونازاريت إيبكيان، وزاريه أصلانيان.[4]

وأمّا تجار القمح والخبازون فهم الوحيدون الذين كانت لهم نقابة مهنية ضمَّت العديد من الأرمن. وكان جميع أعضاء النقابة يجتمعون في ساسون للانتخاب رئيسها الذي لُقِّب بالشيخ، وكانت مهمته التفاوض على شراء المطاحن والمخابز وبيعها.[5]

وبينما كان الأرمن في المدن يمارسون الحرف والمهن المختلفة، كان آخر ونفي القرى يعملون في الزراعة. ولكن خلافًا للإنتاج والحرف اليدوية، شارك الأرمن بدور محدود نسبيًّا في الزراعة بسوريا ولبنان؛ لأسباب عِدَّة، أبرزها:

- عدم امتلاك الأرمن المال اللازم لشراء الأراضي، وإحجامهم عن العمل مع مُلّاك الأراضي العرب المحليين لقاء أجور زهيدة.
- غالبية الأرمن الذين وصلوا إلى هذه البلدان كانوا من الحرفيين الذين لم يرغبوا في التحوُّل إلى مزارعين.
- إنشاء المراكز الرئيسة للطوائف الأرمنية في المناطق الحضرية؛ ما يجعل العمل في القرى بعيدًا عن مواطنيهم أمرًا مُتعذِّرًا، فضلًا عن خوفهم على حياتهم وممتلكاتهم في القرى النائية.[6] وبالرغم من ذلك، فقد عمل بعض الفلاحين الأرمن في إنتاج القطن في بعض مناطق سوريا ولبنان.

كان هناك عدد قليل جدًّا من مُلّاك الأراضي الأرمن في سوريا؛ نتيجة السياسة العثمانية المُتمثِّلة في عدم السماح للمسيحيين، وبخاصة الأرمن، بشراء مساحات كبيرة من الأراضي. من مُلّاك الأرمن المعدودين

(1) Ibid, p. 54.
(2) Syurmeyan A., ibid, p. 976; Sanjian A., ibid, p. 52.
(3) Sanjian A., ibid, p. 151.
(4) Syurmeyan A., ibid, p. 978.
(5) Sanjian A., ibid, p. 52.
(6) Harutyunyan Nazik, The Armenian Schools of Lebanon and Syria, Yerevan, 2002, p. 14.

للأراضي، هاكوبوس فوسكان الذي كانت له بعض الأراضي حول مدينة حلب، وكان يعمل في تجهيز الحبوب، وتربية الماشية.[1]

كان الوضع في فلسطين وشرق الأردن مُشابِهًا لما في سوريا ولبنان؛ إذ رأى أرمن القدس أنهم جزء من المجتمع الفلسطيني. وبالرغم من إتقانهم اللغة الأرمنية، فقد كانت العربية لغتهم الرئيسة. ووَفقًا لما ذكره المُشرِف على تقديم الطعام داخل البطريركية الأرمنية هاكوب تيرزيباشيان، كان أرمن القدس أساسًا من الحلّاقين، والحدّادين، والنجّارين، والبنّائين، وصانعي الأحذية، والخياطين.[2]

إلى جانب القدس، كانت المجتمعات الأرمنية موجودة أيضًا في يافا، والكرك، والسلط، والرملة، ولكنها كانت صغيرة نسبيًّا مقارنةً بالمجتمعات المسيحية الأُخرى في هذه المدن. ووَفقًا لسالنامة ولاية سوريا عام 1288هـ/ 1871م، كان يعيش في يافا (25) أرمنيًّا.[3] وبحسب القنصلية الألمانية في القدس، وصل عددهم عام 1316هـ/ 1898م إلى (150) أرمنيًّا.[4] وأشارت الإحصاءات الرسمية للدولة العثمانية إلى وجود (386)[5] أرمنيًّا عام 1332هـ/ 1914م، حتى إن البطريركية الأرمنية في القدس أنشأت مدرسة ابتدائية أرمنية في يافا، كان فيها وَفقًا للوثائق (13) تلميذًا عام 1321هـ/ 1903م.[6]

وكما هو الحال تقريبًا في كل بلاد الشام، كان الأرمن في يافا أيضًا من الحرفيين المشهورين، ولا سيَّما في مهنة الحدادة، فضلًا عن الصاغة الذين أتقنوا تشكيل الذهب والفضة، وتصنيع الحلي والجواهر.[7]وتشير وثائق محاكم الشريعة في يافا إلى وجود العديد من الحرفيين الأرمن المشهورين، مثل: أراكيل الخياط،[8] والنجّار بوغوس غريغور.[9]

وقد أشار الأسقف الأرمني مكرتيش أغافنيوني إلى وجود جالية أرمنية صغيرة تأسَّست في السلط، ولا نعرف عنها سوى القليل. وكذلك وجود كنيسة القديس جرجس الأرمنية فيها؛ وهي كنيسة يونانية اليوم، ولكن وَفقًا للتقاليد، فقد كانت كنيسة أرمنية، وربَّما تحوَّلت لاحقًا إلى كنيسة يونانية بسبب ذوبان الأرمن في

(1) Topuzyan H., ibid, p. 66.
(2) Hagopian Arthur, Retelling the Saga of Armenians in Jerusalem, "Armenian News Network/Groong", Jerusalem, 1 March, 2011, Available at https://groong.org/orig/ah-20110301.html .
(3) الطراونة، محمد سالم غثيان. قضاء يافا في العهد العثماني، الكرك، جامعة مؤتة، 2000م، ص455.
(4) Kark Ruth, Jaffa: A City in Evolution 1799-1917, Jerusalem, 1990, p. 150.
(5) Zamir Meir, Population Statistics of the Ottoman Empire in 1914 and 1919, in "Middle Eastern Studies" Journal, Vol. XVII, N. 1, London, 1981, p. 98.
(6) الطراونة، قضاء يافا في العهد العثماني، مرجع سابق، ص491.
(7) المرجع السابق، ص329.
(8) محكمة يافا الشرعية، سجل رقم (5)، 1240هـ/1825م، مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية، ص10.
(9) محكمة يافا الشرعية، سجل رقم (24)، 1284هـ/1867م، مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية، ص102.

محيطهم العربي.[1] يُؤكِّد ذلك وجود كنيسة يونانية أُخرى بجوارها؛ إذ لا يوجد مُسوِّغ لبناء كنيستين يونانيتين بجوار بعضهما. وهذا يُعزِّز حقيقة أن تكون هذه الكنيسة أرمنية.

فيما يتعلَّق بالكرك، فقد هاجر الأرمن إليها أيام الصليبيين، وبخاصة من قيليقية، وبنوا كنيستهم فيها. وبحسب المُؤرِّخين الأرمن، فإن اسمها هو القديس جرجس، ثم صارت كنيسة يونانية كما هو الحال في السلط.[2] اندمجت هذه الجالية الأرمنية بمرور الوقت مع العرب المحليين، ويُؤكِّد ذلك وجود العديد من العائلات العربية في الكرك التي ينحدر أجدادها من أصول أرمنية. وقد انتقل بعض الأرمن من الكرك إلى أجزاء أُخرى من المنطقة، مثل القدس، وبلغوا شأنًا عظيمًا فيها، مثل جيراك آغا، الذي ورد ذكره في كتاب (الأديرة والكنائس الأرمنية القديمة في القدس) لمكرتيش أغافنيوني.[3]

وبالمثل، كان يوجد مجتمع أرمني صغير وكنيسة أرمنية في الرملة، ولكن تاريخ إنشائها غير معروف. وفي عام 1259هـ/ 1843م، افتتح البطريرك زكريا مدرسة ثانوية داخل الكنيسة أول مرة، وكان مُفتِّش الكنيسة بين عامي (1293–1325هـ/ 1876–1907م) هو بارثولوميو ساتاغيان.[4]

ثانيًا: الحياة الثقافية والعامة للجاليات الأرمنية في بلاد الشام

في ما يخصُّ الأنشطة الاجتماعية والثقافية للأرمن في القرن التاسع عشر للميلاد، فقد أشارت وثائق عِدَّة إلى وجود دستور وطني خاص بهم منذ عام 1279هـ/ 1863م، في حين أُعلِن أول دستور تركي عام 1293هـ/ 1876م. كان للأرمن أيضًا باع طويل في مجال طباعة الكتب. ففي الفترة الممتدة بين عامي (974–977هـ/ 1567–1569م)، نشر أبغار توغاتيتسي ستة كتب أرمنية.[5] وقد أسهمت شخصيات أرمنية في تطوير مهنة الطباعة في تركيا، مثل: بوغوس عارابين وأبنائه سيمون وكالوست وكيفورك، وآخرين.[6] تجدر الإشارة إلى أن اعتماد النقود الورقية الأولى في الدولة العثمانية كان بإشراف من الأرمني رافائيل كازانجيان عام 1258هـ/ 1842م.[7]

لطالما كان الحفاظ على الهوية الوطنية الأرمنية، والتطلُّع إلى تثقيف الأجيال بالروح الأرمنية أهم عنصر في العقلية الوطنية للشعب الأرمني. لهذا السبب، أَولت المجتمعات الأرمنية في الشتات إنشاء المدارس الوطنية جُلَّ اهتمامها، بوصفها أهم مركز للحفاظ على الهوية الأرمنية. وقد شاركت في هذا العمل جميع

(1) Aghavnuni Mkrtich, Ancient Armenian Monasteries and Churches in the Holy Land, St James Press, Jerusalem, 1931, Chapter 39.
(2) Ibid, Chapter 6.
(3) Ibid, Chapter 6.
(4) Ibid, Chapter 26.
(5) Tughlachyan Barsegh, Armenian Printing in the Ottoman Empire and the Contribution of Armenians to Turkish Printing, in "Countries and People of Middle East" Journal, SSH GA publishing, Yerevan, 1985, pp. 100-101.
(6) Ibid, pp. 105-110.
(7) Ibid, p. 110.

المؤسسات والمنظمات العاملة في الشتات، والأحزاب الأرمنية التقليدية، والجمعيات الخيرية، والمؤسسات التربوية والثقافية. لقد كانت الكنائس الأرمنية الرسولية والكاثوليكية والإنجيلية أكبر مُتعصِّب ومُنظِّم وداعم للعمل التربوي الأرمني في المجتمعات الأرمنية في لبنان وسوريا؛ إذ أَوْلت هذه الكنائس القضايا التعليمية والأنشطة المدرسية اهتمامًا خاصًا؛ما أسهم في تعليم عشرات الآلاف من الشباب الأرمن. يُؤكِّد ذلك أن المدارس الأرمنية الأولى في كلٍّ من لبنان وسوريا افتُتِحت بدعم من الكنائس.[1]

ولمّا كان الأرمن يعيشون في بيئة ثقافية ودينية مختلفة في بلاد الشام، فقد كان هذا عاملًا مساعدًا على الارتباط الوثيق بكنيستهم التي قامت بدور مهم في الحفاظ على دينهم ولغتهم وتقاليدهم. ولهذا، كان الأرمن في كل مجتمع لهم خارج بلدهم يعْمَدون أولًا إلى بناء الكنائس التي يجري توسيعها لاحقًا؛ بحيث تضم المدارس، ورياض الأطفال، والمراكز الثقافية، وما إلى ذلك.

قبل الحرب العالمية الأولى، كان يوجد (137) كنيسة إنجيلية في الدولة العثمانية، حولها (270) مدرسة، و (7) كليات، و (46) مدرسة ثانوية.[2]

والحقيقة أن الحياة الثقافية والتعليمية الأرمنية في حلب كانت أكثر نشاطًا. ففي أربعينيات القرن التاسع عشر للميلاد، كان يوجد (50) مدرسة ابتدائية وثانوية في حلب، منها (20) مدرسة إسلامية، و (11) مدرسة يهودية، و (19) مدرسة مسيحية. من المدارس المسيحية، أنشأ اليونانيون (6) مدارس، و(5) على يد السريان، و(4) على يد الموارنة، و(4) على يد الأرمن (1 رسولي، 3 كاثوليك).[3] لا يُعرَف تحديدًا زمن إنشاء المدارس الأرمنية في حلب، ولكن المعلومات الأولية المُؤكَّدة تفيد بأنها تعود إلى أربعينيات القرن التاسع عشر للميلاد.

في ثمانينيات القرن التاسع عشر للميلاد، ازدهرت حياة الأرمن التعليمية في سوريا، واكتسب العمل المدرسي زخمًا؛ إذ أُنشِئت المدارس الابتدائية في كسب، وإسكندره، وأنطاكية، وأماكن أُخرى، وازداد عدد الطلبة، وبدأ بناء مدارس جديدة. وما إن هَلَّم طلع القرن العشرين للميلاد، حتى شهدت حلب وجود (3) مدارس رسولية، و(2) كاثوليكيتين، و(2) بروتستانتيتين للأرمن، وارتفع عدد الطلبة من (232) طالبًا عام 1295هـ/ 1878م إلى (903) طلبة عام 1326هـ/ 1908م.[4]

وقد أشار الكتاب السنوي لمحافظة حلب عام 1326هـ/ 1908م إلى وجود (6) مدارس للجالية الأرمنية في حلب، اثنتان منها للأرمن الكاثوليك من الأولاد: إحداهما ابتدائية، والأُخرى ثانوية.[5] أمّا المدارس الأربع الأُخرى فكانت مُخصَّصة للأرمن الغريغوريين على النحو الآتي:

---

(1) Harutyunyan N., ibid, p. 50.
(2) Antinyan Serob, The Role of the Armenian Organizations, Associations of Diaspora and the Armenian Church in the Creation and Development of Armenian Schools, in "21st Century", No. 5 (39), 2011, p. 61.
(3) Topuzyan H., ibid, p. 141.
(4) Topuzyan H., ibid, p. 143.
(5) Provincial yearbook of Aleppo – 1908 (Haleb Vilayeti Salnamesi, 1908), p. 142.

الأولى: مدرسة ابتدائية وثانوية للأولاد، والثانية: مدرسة ابتدائية للأولاد، والثالثة: مدرسة ابتدائية للبنات، والرابعة: مدرسة ابتدائية وثانوية للبنات.[1]

تولّت بطريركية القدس مسؤولية إنشاء وصيانة المدارس للطوائف العلمانية الأرمنية في فلسطين ولبنان. وفي ظل الولاية الإدارية للبطريركية، فقد سعت هذه المؤسسات إلى تحقيق هدفين رئيسين؛ أحدهما: توفير تعليم ابتدائي مجاني – على الأقل – لأطفال هذه الطوائف، **وثانيهما:** التأكُّد أنَّ أبناء الأرمن الناطقين بالعربية يكتسبون طلاقة في لغتهم الأم.[2]

من المهم أيضًا ذِكْر أن عدد التلاميذ في المدارس الأرمنية كان قليلًا نسبيًّا مقارنةً بالعدد الإجمالي للأرمن في حلب. ولا شك في أن المدارس الأرمنية في حلب كانت تعاني أوجه قصور خطيرة، وتنقصها غالبًا الجودة المناسبة، ولكنها لم تكن أقل من مثيلاتها من حيث العدد، ومستوى التعليم. وتأسيسًا على ذلك، لم يكن كل طفل أرمني يذهب إلى المدارس الأرمنية؛ لأن أغنياء الأرمن كانوا يُرسِلون أطفالهم إلى مدارس أجنبية تمتاز بجودة التعليم فيها. أمّا أطفال الأرمن الفقراء فكان معظمهم يبدؤون العمل في سنٍّ مُبكِّرة، ولا يذهبون إلى المدرسة أبدًا.

وبالرغم من محاولة أرمن حلب الاهتمام بالتعليم وبناء المدارس، فإن جهودهم اقتصرت غالبًا على تشييد مدارس ابتدائية؛ بسبب ضيق اليد، وعدم قدرة الكنيسة على تحمل تكاليف التعليم المرتفعة، فضلًا عن معاناة الأرمن الفقر؛ ما جعلهم يبحثون عن تعليم مجاني، وهو ما حال دون تمكُّن الكنيسة من تقديم الاهتمام اللازم، والارتقاء بالتعليم، والمحافظة على جودته ومستواه.

أُنشِئت مدارس أرمنية في مناطق أُخرى من ولاية حلب، ولكن معظمها كانت بحالة سيئة.

وبحسب لينش، فإن المدرسة الأولى في كسب تأسَّست عام 1265هـ/ 1849م.[3] وفي نهاية القرن التاسع عشر للميلاد، كان في كسب (8) مدارس أرمنية، والتحق بالتدريس فعلًا (1100) أرمني عام 1328هـ/ 1910م. أمّا في بيروت فقد أُنشِئت مدرسة أرمنية حول كنيسة القديس نشان عام 1320هـ/ 1902م، وكانت تضم (40–50) طالبًا أرمنيًّا عام 1322هـ/1904م.[4] وأمّا في أنطاكية وضواحيها فقد أُنشِئت (10) مدارس ابتدائية عام (1319–1320هـ/ 1901–1902م)، وكان يدرس فيها (487) طفلًا. وفي عام (1318–1319هـ/ 1900–1901م)، أُنشِئت مدرستان ابتدائيتان في الإسكندرية، وأُخرى في بيلان.[5]

ذكرنا آنفًا أن المدارس الأرمنية في دمشق واللاذقية وبيروت كانت تخضع لرقابة البطريركية الأرمنية في القدس، ولكن المعلومات عن المدارس الأرمنية في اللاذقية تكاد تكون مفقودة. وقد افتُتِحت المدرسة الأرمنية

(1) Ibid, p. 142.
(2) Sanjian A., ibid, p. 82.
(3) Lynch Harry, Armenia, Travels and Studies, Vol. II, Longmans, Green, And Co., London, New York, 1901, pp. 458-459.
(4) Sanjian A., ibid, p. 84.
(5) Topuzyan H., ibid, p. 146.

الأولى في دمشق عام 1265هـ/ 1849م بجهود جورج ميساكيان، وبلغ عدد طلبتها في نهاية القرن التاسع عشر للميلاد (310) طلبة.[1]

وبالمثل، شهدت خمسينيات وستينيات القرن التاسع عشر للميلاد افتتاح المدارس الأرمنية في لبنان، ولا سيَّما في بيروت. ووَفقًا لسنجيان، فقد افتُتِحت أول مدرسة أرمنية في بيروت عام 1275هـ/ 1859م داخل كنيسة القديس نشان. وفي تسعينيات القرن التاسع عشر للميلاد، أُنشِئت روضة أطفال بجوارها.[2] وقد أُنشِئت مدارس مُماثِلة في مناطق أُخرى مأهولة بالأرمن في لبنان.

لقد مثَّل لبنان، وبخاصة عاصمته بيروت، أحد المراكز الرئيسة للفكر والثقافة الأرمنية في الشتات. وبحسب الباحث الأرمني جاسباريان، فقد أسهم الأرمن إسهامًا فاعلًا في الحياة الاجتماعية والسياسية بلبنان. وفيها نُشِر من الكتب والصحف والمجلات الأرمنية أكثر ممّا نُشِر في أيِّ مجتمع أرمني آخر في مناطق اللجوء.[3]

لم يقتصر تعليم الجيل الجديد من الأرمن على المدارس فحسب، بل اجتذبت الجامعات الفرنسية والأمريكية في بيروت عددًا كبيرًا من الطلبة الأرمن؛ من: أرمينيا الغربية، وقيليقية، وكذلك من سوريا. وقد أشار أرشيف كلٍّ من هذه الجامعات إلى أن الطلبة الأرمن بدؤوا الدراسة فيها منذ عام 1297هـ/1880م، ثم زاد عددهم في القرن العشرين ليصل إلى (1000) طالب عام 1332هـ/ 1914م، وكان معظمهم يدرسون الطب.[4] وقد حرصوا على الدراسة في مدارس التعليم العالي لامتهان مهن يُمكِن ممارستها في أماكن أُخرى من العالم في حال تدهور الوضع السياسي في الشرق الأوسط، واضطروا إلى الفرار مرَّة أُخرى. وبين عامي (1298-1336هـ/ 1881-1918م) تخرَّج نحو (315) طبيبًا أرمنيًّا في تلك الجامعات.[5]

أنشأت مجموعة من الأفراد في حلب ودمشق العديد من المدارس؛ بُغْيَةَ توفير التعليم الأرمني للتلاميذ الناطقين باللغة العربية، وكذلك الناطقين بالأرمنية. فمثلًا، أسَّس مدير الجمارك في سوريا جورج ميساكيان جمعية نرسيسيان التي أشرفت على تأسيس مدرسة ابتدائية عادية عام 1849م. وفي نهاية القرن، أصبحت المدرسة تتكوَّن من قسمين: أحدهما للأولاد، والآخر للبنات.[6] وكانت المواد الرئيسة التي تُدرَّس فيها هي: اللغة الأرمنية، والتاريخ الأرمني، والجغرافيا، واللغات الأجنبية، مثل: التركية، والعربية، والفرنسية، ثم الإنجليزية بدءًا من القرن العشرين، فضلًا عن دروس في الفيزياء، والكيمياء، والرياضيات، والتربية البدنية، والتاريخ العام، وما إلى ذلك.[7]

---

(1) Ibid, p. 147.
(2) Sanjian A., ibid, p. 84.
(3) Gasparyan Segey, The Armenian Communities Today: The Outline of Their Cultural Life, Yerevan, 1962, p. 57, 109.
(4) Varzhapetyan S., ibid, pp. 432, 437.
(5) Ibid, pp. 459-465.
(6) Sanjian A., ibid, p. 83.
(7) Topuzyan H., ibid, pp. 144-145.

في عام 1262هـ/ 1846م، أسَّست مجموعة من الأفراد بقيادة القس تير جورج منظمة روبينيان ميوتيون، بغرض تعزيز استخدام اللغة الأرمنية في المجتمع الناطق بالعربية. وفي عام 1269هـ/ 1853م، أُلحِقت بها روضة للأطفال، ثم أُعيد بناء مدرسة للأولاد قربها.[1] أمّا القطب الحلبي هوفانيس كيوركجيانوف فأسَّس مكتبة أرمنية في حلب عام 1276هـ/ 1860م؛ بُغْيَةَ تشجيع قراءة الأدب الأرمني.

أدَّت المنظمات الثقافية والتعليمية والاجتماعية دورًا مهمًّا في الحفاظ على الهوية الأرمنية في هذه المجتمعات. وقد تأسَّست أُولى الجمعيات الثقافية والعلمية والخيرية والرياضية وغيرها بدءًا من القرن التاسع عشر للميلاد، مثل: جمعية محبي العلم (عام 1297هـ/ 1880م)، والجمعية الخيرية العمومية. وما تزال هذه الجمعيات تمارس أنشطتها حتى يومنا هذا.

اكتسبت الصحافة الدورية السورية الأرمنية زخمًا جديدًا في الفترة التي شملتها هذه الدراسة، وإن كانت متواضعة في إمكانياتها وقدراتها. وأول جريدة باللغة الأرمنية صدرت في حلب كانت باسم فرات عام 1279هـ/ 1862م، واستمرَّت في الصدور حتى عام 1332هـ/ 1914م، وكانت الجريدة الرسمية لولاية حلب، ثم أخذت تصدر بعد ذلك باللغتين العربية والتركية في حلب.[2]

وفي السياق نفسه، وجد الأدباء الأرمن ممَّن أبدعوا باللغة العربية لأنفسهم مكانة خاصة في أدب الدول العربية؛ إذ تركوا بصماتهم على الثقافة العربية، بدءًا من سوريا، وانتهاءً بلبنان، ومن مصر إلى فلسطين والعراق. فكان من بينهم الشاعر، والقاص، والمُتخصِّص في التاريخ، والباحث، والصحفي، والمُترجِم، واللغوي، ومُتخصِّصون في جميع فروع الأدب وأشكاله. من هؤلاء أديب إسحاق (1272–1302هـ/ 1856–1885م) الذي ترك إرثًا أدبيًّا ودعائيًّا مُحترَمًا؛ ما أسهم بفاعلية في تطوير الفكر السياسي العربي.

عند الحديث عن حياة الأرمن الدينية، لا بُدَّ من الإشارة إلى أسقفية حلب التي استمدَّت أهميتها من المكانة الفريدة للمدينة، بوصفها مركزًا سياسيًّا وتجاريًّا وكنسيًّا مهمًّا، في منتصف القرن التاسع عشر للميلاد، فضلًا عن كونها المقر الأسقفي، والمركز الإقليمي لمحافظة حلب الواسعة. لقد كانت الأسقفية مسؤولة بصورة مباشرة أمام الحكومة المحلية، ليس فقط عن مجتمعات حلب، وإنما عن الشمال وشمال غرب سوريا، إضافةً إلى الأرمن المرتبطين بأسقفية أُخرى من الكرسي الرسولي بقيليقية؛[3] إذ ارتبطت الأسقفية إداريًّا بالبطريركية وهيئاتها الإدارية التي وجَّهت إدارة شؤونها.

بعد قبول الأرمن الكاثوليك في حلب، بوصفهم يُمثِّلون مجتمعًا دينيًّا منفصلًا عام 1246هـ/ 1830م، كان لهم فيها أيضًا زعيم ديني. فوَفقًا للكتاب السنوي لمحافظة حلب عام 1307هـ/ 1890م، كان زعيم الأرمن الكاثوليك هو المطران غريغوريوس أفندي.[4]

(1) Ibid, p. 142.
(2) Ibid, p. 150.
(3) Sanjian A., ibid, p. 271.
(4) Provincial yearbook of Aleppo – 1890 (Haleb Vilayeti Salnamesi, 1890), p. 125.

أمّا الشؤون الكنسية والمجتمعية في دمشق فكانت تُدار من رجال دين تُعيّنهم بطريركية القدس.[1] وكان الزعيم الديني للمجتمع في محافظة دمشق الفرعية القس يغيشي أفندي، وذلك في عام 1308هـ/ 1891م.[2]

لقد كانت المشاركة الأرمنية في الحياة العامة في حلب ملحوظة وثابتة بوجه خاص، وكانت مجالاتها الرئيسة الإدارة السياسية والمالية، والمحاكم القضائية، وخدمة الصحة العامة. ومن الجدير بالذكر أن كل مقاطعة من المقاطعات كانت تضم واحدًا، أو اثنين، وأحيانًا أكثر من المسؤولين الأرمن.

كان في حلب أعضاء مُنتخَبون من الأرمن في المجلس الإداري باستثناء المسؤولين المسيحيين والمسلمين الآخرين، وكان كيفورك أفندي،[3] وأفيديس ألكسان أفندي[4] من هؤلاء الأعضاء. أمّا بالنسبة إلى المجالس البلدية فكانت تضم عضوًا، أو عضوين من الأرمن، وكانا عمومًا من المسؤولين العاديين.

وبالمثل، أسهم الأرمن بفاعلية في إدارة الجمارك بمحافظة حلب. وبينما كان يُرسَل غالبية المسؤولين إلى أجزاء مختلفة من الدولة، وبخاصة القسطنطينية، كان بعضهم يُعيَّنون فيها وهم من سكان حلب الأصليين. فمثلًا، في نهاية القرن التاسع عشر للميلاد، احتكر أنطون بك مصرليان إدارة الجمارك في المنطقة الممتدة من مرسين إلى غزة، بما في ذلك حلب.[5]

لم تقتصر خدمة المسؤولين الأرمن على الإدارة العثمانية، فقد قدَّم العديد منهم خدمات دبلوماسية وقنصلية أجنبية مختلفة في سوريا، وقبل ذلك في حلب، وبيروت، والقدس، ويافا.[6] وفي أوقات مُتفرِّقة، شغل الأرمن مناصب مهمة في القنصليات الروسية، والبريطانية، والنمساوية المجرية، والبروسية، والأمريكية والإسبانية، والبرتغالية، وغيرها في سوريا. وكان أول مَنْ حَكَم لبنان المستقل والمُعترَف به دوليًّا الأرمني الكاثوليكي، والمدير السابق للتلغراف في القسطنطينية داود باشا الذي تولّى منصبه عام 1278هـ/ 1861م، وكان خلفاؤه من الكاثوليك أيضًا.[7]

أمّا بالنسبة إلى الصحة العامة والطب في حلب، فقد قدَّم الأرمن خدمات جليلة في المستوصف والمستشفى العسكري، وبخاصة في الأعوام (1314-1315هـ/ 1896-1897م)، و(1320-1321هـ/ 1902-1903م)، وعام 1326هـ/1908م. وفي عام 1319هـ/ 1901م، عمل عفيف أفندي طبيبًا في البلدية،[8] ثم خدم في مستشفى الحميدية للفقراء. جنبًا إلى جنب معه، عمل سركيس أفندي جرّاحًا، وأنطون أفندي طبيبًا كيميائيًّا في نفس المستشفى.[9]

---

(1) Sanjian A., ibid, p. 149.
(2) Provincial yearbook of Aleppo – 1891-1892 (Haleb Vilayeti Salnamesi, 1891-1892), p. 139.
(3) Provincial yearbook of Aleppo – 1890, p. 85.
(4) Provincial yearbook of Aleppo – 1908, p. 124.
(5) Sanjian A., ibid, p. 68.
(6) Ibid, p. 68.
(7) Hitti Philip, A Short History of Lebanon, Macmillan Education, London, 1965, p. 198.
(8) Provincial yearbook of Aleppo – 1901, (Haleb Vilayeti Salnamesi, 1901), p. 151.
(9) Ibid, p. 151.

وأمّا في مجال التعليم فقد أُلحِق الأرمن بالمجلس التعليمي للولاية في المدرسة الثانوية، وفي مدرسة الحرف اليدوية. وقد دُرِّست اللغة الأرمنية في المدرسة الثانوية الحكومية بحلب من عام (1316–1317هـ/ 1898–1899م) إلى عام 1326هـ/ 1908م. وفي عام 1326هـ/ 1908م، كان مُدرِّس نسج السجاد في مدرسة الحرف اليدوية بحلب أكوب آغا أرمنيًّا، وفي المدرسة الإعدادية للبنات كانت أزنيف وهي مُدرِّسة للفنون، وهي أيضًا أرمنية.[1]

وفي ما يخصُّ الخدمة البريدية والبرقية في حلب، فقد جرت العادة أن يعمل ما بين (2–5) موظفين من الأرمن ميكانيكيين، أو مشرفين على التلغراف. وفي الدوائر المالية، كان للأرمن حضور أكبر كما هو الحال في المقاطعات الأُخرى في شرق الأناضول.[2] من ناحية أُخرى، كانت المشاركة الأرمنية في الأقسام الفنية والزراعية محدودة وثانوية وغير مُؤثِّرة أو مستمرة. أمّا في المطبعة الحكومية بحلب فكان فيها قسم للطباعة الأرمنية.[3]

كان لأرمن القدس أيضًا نشاط سياسي بارز؛ فقد تمكَّن بعض الأرمن من تبوُّؤ مناصب سياسية بارزة في القدس، من مثل بوغوس زاكاريان نائب حاكم القدس، وساهاج نرسيسيان قائد الشرطة، وهوفانيس خاتشادوريان جامع الضرائب في المدينة.[4] كان للأرمن أيضًا حضور مهم في البعثات الخارجية للقدس. فمثلًا، كان هاروتيون توروسيان نائبًا لقنصل بروسيا، وكان هاكوب مراديان الضابط القنصلي الأمريكي في يافا.[5]

أسهمت الجالية الأرمنية في الحركة التجارية المحلية التي شهدتها مدينة القدس، وقد تمثَّل ذلك في بيع الخضراوات، وبيع الأقمشة في سوق الشرق، ولكن مشاركتها في التجارة الخارجية كانت محدودة قياسًا لهذا النوع من النشاط في المدينة بوجه عام. بالرغم من ذلك، فقد اشتُهِرت القدس بتصدير زيت الزيتون والصابون الفاخر إلى مصر، عن طريق ميناء يافا، أو الطريق البري الذي يربط مصر بالقدس عبر صحراء سيناء مرورًا بغزة والخليل وبيت لحم، فضلًا عمّا كان يشتريه الحجاج المسيحيون من سلع شرقية ويحتفظون به في رحلة العودة إلى بلادهم بعد زيارة الأراضي المقدسة، مثل: المسابح المصنوعة من خشب الزيتون أو العاج، والحلي الصغيرة، مثل: الخواتم، والأقراط، (٣) وربَّما عملوا في بيع الساعات وتصليحها.

(1) Provincial yearbook of Aleppo – 1908, p. 134.
(2) Krikorian Mesrob, Armenians in the Service of the Ottoman Empire 1860-1908, Henley and Boston, Routledge and Kegan Paul, London, 1977, p. 104.
(3) Ibid, p. 105.
(4) Der Matossian Bedros, The Armenians of Palestine 1918–48, in Journal of "Palestine Studies", Vol. XLI, No. 1 (Autumn 2011), University of California Press, p. 26.
(5) Hagopian A., ibid.

ثالثًا: الأحداث الرئيسة التي أدّت إلى هجرة الأرمن من الأناضول إلى بلاد الشام في نهاية القرن التاسع عشر للميلاد

في بداية هذا الفصل، أكّدنا أهمية أحداث عام 1295هـ/ 1878م وما تلاها في تاريخ الأرمن، التي أثّرت بصورة كبيرة في الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية والدينية للمجتمعات الأرمنية في بلاد الشام. وبالرغم من أن السياق الدولي والمسألة الأرمنية في الدولة العثمانية خارج إطار دراستنا، فإن مشهد الحياة المجتمعية للأرمن في تلك الفترة لا يكتمل إلّا بتحليل الأحداث التي شهدتها تحديدًا أرمينيا الغربية (الأناضول) في عهد السلطان عبد الحميد الثاني الذي تسبَّب في هجرة العديد من الأرمن قسرًا من ديارهم في غرب أرمينيا، وتشريدهم في مختلف أنحاء العالم عامة، والشرق الأوسط بوجه خاص.

وكنّا قد أشرنا آنفًا إلى تصدُّر المسألة الأرمنية العلاقات الدولية في نهاية القرن التاسع عشر للميلاد، بعد انتهاء الحرب الروسية التركية عام (1294-1295هـ/ 1877-1878م)، وعَقد معاهدة سان ستيفانو، ثم معاهدة برلين بعد هزيمة الدولة العثمانية.

حصلت صربيا والجبل الأسود ورومانيا وبلغاريا على استقلالها بموجب معاهدة سان ستيفانو التي فُصِّلت بنودها في (29) مادة؛ فذهب جزء من أرمينيا الغربية إلى روسيا، قُدِّرت مساحته بنحو (35.650) كم مربع. وقد نصَّت المادة الخاصة رقم (16) على تنفيذ إصلاحات إدارية في أرمينيا الغربية،[1] وممّا جاء في هذه المادة: "بما أن انسحاب القوات الروسية من الأراضي التي تحتلها في أرمينيا، والتي من المقرر إعادتها إلى تركيا، قد يؤدي إلى نشوب صراعات وتعقيدات تضر بالحفاظ على العلاقات الجيدة بين البلدين، فإن الباب العالي يلتزم بما يلي: تنفيذ التحسينات والإصلاحات التي تتطلبها المتطلبات المحلية في الولايات التي يسكنها الأرمن، دون مزيد من التأخير، وضمان أمنهم من الأكراد والشركس."[2]

لقد كانت القرارات المتخذة في سان ستيفانو مواتية للأرمن؛ إذ تخيَّلوا أن تنفيذ الإصلاحات في الولايات الأرمنية الست أصبح أمرًا مقضيًّا. وكان الأجدر بالقوات الروسية أن تُؤجِّل انسحابها من الولايات الأرمنية إلى ما بعد تنفيذ السلطان عبد الحميد الثاني الإصلاحات المنصوص عليها. وبينما كان الأرمن يتطلَّعون بحماسة إلى تنفيذ هذه الإصلاحات، كانت القوى العظمى تحوك الدسائس لهم، وتعمل وَفقًا لأهدافها وأطماعها التوسُّعية في المنطقة، من دون أدنى اعتبار لرغبة الشعب الأرمني في نيل الاستقلال والحرية.

فبحسب بنود معاهدة سان ستيفانو، خسرت الدولة العثمانية جزءًا كبيرًا من الأراضي في البلقان، وتنازلت لروسيا عن المناطق الأرمنية في أرداهان وقارص وبايزيد وميناء باطومي المهم على البحر الأسود. وقد

(1) Holland Thomas, The European Concert in the Eastern Question: A Collection of Treaties and Other Public Acts, Clarendon Press, Oxford, 1885, pp. 335-348.

(2) Rollin-Jekmen, The Situation of Armenians in Turkey before the Intervention of the Powers in 1895, in the Collection of Articles "Armenia, Armenians and Treatises", Rassvet, Moscow, 1896, pp. 36-37.

أثارت عمليات الاستحواذ هذه مخاوف البريطانيين من أن تصبح تركيا تابعة لروسيا؛ ما يخلُّ بتوازن القوى في منطقة شرق البحر المتوسط.

لم يكن من مصلحة أيّ دولة أوروبية أن يكون لها دولة مستقلة بين الدولة العثمانية وروسيا؛ لأن ذلك يُهدِّد وحدة أراضي تركيا، ويُقوِّض مصالح الدول الأوروبية في المنطقة؛ فقد كان لألمانيا – مثلاً– مصالحها الاقتصادية الخاصة في الدولة العثمانية، ولا سيَّما تخطيطه البناء خط سكة حديد برلين – بغداد، الذي سيمرُّ على طول الحدود مع أرمينيا الغربية. ولهذا وجد الرأسماليون الألمان في هذه المعاهدة خطرًا مُحدِقًا وشيكًا.

من جانبها، وقفت بريطانيا في وجه حركة التحرُّر الوطني لشعوب الدولة العثمانية؛ إذ يُمكِن لهذه الحركة أن تُعطِّل ما يُسمّى الوضع الراهن في المنطقة، الذي لم يكن جزءًا من خطط المملكة المتحدة.[1] لقد أدركت بريطانيا أن استيلاء روسيا على أرمينيا الغربية سيُرجِّح كِفَّة الإمبراطورية الروسية في الصراع على النفوذ في منطقة الشرق الأوسط.

وبالمثل، كان لفرنسا أيضًا مصالحها الخاصة في تركيا. ولسوء الطالع، لم تتوافق اهتماماتها مع مصالح الشعب الأرمني؛ إذا ستُثمِر رأس المال الفرنسي بصورة كبيرة في اقتصاد الدولة العثمانية. ولهذا السبب، لم تكن فرنسا مهتمة بتغيير الوضع الراهن للدولة؛ أيْ انفصال أيّ جزء منها.

نتيجة لذلك، وبعد بضعة أشهر بتاريخ 14 رجب 1295هـ/ 13 يوليو عام 1878م؛ اضطرت روسيا، تحت ضغط الدول الغربية، إلى الموافقة على معاهدة برلين؛ ما قلَّل كثيرًا من عمليات الاستحواذ الروسية. وفي محاولة للفت انتباه الدول الأوروبية المشاركة في مؤتمر برلين إلى موقف الأرمن من الدولة العثمانية، ولإدراج القضية الأرمنية على جدول أعمال المؤتمر؛ أرسلت الدوائر السياسية الأرمنية في القسطنطينية وفدًا وطنيًّا إلى برلين برئاسة مكرتيش خريميان، ولكن لم يُسمَح له بالمشاركة في أعمال المؤتمر. لقد أراد الوفد أن يعرض في المؤتمر مشروع حكم ذاتي لأرمينيا الغربية، ويُرسِل مذكرة إلى الدول الأوروبية بهذا الشأن.[2] وللأسف، لم يطرح أيٌّ من المشاركين في المؤتمر قضية الحكم الذاتي لأرمينيا على طاولة الحوار.

لقد حُدِّد مصير أرمينيا والشعب الأرمني في بضعة أسطر من البند (61) لمعاهدة برلين: "يتعهَّد الباب العالي بتنفيذ التحسينات والإصلاحات الناجمة عن الاحتياجات المحلية في المناطق التي يسكنها الأرمن دون تأخير، وضمان سلامتهم من الشركس والأكراد. وستُقدِّم الدولة العثمانية تقارير دورية عن التدابير المتخذة لهذا الغرض إلى السلطات الأوروبية التي ستراقب تطبيقهم."[3]

(1) Harutyunyan Garegin, Reactionary Policy of the British Bourgeoisie in the Armenian Question in the mid-90s of the XIX Century, Moscow State University, Moscow, 1954, p. 90.
(2) Berlin Congress 1878, Available at: http://genocide.ru/enc/berlin-congress.htm
(3) Kirakosyan John, Sahakyan Ruben, Armenia in International Diplomacy and Soviet Foreign Policy Documents (1828-1923), Hayastan, Yerevan, 1972, p. 128.

في الواقع، كان هذا تغييرًا كاملًا للبند السادس عشر من معاهدة سان ستيفانو؛ لأن مراقبة تنفيذ الإصلاحات لم تعد مقصورة فقط على روسيا، وإنما ستشمل جميع الدول الأُخرى التي وقَّعت المعاهدة.

وهكذا، أُثيرت القضية الأرمنية أول مرَّة بوصفها مشكلة دبلوماسية دولية؛ ما بعث الأمل في الأرمن بصورة كبيرة. فقد ذكرت هذه المعاهدات الدولية أول مرَّة ما يُسمّى الإصلاحات في ولايات الدولة المأهولة بالأرمن؛ لتحسين وضعهم، وضمان أمنهم.

ولكن بعد مؤتمر برلين، تغيَّر الوضع كثيرًا؛ إذ جذب الأرمن انتباه الدول الكبرى التي حصلت من السلطان على التزام بإجراء إصلاحات في الولايات الأرمنية، ممّا منحهم في الواقع حكمًا ذاتيًّا كبيرًا. بيد أن هذا الوضع، بالطبع، لم يُعجِب السلطان عبدالحميد؛ لأن البند (61) من معاهدة برلين منح القوى العظمى حق التدخُّل في الشؤون الداخلية للدولة بحجة حماية حقوق السكان الأرمن ومصالحهم. والحقيقة أن الإصلاحات الأرمنية استُخدِمت أداةً للتأثير في السلطان؛ لجني مزيد من المكتسبات السياسية والاقتصادية في الأراضي الشاسعة للدولة العثمانية. لقد اتبعت الدول الأوروبية سياسة رعاية مسيحيي الدولة، لكنها كانت – في الواقع – وسيلة سرية لتوسيع مجالات نفوذهم السياسي. وبالمثل، اتخذت بريطانيا وفرنسا ودول أُخرى – إلى جانب رعاية الكنائس الكاثوليكية والبروتستانتية – كل الإجراءات الممكنة لإضعاف موقف الكنائس اليونانية الشرقية الموالية لروسيا. وفي نهاية المطاف، كانت سياسة رعاية مسيحيي الدولة العثمانية تروم منع توسُّع النفوذ الروسي في الشرق الأوسط، وقد أفضى ذلك إلى زيادة العداء بين الأتراك والأرمن. لقد رضي الأرمن بالاتفاقيات المُوقَّعة التي – بالرغم من ذلك – لم تضمن لهم الأمن بصورة كاملة؛ فقد كان السلطان غاضبًا من استمرار تدخُّل القوى الأوروبية في الشؤون الداخلية للدولة، وبات أكثر خوفًا من الأرمن الذين شكَّلت أراضيهم جزءًا رئيسًا من الدولة، فأصبح أكثر ميلًا إلى استخدام العنف.

بناءً على ذلك، قدَّم السلطان عبد الحميد الصيغة التركية لحل المسألة الأرمنية: "لا يوجد أرمن، لا توجد قضية أرمنية." وهذا يعني أن السلطان كان ينوي "حل" القضية الأرمنية بالقضاء على السكان الأرمن في الدولة. وبذلك يتحرَّر من مشكلتين في آنٍ معًا؛ **الأولى:** السكان الأرمن الذين عَدَّهم "صداعًا" على الدوام. **والثانية:** التدخُّل المستمر للقوى العظمى في الشؤون الداخلية للدولة بحجة حماية الأرمن.

لم تقم الدولة العثمانية بأيِّ إصلاحات، بل على العكس؛ زادت من الضغط الوطني فحسب، وأخذ وضع الأرمن يزداد سوءًا، ووصل العديد من المشتكين إلى القسطنطينية. وفي نهاية عام 1296هـ/ 1879م، تقدَّم المهاجرون الأرمن من حلب بطلب إلى سفراء القسطنطينية، مطالبين بتنفيذ البند (61) من مؤتمر برلين.[1] وردًّا على الملاحظات التي أصدرتها الدول الغربية الست في يونيو عام 1297هـ/ 1880م، أعلن الباب العالي أن الإصلاحات جارية فعلًا. فعلى سبيل المثال، تمَّ فصل المحكمة عن السلطة التنفيذية، وجرى تحسين نظام توزيع الضرائب، وما إلى ذلك. لكن مُمثِّلي القنصليات الغربية نظرت في ما ورد في المذكرة

(1) Topuzyan H., ibid, p. 97.

التركية، وتبيَّن أن هذه الإصلاحات غير موجودة فعلًا، وأنها كلها فقط معلومات وهمية وكاذبة.[1] غير أن القوى الأوروبية كانت راضية فقط عن تذكير الباب العالي بأن الإصلاحات التي تنص عليها معاهدة برلين يجب تنفيذها على الفور، ولم تقم بمتابعة تنفيذها فعلًا.

بعد أن فقد الأتراك جزءًا من ممتلكاتهم في أوروبا الشرقية وآسيا الصغرى نتيجة الحرب الروسية التركية عام (1294–1295هـ/ 1877–1878م)، قرَّروا أن الإبادة الشاملة للشعوب التي أرادت التخلُّص من نير تركيا هي وحدها التي ستحل جميع القضايا المُتعلِّقة بهم. فما إن وقَّعت الدولة العثمانية على معاهدة برلين حتى بدأ اضطهاد الأرمن الذين يعيشون في أراضي الأناضول، التي وَفقًا لبند المعاهدة، تمَّ تطهيرها من القوات الروسية.

أوضح السلطان عبد الحميد عدم رغبته في تنفيذ قرار معاهدة برلين بشأن الأرمن، بذريعة أن الأرمن في الدولة يُشكِّلون جزءًا ضئيلًا من السكان؛ في محاولة لخداع الرأي العام الأوروبي. بيد أن الأمر لم يكن بهذه السهولة؛ إذ أثبتت الإحصائيات الحقيقية خلاف ذلك. فقد أورد العديد من المسافرين والمُؤرِّخين والعلماء وغيرهم ممّن زاروا أرمينيا الغربية، في تقاريرهم، أو أعمالهم العلمية أعداد الأرمن الحقيقية التي لا تناسب، بالطبع، أهواء السلطات العثمانية. وكان ديمتري إريميف قد عرض معلومات أكثر تفصيلًا عن هذه المسألة؛ إذ قال: "وَفقًا للتقديرات، كان عدد الأتراك في الثلاثينيات من القرن التاسع عشر في الدولة العثمانية حوالي (7) ملايين بمعنى أكثر قليلًا من نصف إجمالي السكان. أكثر من (2) مليون كانوا الأرمن، حتى (2) مليون كردي، (1–1.5) مليون يوناني وإلخ. وهكذا، كان مجموع سكان تركيا (12–13) مليون نسمة، وبلغ عدد الأقليات القومية (5–6) ملايين، أيْ حوالي (45٪) من مجموع سكان الدولة."[2]

أمّا السكان الذين عبَّروا عن ولائهم للروس فقد عانوا معاناة شديدة. وفي ذلك كتب المُؤرِّخ الأرمني هراتشيك سيمونيان: "في الوقت الذي كانت فيه الدبلوماسية الأوروبية بقيادة المستشار الألماني بسمارك تقتل في مؤتمر برلين أمل الأرمن في تحريرهم السريع، كانت القوات الروسية تغادر الأراضي الأرمنية التي تمَّ احتلالها، تاركة السكان الأرمن في حالة انتقام من الأتراك."[3]

وبطبيعة الحال، كان الدافع وراء ذلك هو أيضًا مساعدة الأرمن للروس في أثناء الحرب؛ إذ إن مشاركة القوات الأرمنية في الجيش الروسي تسبَّب في قمع الأرمن من قِبَلِ الباب العالي. لقد قام الشعب الأرمني – على أمل كسر النير التركي بمساعدة روسيا– بدور نشط في الحرب الروسية التركية عام (1294–1295هـ/

(1) Ibid, p. 97.
(2) Eremev Dmitry, Ethnogenesis of the Turks,Nauka, Moscow, 1971, pp. 163-164.
(3) Simonyan Hrachik, From the History of Turkish-Armenian Relations, Yerevan, 1991 pp. 48-49.

1877–1878م)، وأسهمت مفارز المتطوعين الأرمن في تقدُّم القوات الروسية. إن العديد من الأرمن الروس انضموا إلى القوات الروسية، ويبدو أن رفاقهم في الأناضول عملوا مرشدين لهم.[1]

تدهورت الأحوال المعيشية في أرمينيا التركية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني؛ إذ مُنِع الأرمن، الذين عُدّوا مواطنين من الدرجة الثانية، من حمل السلاح، ووقعوا فريسة للصوص الأكراد وجباة الضرائب العثمانية. وبالرغم من ذلك، فإنهم كانوا يتمتعون في إسطنبول بامتيازات نسبية؛ إذ كانت الخدمات الحكومية والأنظمة المصرفية العثمانية تحت إشراف مباشر من الأرمن واليونانيين الذين بلغوا شأنًا كبيرًا في العلم والمعرفة، وهو ما ولَّد الحسد في أفئدة السكان المحليين والتجار الأتراك.

بدأ المسؤولون والمُفكِّرون الأتراك ينظرون إلى الأرمن بوصفهم عنصرًا مُتمرِّدًا ومُتورِّطًا في أعمال عدائية مع القوات الأجنبية. ولهذا أخذت الحكومة العثمانية تحتج على اهتمام أوروبا المتزايد بمصير الأرمن، مُعتبِرة ذلك تدخُّلًا في الشؤون الداخلية للدولة. وربَّما كانت القوى الأوروبية تستخدم المشكلة الأرمنية ذريعة لإضعاف الدولة العثمانية.

بغض النظر عن الخوف من خسارة جزء من أراضيهم، وصلت المصالح الاقتصادية للأتراك والأرمن إلى مستوى كبير من التناقض؛ إذ كانت البورجوازية التركية – بعد تعرُّضها للهزيمة– في منافسة شديدة مع الأرمن واليونانيين واليهود، واضعة نصب عينيها إضعافهم. هذا ما كتبه المُستشرِق الروسي إريمييف عن هذا الموضوع: "لقد ألحقت البورجوازية الأرمنية أضرارًا جسيمة. في المدن، تعطَّلت تقريبًا جميع تجارتها، وانتقلت الممتلكات نتيجة التصفية إلى أيدي الأتراك."[2] تحدَّث المُؤرِّخ التركي أكجام أيضًا عن ذلك: "وإدراكًا منه أن الوضع المستقر للأرمن في المجتمع يفسر من خلال قوتهم الاقتصادية، فإن السلطان يحاول كسر هذه السلطة."[3] لقد انزعج مُمثِّلو هذه البورجوازية من حقيقة أن الأتراك لم يسيطروا أيضًا على طبقة المثقفين؛ إذ كان المهندسون والأطباء والمحامون من اليونانيين والأرمن واليهود.

تسارعت الأحداث التي زادت وضع الأرمن سوءًا وتعقيدًا؛ ما أدّى إلى نمو الوعي القومي، وانتشار الأفكار الثورية بينهم. وفي ثمانينيات القرن التاسع عشر للميلاد، انتقلت حركة التحرُّر الوطني الأرمنية من مرحلة إنشاء الأحزاب القومية الأرمنية إلى مرحلة جديدة. فقد كان إنشاء الأحزاب السياسية الأرمنية نوعًا من المعارضة لكل أنواع المضايقات الذي تعرَّض لها الشعب الأرمني.

كان أول هذه الأحزاب حزب أرمينكان الذي تأسَّس في مدينة وان بأرمينيا الغربية عام 1302هـ/ 1885م. وقد نصَّ برنامج هذا الحزب على تحرير أرمينيا الغربية من الاستبداد التركي، وإقامة دولة مستقلة. وفي جنيف عام 1304هـ/ 1887م، أنشأت مجموعة من الطلبة الأرمن من روسيا حزب هنشاكيان. وقد نُشِر

(1) Kirakosyan John, Bourgeois Diplomacy and Armenia in the 80s of the XIX Century, Yerevan, 1980, p. 7.
(2) Eremev D., ibid, p. 194.
(3) Akcam Taner, Turkish national "I" and the Armenian Question, Translated from Turkish into Russian by Bojolyan M.T., Ario-Nix JSC, 1995, p. 80.

برنامجه عام 1305هـ/ 1888م، وأُعلِنفيه عن الهدف المباشر للحزب، وهو تحرير أرمينيا الغربية من النير التركي عن طريق انتفاضة وطنية، وإنشاء جمهورية مستقلة تكفل وحدة الأراضي الأرمنية. أمّا الحزب الثالث الأكثر نفوذًا فتأسَّس في تبليسي (جورجيا) عام 1307هـ/ 1890م، وحمل اسم الاتحاد الثوري الأرمني (طاشناق)، ونادى بالنضال لتحرير أرمينيا الغربية من الاستبداد التركي، وتصدَّرت القضية الأرمنية أيديولوجية الحزب واستراتيجيته.(1)

لم يعترف الأتراك قطُّب وجود حركة تحرير وطني في الدولة العثمانية؛ سواء بين الأرمن، أو اليونان، أو البلغار. واعتقدوا أن هذه كانت احتجاجات مناهضة للحكومة، مدعومة من دوائر معينة في المجتمع الأوروبي؛ بُغْيَةَ إضعاف الدولة العثمانية.

شهدت تسعينيات القرن التاسع عشر للميلاد تحوُّلًا جدريًّا في التعامل مع قضية الأرمن؛ فقد صرَّح المُؤرِّخ التركي تانر أكجام قائلًا: "لأول مرَّة، بدأت الدعوات الواضحة للتدمير الشامل لشعب بأكمله تبدو وكأنها وسيلة لحل القضية الأرمنية." لقد اعتقد عزَّت باشا؛ مستشار السلطان عبد الحميد للشؤون الأرمنية، أن الطريقة الوحيدة لحل المسألة الأرمنية هي إبادة الأرمن جسديًّا.(2) وفي جمادى الأول من عام 1312هـ/ نوفمبر من عام 1894م، قال السلطان للسفير الألماني إنه يُفضِّل الموت على الاستسلام تحت ضغط ظالم، ومنح الأرمن الاستقلال السياسي.(3)

أطلق الطاشناق إجراءات ثورية ضد سلطة السلطان، ردَّ عليها السلطان بإجراءات قمعية، مُستخدِمًا محاولات الأرمن الثورية غطاءً لسياسته المعادية للأرمن في أحداث الأعوام (1312-1314هـ/ 1894-1896م)، التي يشار إليها باسم المذابح الحميدية.

في عام 1313هـ/ 1895م، بدأ السلطان عبد الحميد تطبيق مشروعه من "الحل النهائي للمشكلة الأرمنية"؛ إذ تشكَّلت مجموعات مُسلَّحة خاصة سُمِّيت على اسم السلطان "الحميدية".(4) وردَّ الثوّار الأرمن بالاستيلاء على البنك العثماني في إسطنبول، والتوجُّه إلى القوى الأوروبية طلبًا للمساعدة، وتحذيرًا من وقوع مذبحة أرمنية وشيكة.

لم تقتصرالمذابح على الولايات الأرمنية، وإنَّما امتدَّت لتشمل إسطنبول وغيرها من المناطق المأهولة بالأرمن في الدولة. إن المذابح التي تعرَّض لها الأرمن (1312-1314هـ/ 1894-1896م) كانت مُوثَّقة بالتفصيل في التأريخ العربي. فوَفقًا لفؤاد حافظ، بدأت المذابح في ساسون عام 1312هـ/ 1894م، ومنها

(1) Migliorino Nicola, (Re)Constructing Armenia in Lebanon and Syria, Ethno-Cultural Diversity and the State in the Aftermath of a Refugee Crisis, Berghahn Books, 2008, pp. 27-28.
(2) Akcam T., ibid, p. 81.
(3) The German Ambassador to Berlin, November 16, 1894, in Johannes Lepsius et al., eds., Die grossePolitik der EuropdischenKabinette 1871-1914: Sammlung der diplomatischenAkten des Auswdrtigen Amies, Vol. IX, p. 203.
(4) Vardanyan Hamo, The Issue of Liberation of Western Armenians and Armenian Socio-Political Currents in the Last Quarter of XIX Century, Yerevan, 1967, p. 173.

امتدَّت إلى جميع الولايات الأرمنية الست: وأن، وأرضروم، ومعمورة العزيز، وبدليس، وديار بكر، وسيواس.[1]

تُعَدُّ الوثائق الأرشيفية لديوان الكاثوليكوسي الأرمني مصادر مهمة وذات مصداقية لدراسة القضية الأرمنية؛ إذ تضمَّنت شهادات لشهود عيان. وممّا لا شكَّ فيه أن كل روايات شهود العيان من السكان المهاجرين والرسائل الواردة من رجال الدين في الأبرشيات الأرمنية الغربية تُعَدُّ مصادر موثوقة لتقديم هذه الأحداث.

مع الوصف التفصيلي للمجازر الحميدية، تبرز رسائل الاجتماع الديني السياسي لمدينة موش عام 1313هـ/ 1895م؛ إذ تصف الوثائق المحفوظة في ديوان الكاثوليكوسي الأرمني بوجه خاص المذابح والسجن لسكان القرى، وتُقدِّم معلومات تقريبية عن الخسائر المادية للأرمن، وتُبيِّن أن البحث عن الثوار اتُّخِذ سببًا وهميًّا للمجازر.[2]

وفي معرض إشارته إلى معارك الدفاع عن النفس التي خاضها السكان الأرمن، أكَّد بطريرك القسطنطينية ماتيوس إزميرليان أن مردَّ ذلك إلى السياسة المناهضة للأرمن من قِبَلِ السلطات العثمانية المحلية: "في كل مكان تقوم العصابات الكردية والشركسية بمداهمة وارتكاب جرائم قتل لا توصف، وتنهب ممتلكات وحيوانات المزارعين."[3]

أصبحت ولاية حلب أيضًا ساحة لمجازر الأرمن في الأعوام (1312-1314هـ/ 1894-1896م). ففي عام 1312هـ/ 1894م، كثَّفت السلطات العثمانية الضغط على محافظة حلب. وبالرغم من ذلك، وخلافًا لما حلَّب الولايات الأرمنية، فإن قمع الدولة العثمانية اقتصر على الاعتقالات الجماعية، والنفي؛ إذ جاء في تقرير للقنصل الروسي في حلب ياكيمانسكي عن أرمن حلب في جمادى الثاني من عام 1312هـ/ ديسمبر من عام 1894م ما نصُّه: "يتمُّ اعتقال (30) أرمنيًّا هنا بتهمة التآمر."[4] وبحسب المُقدَّم توميلوف من هيئة الأركان العامة الروسية، فإن مذبحة الأرمن في مدينة أورفة بدأت في التاسع عشر من شهر جمادى الأول عام 1313هـ/ السادس من نوفمبر عام 1895م.[5] وقد أخبر المُبشِّرون الأجانب المُقدَّم الروسي توميلوف أن كل هذا تمَّ بأمر من القسطنطينية، وأن الجيش التركي قد شارك في مذبحة الأرمن. قال توميلوف إن السلطات العثمانية كانت تُكرِّر الرواية الرسمية: "تستفز المجازر الثوّار الأرمن، الذين كانوا يحاولون تحريض المسيحيين على التمرُّد؛ لاستفزاز تدخُّل الدول الأوروبية من أجل الحصول على الحكم الذاتي."[6]

(1) Hovhannisyan N., ibid, p. 458.
(2) National Archives of Armenia, Catholicos Divan, file No. 56.
(3) National Archives of Armenia, Catholicos Divan, file No. 57.
(4) Topuzyan H., ibid, p. 98.
(5) Ibid, p. 98.
(6) Ibid, pp. 98-99.

إضافةً إلى الأتراك والشركس، شارك الأكراد أيضًا في مذابح السكان الأرمن، الذين لا تربطهم عرقيًّا أيُّ صلة بالأتراك؛ لأنهم ينتمون إلى الأُمَّة الإيرانية. لكن السلطان كان قادرًا على إقناع قيادتهم، وإثارة المصالح الدينية المشتركة، بالمشاركة في إبادة الأرمن. حتى أواخر سبعينيات القرن التاسع عشر للميلاد، حافظ الأرمن السوريون على علاقات الجوار مع الأكراد. ولكن بعد انتهاء الحرب الروسية التركية نشر عملاء السلطان شائعات كاذبة تزعم أن الأرمن يستعدون للانتفاضة من الخارج، وأنهم يتلقَّون أسلحة وذخائر، ويُنظِّمون مجموعات عسكرية سرية، وما إلى ذلك.

والحقيقة أنه بعد انتهاء الحرب الروسية التركية (1294–1295هـ/ 1877–1878م) تدفَّق كثير من الشركس والشيشان على المناطق المأهولة بالأرمن في سوريا، وصار هؤلاء المهاجرون المُسلَّحون وباءً على أرمن ولاية حلب؛ إذ حرموهم تمامًا من مصدر رزقهم. ثم انتشرت أعمال السطو والنهب والقتل على نطاق واسع؛ حتى إن المُبشِّرين الأجانب طالبوا السلطات المحلية بضمان سلامة أنفسهم وممتلكاتهم بتدخُّل قوات الشرطة الخاصة لحمايتهم. وبالرغم من ذلك، لم يتمَّ تلبية مطلبهم، فغادروا المدينة.[1]

تدخَّلت الدول الأوروبية لوقف هذه المجازر؛ ففي شهر مايو من عام 1313هـ/1895م، أرسل سفراء بريطانيا وروسيا وفرنسا إلى السلطان مذكرة ومشروع إصلاح ينصُّ على توحيد المناطق الأرمنية في الدولة، ومشاركة القوى الأوروبية في تعيين المحافظين، والعفو عن السجناء السياسيين الأرمن. وكذلك سيطرة الحكومة على حركة القبائل الكردية، وتوفير مُحفِّزات تُشجِّعهم على الانتقال إلى نمط حياة مستقر، ونزع سلاح وحدات الحميدية الخاصة وقت السِّلم.[2] وقَّعت بريطانيا وروسيا وفرنسا على مُسوَّدة المذكرة، التي صيغت بناءً على ما ورد في البند (61) من مؤتمر برلين. وفي التاسع عشر من ربيع الثاني عام 1313هـ/ الثامن من أكتوبر عام 1895م، وافق السلطان على مشروع الإصلاح، ولكنه– حقيقةً – لم يُنفِّذ أيَّ إصلاحات، واستُؤنِفت المذابح بصورة أكثر دموية.

لم تتوقَّف المذبحة إلّا بعدما أرسلت (6) دول أوروبية مذكرة احتجاج إلى الباب العالي، وبدأت إنجلترا في إنزال البحّارة العسكريين؛ ما منع الدولة العثمانية من إبادة الأرمن. بعد عام 1314هـ/ 1896م، وحتى الإطاحة بالسلطان عبد الحميد الثاني عام 1327هـ/ 1909م، لم يتعرَّض الأرمن لأيِّ مذابح.

يستحيل حصر العدد الحقيقي لضحايا مذبحة الأرمن (1312–1314هـ/ 1894–1896م). وحتى قبل انتهاء أعمال العنف، تمكَّن المُبشِّر اللوثري يوهانس ليبسيوس – الذي كان في الدولة العثمانية آنذاك – من جمع الإحصائيات الآتية المستقاة من مصادر ألمانية ومصادر أُخرى:

(1) Ibid, p. 93.
(2) Balfour Patrick (Baron Kinross), Ottoman Centuries: The Rise and Fall of the Turkish Empire (1977), Translated from English into Russian by Palnikov M., Algorithm, Moscow, 2013, pp. 606 – 615.

القتلى: (88.243) شخصًا، المُشرَّدون: (546.000) شخص، نهب المدن والقرى: (2.493) منزلًا، الكنائس والأديرة المُدنَّسة: (649) موقعًا.[1] ولهذا، فليس من قبيل المصادفة أن فترة حكم السلطان عبد الحميد الثاني مثَّلت مرحلة ظلم واستبداد في التأريخ التركي.

انقسم الأدب قسمين تبعًا لهذه الأحداث، والسياق الذي وقعت فيه، وحتى الأهداف التي كانت تستهدفها؛ إذ يميل الكُتّاب المُؤيّدون لتركيا، مثل جاستن مكارثي، إلى وصف أنشطة المنظمات الأرمنية بأنها حرب عصابات كانت مسؤولة عن ذبح القرويين المسلمين الأبرياء لإثارة رد فعل عثماني؛ تمهيدًا لتدخُّل القوى الأجنبية.[2] أمّا الكُتّاب المُؤيّدون للأرمن فيميلون إلى وصف الأنشطة المُبكِّرة للجماعات الثورية بأنها أعمال مقاومة ودفاع عن النفس، أو مجرَّد هجمات رمزية على المؤسسة العثمانية، ثم تطوَّرت في مرحلة لاحقة لتصبح حرب العصابات تستهدف المسؤولين، والمُخبِرين، والعناصر المعادية. وبالرغم من ذلك، فليس هناك أدنى شكٍّ في أن المنظمات الثورية الأرمنية لم يكن لديها القوة والدعم اللذان يُمثِّلان تهديدًا خطيرًا للسيادة العثمانية في الولايات الشرقية للدولة.

هل قدَّم الأرمن للأتراك أيَّ مُسوِّغ دفعهم إلى ارتكاب المجازر بحقهم؟ بناءً على الحقائق ودراسة مطالب الأرمن بصورة شاملة، يَتبيَّن أن الأرمن الغربيين لم يطالبوا الدولة العثمانية بالمغادرة، وإقامة دولة مستقلة للأرمن، وأن مطالبهم اقتصرت على منحهم حكمًا ذاتيًّا إداريًّا داخل الدولة العثمانية، كما هو حال الأرمن في لبنان، عندما حصلوا عام (1277-1278هـ/ 1860-1861م) على استقلال إداري برئاسة مُتصرِّفٍ مسيحي عيَّنه السلطان العثماني.[3]

كان للأرمن وجهات نظر مختلفة فيما يتعلَّق بمستقبل الأرمن الغربيين، يُمكِن إجمالها في ثلاث نقاط؛ **الأولى:** التخلُّص الكامل من نير تركيا بمساعدة الروس، وإنشاء دولة عازلة بين تركيا وروسيا. **والثانية:** إنشاء حكم ذاتي داخل الدولة العثمانية تتمتَّع بحقوق واسعة. **والثالثة:** انضمام أرمينيا الغربية إلى الإمبراطورية الروسية بوصفها إحدى مقاطعاتها.

---

(1) Hovhannisyan Richard (Editor), The Armenian People from Ancient to Modern Times, Vol. II, Foreign Dominion to Statehood the Fifteenth Century to the Twentieth Century, Macmillan Press, 1997, p. 224.

(2) McCarthy Justin and McCarthy Carolyn, Turks And Armenians. A Manual on the Armenian Question, Washington D.C., 1989.

(3) جاء النظام الخاص في جبل لبنان بعد الفتنة الطائفية الكبرى عام 1277هـ/ 1860م بين الدروز والموارنة وَفقًا لاتفاقيات التنظيم القانوني؛ فكان حاكم مُتصرِّفية جبل لبنان مسيحيًّا غير تركي وغير لبناني، يُعيِّنه الباب العالي بعد موافقة سفراء الدول الأوروبية الست، وهي: بريطانيا، وفرنسا، وألمانيا، وروسيا، والنمسا، وإيطاليا. أمّا السلطة التشريعية فكانت تُمثَّل بالمجلس الكبير المُتكوِّن من (12) عضواً؛ اثنين من كل طوائف الجبل الخمس. نتيجة لهذا النظام الذاتي؛ كانت مُتصرِّفية جبل لبنان تتمتع بحرية واستقلال أكثر من بلاد الشام الأُخرى. انظر: – مسعد، بولوس. لبنان والدستور العثماني، دار المعارف، القاهرة، 1909م، ص90.

لم يمضِ وقت طويل حتى أدركت الشخصيات العامة والسياسية الأرمنية أن أيًّا من القوى العظمى لنتفكّر في منح أرمينيا الغربية الاستقلال؛ إذ لم يكن ذلك جزءًا من الخطط السياسية لأيٍّ من هذه القوى. وبناءً على ذلك، أخذ التركيز ينصبُّ بصورة رئيسة على فكرة الحكم الذاتي.

وبطبيعة الحال، وجدت السلطات العثمانية في هذه المقترحات خطرًا يُهدِّد الدولة؛ لذا بدأت اضطهاد هذه الأحزاب ومُمثِّليها في الدولة. يضاف إلى ذلك اعتقاد السلطان عبد الحميد أن الأحزاب السياسية الأرمنية قد أُنشِئت من قِبَلِ الدول الأوروبية؛ تمهيدًا لإسقاط الإمبراطورية عن طريق الانتفاضات المُناهِضة للدولة العثمانية، وتنظيم الثورات التي تستنزف قدرات الجيش التركي. ولا شكَّ في أن كل هذه التخمينات ليس لها أساس من الصحة، وإنما كانت مجرَّد ذريعة لبدء ما يُسمّى بالنضال ضد الأنشطة التخريبية للأحزاب الأرمنية. غير أن مُمثِّلي الأحزاب السياسية الأرمنية لم يعانوا وحدهم تبعات هذا "النضال"، وإنما طال بصورة رئيسة السكان الأرمن العاديين، الذين لا علاقة لهم بهذه الأحزاب.

وتأسيسًا على ذلك، يُمكِن القول إن وجود انتفاضة أرمنية في أجزاء مُتفرِّقة من الولايات الشرقية ضد الحكومة العثمانية لم يكن مبنيًّا على كراهية الشعب التركي، أو أيِّ تعصُّب ديني، وإنما نشأ عن الظلم الذي حاق بالشعب الأرمني، وتعرُّضه للاضطهاد المستمر من السلطات العثمانية والأكراد المحليين والشركس. حتى إن هذه الانتفاضة كانت محدودة جدًّا، ولم تنتشر على نطاق واسع؛ لتكون سببًا ومُسوِّغًا لارتكاب مجازر بحق الأُمَّة كلها.

الخاتمة:

تناولت الدراسة طبيعة حياة الجاليات الأرمنية في بلاد الشام في نهاية القرن التاسع عشر للميلاد وبداية القرن العشرين الميلادي، وهي تُمثِّل فترة مهمة جدًّا وحاسمة في تاريخ هذه الأمة. بيد أن تأثير الأرمن ومشاركتهم السكان الآخرين في مختلف مناحي الحياة فيها قد ازداد وتطوَّر بمرور الوقت.

لقد رامت الدراسة تناول هذه المنطقة تحديدًا؛ لأنها مثَّلت مركز إقامة مهمًّا للأرمن، فضلًا عن قربها من مملكة قيليقية الأرمنية التاريخية، وتمثيلها – وبخاصة القدس– المركز الروحي الديني للأرمن الذي أثَّر بفاعلية في حياتهم الدينية.

لقد كانت هجرات الأرمن من أرمينيا التاريخية دائمًا واحدة من السمات الرئيسة التي ميَّزت هذه الأُمَّة وكانت منطقة الشرق الأوسط، وبخاصة بلاد الشام، واحدة من الوجهات الرئيسة للمهاجرين الأرمن؛ نظرًا لقربها من أراضي أرمينيا التاريخية، والصلات الثقافية المتبادلة بين الأرمن والعرب المحليين فيها، وبخاصة في سوريا ولبنان وفلسطين.

لقد تركَّز وجود الأرمن في هذه المنطقة بصورة أساسية في حلب، ودمشق، وبيروت، والقدس، وتمكَّنوا من الاندماج جيدًا في المجتمعات التي عاشوا فيها، وشاركوا بفاعلية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية

والثقافية لهذه المدن؛ إذ نشطوا في مجال التجارة، والحرف اليدوية، وما إلى ذلك، واشتُهِروا بمهن الخياطة، وصنع الأحذية، وتجارة الفراء والحرير، والرسم، والدباغة، وصناعة الساعات، وغير ذلك.

يَتبيَّن ممّا سبق أن أرمن الشام تمكَّنوا من التكيُّف مع المجتمع المحلي، فصاروا جزءًا منه، وشاركوا بفاعلية في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، والعامة. بيد أن أرمن حلب كانوا أكثر نشاطًا ومشاركةً في قطاع الأعمال الحكومية، ومجال الحياة الاجتماعية والاقتصادية مقارنةً بأجزاء أُخرى من المنطقة.

تناولت الدراسة أيضًا القضية الأرمنية والفظائع الحميدي التي تعرَّض لها الأرمن في الدولة العثمانية ويَتبيَّن من تحليل سياسة الدولة العثمانية بعد مؤتمر برلين أن مذبحة الأرمن على يد السلطات العثمانية لم تكن حدثًا عشوائيًّا، بل حدثًا ممنهجًا مقصودًا، هدفه التخلُّص من الشعب الأرمني، ثم طيُّ صفحة المسألة الأرمنية.

لقد مثَّلت تسعينيات القرن التاسع عشر للميلاد ونهاية الحرب العالمية الأولى مرحلة حاسمة في تاريخ الشعب الأرمني عندما أخذت أوضاع الأرمن تزداد سوءًا في الدولة العثمانية تدريجيًّا، وكانوا آنذاك يُمثِّلون أكبر تجمُّع لهم في العالم؛ إذا تعرَّض معظم الأرمن العثمانيين للقتل، أو الطرد من الأناضول، ما اضطرهم إلى الفرار من الفظائع والمجازر التي ارتكبها بحقهم النظام العثماني أولًا على يد السلطان عبد الحميد الثاني بين عامي (1312-1314هـ/ 1894-1896م)، وما تبع ذلك من هجرات قسرية على يد حكومة تركيا الفتاة عام 1326هـ/ 1908م، وكذلك الاضطهاد والاستبداد والظلم الذي حاق بالأرمن في أرمينيا الغربية بين عامي (1333-1341هـ/ 1915-1923م)، في ما عُرِف بأول إبادة جماعية في القرن العشرين للميلاد.

التاريخ و الصورة

الباحث بوشتى المشروح
كلية الآداب و العلوم الإنسانية سايس- فاس
جامعة سيدي محمد بن عبد الله- فاس

مقدمة:

تعتبر الصورة[1] من الفنون التي تناولتها حقول معرفية اهتمت بدراستها وتحليلها والبحث في الجوانب المحيطة بها، فهي وسيلة لحفظ من الزمن وتخليده، منتجة بذلك وثائق تاريخية تعتبر مصدرا مهما لكتابة التاريخ.

يهتم التاريخ بالبحث في الجزء الماضي من الزمن بهدف إنتاج المعرفة التاريخية عن طريق فهم ودراسة الأحداث وتحليلها اعتمادا على مصادر مكتوبة وعلى الرواية الشفهية والذاكرة، فكتابة التاريخ تتجاوز التأريخ والتحقيب وذكر السير و البطولات، والملاحظ أن الصورة تأتي في الغالب كوثيقة داعمة فقط لما تم تناوله من أحداث، أو للاستئناس فقط ببعض المعطيات دون اعتبارها مصدرا تاريخيا من المصادر المعتمدة في كتابة التاريخ، ما خلق نقاشا معمقا حول الصورة وعلاقتهما بالتاريخ وبالكتابة التاريخية.

تتجلى طبيعة موضوع: الصورة و الكتابة التاريخية، في كونه يزواج بين قضايا نظرية وأخرى معرفية، فالجوانب النظرية متعلقة بطبيعة الصورة في علاقتها بالتاريخ، على اعتبار أن التاريخ يشمل الصورة، في حين أن الصورة لا يشمل كل التاريخ أو الأحداث التاريخية، ما فرض علينا الانتقال إلى حقول معرفية أخرى لمقاربة الجوانب النظرية، وخصوصا: الفلسفة، والسيميولوجيا، والسوسيولوجيا، والأنتروبولوجيا، والسيكولوجيا... أما القضايا المعرفية ففرضت تصنيف الصور و انتقائها والاشتغال عليها بمبادئ تحليل الصورة ومضمونها، ونظرا لهذه الازدواجية في طبيعة الموضوع، ولقلة الدراسات التي تناولته، آثرنا الإسهام في إغناء النقاش حوله من خلال ربط الشق النظري بالشق المعرفي، وذلك بتناول بعض الأمثلة المرتبطة بتاريخ المغرب.

تتجلى أهمية الموضوع في دراسته للصورة باعتبارها مصدرا تاريخيا يمكن أن يزود الباحث بمعطيات ومعلومات لم تذكرها المصادر المكتوبة، أو تغافلت عنها. فالصورة استخدمت في جل الكتابات التاريخية كداعم ثانوي للمضمون، وغالبا ما كانت تدرج بعد فقرات من الحديث عن موضوع ما، حيث يكتفي الباحث بإدراج صورة مرفقة بعنوان، أو يتم ادراجها ضمن ملحق في آخر الدراسة، فكثيرا ما كان الباحث يتحاشى تحليل الصور التاريخية ومضمونها، نظرا لما يتطلب ذلك من الانفتاح على حقول معرفية أخرى وامتلاك حد أدنى من ثقافة الصورة وما يرتبط بها.

يطرح موضوع دراسة الصورة في التاريخ إشكالات وتساؤلات، يمكننا من خلال الإجابة عنها، فهم العلاقة التي تربطهما والكيفية التي ينبغي من خلالها الاستفادة من المضامين التي تحملها الصورة وجعلها في خدمة الكتابة التاريخية. فما علاقة الصورة بالأحداث التاريخية؟ وهل يمكن اعتبار الصورة مصدرا من مصادر التاريخ ؟ وما

1 تعتبر الصورة من بين أقدم التعابير التي عبر بها الإنسان، وكانت البداية بالنقوش والرسوم في الكهوف و المغارات، ثم الغرفة المظلمة، الى أن تم اختراع أول صورة فتوغرافية سنة 1826.

مكانتها في عمل المؤرخ؟ وكيف يتناول المصور الحدث التاريخي ويجعله وثيقة تاريخية؟ وما القيمة التي يضيفها مضمون الصورة للكتابة التاريخية؟

سنحاول اتباع منهج علمي يعتمد على طرح الأفكاروالنصوص والصورومناقشة مضامينها، حيث فرضت طبيعة البحث أن نتبع منهجين: أولهما المنهج الوصفي التحليلي، وذلك من خلال عرض الأفكار والنصوص والصور. وثانيهما: المنهج المقارن، وذلك من خلال استخراج مضامين ومعطيات بعض الصوروالوثائق التاريخية المعروضة ومقارنتها بما تضمنته المصادروالمراجع المكتوبة، والتدقيق فيها بهدف الوصول إلى معطيات جديدة.

نشير إلى أن بعض الدراسات تناولت أجزاء من موضوع مقالنا هذا، وأغلب هذه الدراسات كانت بلغات أجنبية، علما أن أغلبها كانت كتابات صحفية وليست دراسات تاريخية.

1- مكانة الصورة في عمل المؤرخ

يمكن تعريف المصادر التاريخية بكونها: "موادا مقدمة من أناس أو جماعات منخرطين مباشرة في الحدث أو الموضوع محل الدراسة ، إما مشاركين وإما شهودا"[1]، وقد تطورت الكتابة التاريخية لتجعل من الأفلام والصحف والمجلات والصور الفتوغرافية والكاريكاتورية والبريدية...، مصادر تاريخية، نظرا لما تقدمه من معطيات مهمة حول أحدث أووقائع تاريخية أو اجتماعية، وذلك من خلال تحليلها واستنطاقها ومقارنتها وتمحيصها. فإذا كانت المصادر التاريخية المكتوبة تعتمد على الرواية و التسجيل وعلى القدرة الذهنية لحفظ وتذكر تفاصيل الأحداث والوقائع، فإن الصورة تلتقط أجزاء من الحدث بزمانه ومكانه وتخلده على ورق خاص ، فيصبح وثيقة بصرية و تاريخية .

انتقل دور المؤرخ من نقل الأخبار وتسجيلها الى دراسة الأسباب ومسبباتها ونتائجها ولم يعد إخباريا وساردا للوقائع والأحداث ، بل أصبح دارسا وباحثا في قضايا قديمة وحديثة مرتبطة بالإنسان ، فهو" يدرس الماضي ونظره متجه إلى المستقبل...، فهو ليس مسجل أحداث الماضي فحسب، بل هو رفيق الإنسانية في حاضرها، وهو من قادة الإنسانية في سيرها الطويل نحو الغد"[2]. وللقيام بهذه المهام، كان لا بد للمؤرخ من الاستعانة بأدوات البحث والتحليل، والاعتماد على مصادر متنوعة لكتابة التاريخ والاطلاع على حقول معرفية أخرى قصد تحليل تلك المصادرونقدها، عوض الاكتفاء بنقلها، " فالمعرفة بالتاريخ لم تعد قائمة في قص ما حدث نقلا عن وثائق مخطوطة حفظت لنا اتفاقا، ولكنها قائمة فيما نريد أن نكتشفه، مع المظاهر الأساسية لكل مشاركة تضعنا في حالة تفتيش عن وثائق تفتح أمامنا المدخل الى الماضي"[3]

انحصر اهتمام فئات من المؤرخين على المصادر المكتوبة فقط (كالكتب والمخطوطات والرسائل والمذكرات)، لكن مع التطور الذي عرفته بعض مناطق العالم، والثورة التي عرفتها العلوم الإنسانية، ظهر أن الاعتماد على المصادر التاريخية الكلاسيكية (المخطوطات و الكتب و الرسائل ...) غير كاف لكتابة التاريخ، بسبب ظهوروسائل أخرى للتوثيق وتخليد الأحداث والاحتفاظ بتفاصيلها، ومن بينها الصورة الفتوغرافية "التي أصبحت منذ

1 – رامبولا ماري لين، دليل الكتابة التاريخية ، ترجمة : آل سعود تركي بن فهد والفريح محمد بن عبد الله، سلسلة كتاب الدارة ، الكتاب 24، الرياض ، 2012، ص26.

2 – ياغي اسماعيل أحمد محمد، مصادر التاريخ الحديث و مناهج البحث فيه، مكتبة العبيكان، الرياض ، 1999، صص106–107.

3 – هورس جوزف، قيمة التاريخ، ترجمة نصر نسيم، سلسلة زدني علما، منشورات عويدات ، بيروت–باريس، ط2، 1982، ص91.

منتصف القرن التاسع عشر، مصدرا أساسيا لمعرفة التاريخ"[1]. ونظرا لأهميتها، بدأ النقاش حول امكانية اعتمادها كمصدر تاريخي، فتم الاتفاق على تصنيفها كوثيقة مدعمة للمصادر التاريخية.

رغم تطور الصورة الفتوغرافية ومجال التصوير "خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فقد ظل استعمال الصور الفتوغرافية كأرشيف أو وثيقة، يخضع لقواعد ثابتة ضمن منظومة العلوم الاجتماعية والانسانية، فهي مكمل للمصادر الكلاسيكية للمؤرخ ، حيث تأتي كتعليق أو لتعزيز ما تضمنته الوثيقة المكتوبة"[2].

أصبحت الصورة الفتوغرافية تفرض قوتها في مجال التوثيق وتسجيل الأحداث، " فقررت مدرسة الحوليات خلال ثلاثينيات القرن العشرين اعتماد لائحة مصادر جديدة لكتابة التاريخ ، حيث دعا المنتسبون الى تيار التاريخ الجديد الى الانفتاح على حقول جديدة في مجال البحث التاريخي، من بينها: تاريخ الذهنيات والعقليات، وتاريخ التراث المادي واللامادي،... وتثمين مصادر أخرى لكتابة التاريخ كالرواية الشفوية والصور الأيقونية"[3]، فقد تبين أن "المعرفة الحقيقية لا تستوفى من أي عهد من التاريخ إلا بعد معرفة أدق الوقائع، وأن التاريخ كله في أعماق التفاصيل "[4]. والصورة الفتوغرافية من بين المصادر التي تزود المؤرخ ببعض التفاصيل، فهي تسجل جزء من حدث بزمانه ومكانه وبعض الفاعلين فيه، ما يساعد المؤرخ على الإمساك بالخيوط الناظمة للحدث.

يعتقد بعض المؤرخين أن الصور الفتوغرافية لا يمكن الاعتماد عليها كمصدر لكتابة التاريخ لأنها قد تخضع للتلاعب أو للتغيير في مضمونها، ما يجعلها وثيقة لا تعبر عن حقيقة موضوع البحث، أو أنه تم تصويرها لخدمة أهداف سياسية، أو لتلميع سمعة جهة ما . لكن هذه المبررات تغدو واهية إذا ما علمنا ان المصادر الكلاسيكية قد تخضع لنفس الأسباب التي تحول دون اعتماد الصورة كمصدر، فمضمون كتاب أو رسالة أو مخطوط، لا تعتبر مضامينه حقيقة مطلقة تجعلنا نقبل بما جاء فيه كحقيقة يقينية، لذلك "سيكون من الخطأ التعامل بسذاجة مع الصور، خصوصا أثناء تكوين أرشيف أو بنك للمعطيات، لذا وجب تمحيص الصور ونقدها و تحديد مرجعها والتأكد من مضامينها ومعطياتها المتعلقة بحدث ما"[5] حتى يكون توظيفها مجديا في بحث المؤرخ، فوجود نقط مشتركة بين مضمون الصورة والمصادر الأخرى المتوفرة يمنح قوة للصورة كمصدر يمكن الاعتماد عليه في الكتابة التاريخية.

أصبحت نظرة بعض المؤرخين ايجابية تجاه الصورة الفتوغرافية كمصدر تاريخي، ولم تعد بالنسبة لهم مكملا أو ملحقا إضافيا للمصادر الكلاسيكية للتاريخ، بل أصبحوا ينطلقون منها لدراسة أحداث تاريخية، ويستعينون بها في كتاباتهم التاريخية، ومن خلالها ينفتحون على حقول معرفية أخرى لها علاقة بالصورة، من أجل التعمق في دراستها، ما جعل الكتابة التاريخية تنفتح بدورها على تلك الحقول المعرفية، ويتعزز دورها في تقديم المعرفة التاريخية.

---

1 –Duprat Annie, *histoire et image*, dans historiographies-concepts et débats, Editions Gallimard, Paris,p309.

2 Baldner Jean-Marie, *Photographie*, –dans historiographies-concepts et débats, Editions Gallimard, Paris,p.319

3 – Chominot Marie, L'image photographique, une source pour ecrire l'histoire de la guerre d'Algerie, dans : Images, mémoire, histoire les représentations iconographiques en algérie et au magreb, EDITIONS GRASCO,oran , 2007 p75.

4 – هورس جوزف ، مرجع سابق ، ص71.

5 –Baldner Jean-Marie,op.cit.p320

وخلاصة القول: إن "الصورة الفتوغرافية تزود المؤرخ بمعلومات ومعطيات تتجاوز المضمون المصور، لكن وجب استخدام الطرق الكلاسيكية المتبعة في تمحيص و نقد المصادر داخليا و خارجيا، وتكييفها مع خصوصيات الصورة كمصدر تاريخي"[1]، واستغلالها من طرف المؤرخ وفق منهجية تتلاءم مع خصوصياتها.

2- المصور الفتوغرافي و الحدث التاريخي

أدى اختراع آلة KODAK إلى انتشار التصوير بين فئات مجتمعية داخل أوروبا وأمريكا، وإلى ظهور مهنة المصور الفوتوغرافي، الذي يشتغل لحسابه أو لجهة معينة (حكومية أو إعلامية...)، وكان من بين مهامه تصوير الأحداث (السياسية والاجتماعية...) بهدف توثيقها وتخليدها، فينتج بذلك (عن وعي أو بدونه) مصدرا تاريخيا من خلال المتن الفوتوغرافي الذي صوره.

برزت حنكة المصور الفتوغرافي في قدرته على تصوير مشاهد من حدث ما وتخليده عبر الصورة الفتوغرافية، ولا يمكنه القيام بهذه المهمة إلا إذا كان قريبا من الحدث أو وسط الحدث، فهو شخص يعيش الحدث ويقوم بتصويره، إما كمصور هاو يقوم بذلك برغبة ذاتية أو مصور محترف يصور بناء على طلب من جهة معينة، أو كمصور حربي يوثق المعارك وأحداثها. وفي جميع الأحوال تكون صوره هي رو ايته عن الحدث، فعوض الكتابة عن الحدث يقدم صورا عنه، ويترك الحرية لكل شخص أن يكون فكرة عن الحدث حسب ما يراه من خلال الصورة. إذا كانت ذاتية المؤرخ حاضرة أثناء كتابته، فإن ذاتية المصور تكون حاضرة أثناء التقاطه صور حدث ما، فعندما يختار المصور زو ايا معينة لالتقاط الصورة، أو يركز على شخصية دون باقي الشخصيات، أو يصور وضعية دون الوضعيات العادية، فإنه لا ينقل الو اقع و إنما يقدم قراءته الشخصية للحدث ويوجه رسالة معينة للمتلقي.

أسهم المتن الفتوغرافي الذي أنجزه عدد من المصورين في معرفة تفاصيل بعض الأحداث التاريخية التي تكتم عنها أو لم يذكرها المؤرخ، ومثال ذلك، المصور الحربي الذي ينقل مجريات ووقائع المعركة عبر الصورة، والمؤرخ الذي ينقلها بواسطة الكلمات وبعد استنطاقه لذاكرته،ما يجعله معرضا لإغفال بعض التفاصيل، فتكون صورة المصور قد توفقت أكثر في نقل الوقائع من مقالة المؤرخ، وهذا ما يطابق "المثل الصيني الذي يقول: الصورة تساوي ألف كلمة "[2].

و إجمالا ، فالمصور الفتوغرافي عندما يصور مشاهد من حدث معين فإنه يقوم بتخليد جزء من ذلك الحدث، فتصبح تلك الصور وثائق تاريخية مهمة، لأن " كل صورة فتوغرافية هي بطبيعتها تاريخ"[3]، وهو ما يجعلها مصدرا مهما لكتابة التاريخ، أسهم في إنتاجها عن وعي أو بدونه المصور الفتوغرافي خلال تصويره وتوثيقه لأجزاء من أحداث معينة.

3- الصورة و الكتابة التاريخية

يطرح التعامل مع الصورة كمصدر لكتابة التاريخ بعض الصعوبات لدى الباحث، خصوصا في كيفية استغلالها

1 –Chominot Marie, op.cit.p78

2 – العبد محمد ، النص و الخطاب و الاتصال ، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة ، 2005، ص339.

3 –Frizot Michel, " *Faire face, faire signe. La photographie, sa part d'histoire* " dans Jean-Paul Ameline, Face à l'histoire 1933-1996. L'artiste moderne devant l'événement historique, Paris, Flammarion/Centre Georges-Pompidou, Paris, 1996, p 57.

والاشتغال عليها. بالإضافة إلى الجهد الذي يجب أن يبذل لقراءة وتحليل الصورة، والانفتاح على علوم أخرى للتمكن من تفكيك رموزها ولغتها. فالصورة في نظر البعض "نسخ ميكانيكي للو اقع"[1]، بينما يرى آخرون أنها " مادة اتصال تقيم العلاقة بين المرسل والمتلقي "[2]، في حين يرى رولان بارث أنها ليست إعادة إنتاج آلي للو اقع، بل هي" رسالة تحمل بعدين: بعد تعييني (وصف ما هو موجود في الصورة) و بعد تضميني(ما نقوله عن الموجود في الصورة)، والبعد الثاني لا يفهم بدون البعد الأول"[3]. وهنا تبدو صعوبة فهم و تحليل الصورة قبل اعتمادها كوثيقة، ما يجعل الباحث يستغني عن اعتمادها كمصدر، ويدرجها فقط كمدعم للمصادر الأخرى، ولتجاوز هذا الأمر قام بعض الدارسين بتحديد خطوات مهمة للتعامل مع الصورة كوثيقة تاريخية، وأهمها:

أ- تصنيف الصور المتوفرة، وذلك بتحديد نوعيتها: هل هي صور أيقونية؟ أم كاريكاتورية؟ أم فتوغر افية؟ أم بريدية؟ أم بريدية فتوغر افية؟، وتحديد مصدرها وطبيعتها.

ب- "تحديد مكان وتاريخ وموضوع الصورة التي سيشتغل عليها"[4]. والملاحظ أن مجموعة من الصور القديمة تتضمن هذه المعطيات، خصوصا صور المناسبات الكبرى، وصور الأحداث العسكرية والحروب.

ج- " تحديد اسم المصور، وهل هو مصور محترف أم هاو؟ ، و إن كان محترفا فهل يشتغل لحساب جهة ما؟ حكومية أوغير حكومية ؟"[5]، وذلك لمعرفة ما إذا كانت الصورة قد التقطت من طرف المصور برغبة منه، أم التقطت بطلب من جهة ما، وهذا عنصر مهم يساعد الباحث في معرفة الحيثيات المتعلقة بالحدث موضوع الدراسة، فإذا كانت برغبة ذاتية ، فإن البحث عن مكانة المصور وعلاقته و قربه من الحدث يمكن أن يكشف للباحث عن معطيات جديدة يمكنه استغلالها، و إذا كان التصوير بطلب من جهة معينة، فإن تحديد الجهة والأسباب التي جعلتها تطلب تصوير الحدث سيكشف عن معطيات مهمة ستدعم بحث الباحث.

د- " تحديد السياق العام والظروف العامة والخاصة المرتبطة بالتقاط الصورة "[6] بهدف تكوين فكرة عامة عن دواعي التقاط الصورة، فالسياق الدولي لحدث ما، يختلف عن السياق المحلي، والظروف العامة والخاصة لحدث ما تختلف حسب الشخصيات والأحداث، فتحديد كل ذلك يسهل على الباحث مسك خيوط الحدث الذي وثقت له الصورة.

هـ- "كتابة مضمون الصورة وتحليله"[7]، وذلك لتكوين فكرة عامة عن مضمون وموضوع الصورة، ويمكن تعزيز هذا المضمون والتحليل بما توفر للباحث من مصادر ومراجع حول نفس الموضوع، وإجراء مقارنة بين الصورة وباقي المصادر.

4- تحليل صورة تناولت أحداثا من تاريخ المغرب ومقارنتها بمصدر مكتوب

---

1 –Lazar Judith, *Ecole, Communication, Télévision*, éditions P U F , paris, 1991, p.127

2 – لعياضي نصر الدين ، جمالية الصورة، مجلة الاذاعات العربية ، العدد 2 ، تونس ، 2003 ، ص 36

3 – نفسه ص 36

4 –Van Ypersele Laurence, la photographie comme source pour l'historien, recherches en communication, n027,université catholique de Louvain, Louvain,2007, p.136

5 –Ibid, p.136

6 –Ibid, p.137

7 –Ibid, p.145

صورة[1] من حدث: مفاوضات وقف حرب تطوان 1860

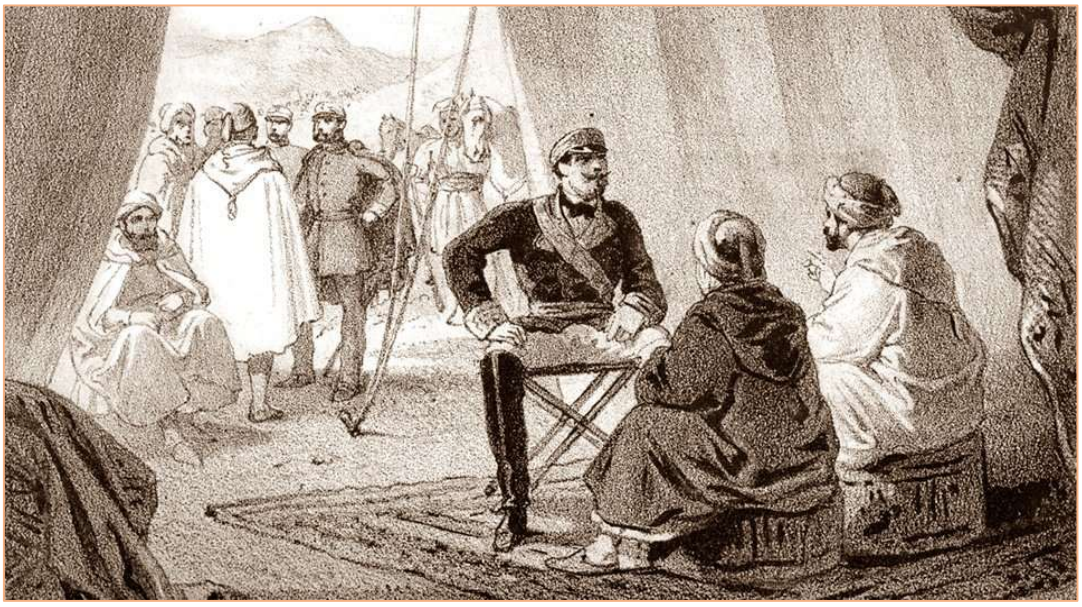

تحليل الصورة :

الصورة تخص المفاوضات الأولى التي جرت بين ممثلي السلطان: المولى العباس ومحمد الخطيب، وبين قائد القوات الاسبانية المحاصرة لتطوان Leopoldo O'donnell، ومن خلال الصورة يظهر أن المفاوضات جرت داخل خيمة القائد الإسباني، ويظهر ذلك من خلال الوضع الذي اتخذه القائد في مقابل مبعوثي السلطان، فكرسيه العالي وحركاته التي تم التقاطها، تعطينا فكرة عن المفاوضات وعن طريقة القائد الإسباني في التفاوض، فمن خلال وضعية الجلوس المتباينة، يظهر لنا عدم تكافؤ الطرفين. كما يظهر لنا في خلفية الصورة افرادا من القوات الإسبانية يتحدثون مع بعض مرافقي المولى العباس ومحمد الخطيب، ويثير الانتباه جلوس شخص بزي مغربي أمام الخيمة التي احتضنت المفاوضات، ويظهر كأنه يتابع المفاوضات أو فقط ينظر باتجاه الشخصيات المفاوضة.

<u>نفس الحدث كما تناوله مصدر مكتوب</u>

يقول الناصري في الاستقصا: "لما دار الكلام بين المولى العباس رحمه الله وبين أردنيل في الصلح استعدوا للاجتماع في يوم معلوم بمكان سوي بين المحلتين فلما كان ذلك اليوم ضرب بالمحل المعين خباء وجاء المولى العباس ومعه جماعة من وجوه جيشه، وفيهم أبو عبد الله الخطيب التطاوني، وخرج أردنيل ومعه جماعة من وجوه عسكره وخرج معه مقدم المسلمين بتطاوين الحاج أحمد آبعير رجاء أن يكون هو الترجمان بين الأميرين فيفوز بذكر ذلك الجمع وفخره، فأخفق رجاؤه لأنه لما توافى الجمعان إلى الخباء بقي الناس كلهم قائمين على بعد منه ولم يدخله إلا المولى العباس وأردنيل والخطيب لا رابع لهم فيما قيل، وأبدى أردنيل الأدب والخضوع للمولى العباس ما جاوز الحد وتفاوضوا ساعة ثم انفض المجلس وتناقل الناس أن حاصل ما دار بينهما أن اردنيل رغب في الصلح وتأكيد الوصلة بينهم وبين المسلمين على شروط ذكرها، وأن المولى العباس توقف فيها وأحال ذلك على مشورة أخيه

1 – مصدر الصورة: محفظة رقم 94(460).066.2 بعنوان : Guerra de Marruecos1859-1926، متحف Zumalakarreg

السلطان سيدي محمد وذهب كل إلى سبيله، وبقي الناس ينتظرون الجواب بأي شيء يأتي من عند السلطان"[1]

نسجل أن الصورة لخصت تفاصيل كثيرة ذكرها الناصري، حتى "قضية المترجم"، لكن الاختلاف كان في تفاصيل برتوكول المفاوضات وفي مسألة تكافؤ المفاوضين. فالمصدر المكتوب يقول: إن القائد الإسباني " أبدى الأدب والخضوع للمولى العباس ما جاوز الحد " ولكن الصورة تظهر استعلاء القائد الإسباني سواء من حيث المقام (كرسي عال) أو من حيث الحركات ووضعية الجلوس، وهذا يثير التساؤل فيما إذا كان الناصري يريد أن يمجد شخصية المولى العباس، علما أن نتائج المفاوضات كانت لصالح اسبانيا.

5- تحليل صور تناولت أحداثا تاريخية تهم المغرب بداية القرن العشرين

5-1- التنافس الأوروبي حول المغرب[2]

تناولت مجموعة من الصحف الأجنبية المسألة المغربية، واختلفت طريقة طرحها للموضوع، فهناك من خصصت له مقالات إخبارية وتحليلية، وهناك من عبرت عنه بالصورة وبالكاريكاتير، لما له من قوة في التعبير وإيصال الفكرة والموضوع بطريقة مبسطة، وسنكتفي بطرح وتحليل مضامين بعض الصور الفتوغرافية والكاريكاتورية التي تناولت بعض الأحداث المرتبطة بالمسألة المغربية، وبمؤتمر الجزيرة الخضراء خلال العقد الأول من القرن العشرين.

الصورة الأولى[3]

1 – الناصري أحمد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولة العلوية القسم الثالث، الجزء التاسع، تحقيق و تعليق الناصري جعفر و الناصري محمد، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997، ص 98.

2 – أصبح المغرب قضية مهمة لكل الدول الإمبريالية خلال مطلع القرن العشرين، حيث وقع التنافس بين هذه الدول حول الاستفراد به، ما أدى إلى تدويل القضية المغربية، و بدأ هذا التدويل منذ سنة 1865، "حيث تم إنشاء منارة رأس سبارطيل وفق اتفاقية دولية، وبنفس الطريقة تمت معالجة المسألة الصحية بطنجة من خلال مجلس صحي دولي. وفي سنة 1892 وقعت حادثة ذات دلالات كبيرة، فخوفا من مهاجمة طنجة من طرف القبائل المجاورة لها، أرسلت الدول الأوروبية سفنا حربية لحماية أهاليها، فأصبحت المسألة المغربية منذ ذلك التاريخ مسألة دولية" انظر Terrasse Henri , *histoire du Maroc des origines à l'établissement du protectorat français*, éditions Atlantide , Casablanca 1950 , p 340.

3 –http://www.caricadoc.com/article-26528717.html

تحليل الصورة

تتضمن الصورة رسما كاريكاتوريا لأربعة رؤوس لحكام دول امبريالية كانوا يحاولون ابتلاع شريط يحمل اسم المغرب، وهم من اليمين إلى اليسار: ادوراد السابع ملك بريطاني، وغليوم الثاني امبراطور ألمانيا، وألفونسو الثالث عشر ملك إسبانيا، ثم إميل لوبي رئيس فرنسا. نلاحظ رأسا الملك البريطاني والرئيس الفرنسي كبيرتين في إشارة إلى حجم القوة و النفوذ داخل المغرب، في حين لا يظهر إلا النصف الأيسر من وجه ملك إسبانيا الذي حجبه وجه فرنسا ، للدلالة على القوة الفرنسية داخل المغرب، التي تحجب النفوذ الإسباني بالمغرب، وتجعله في مرتبة أدنى، أما وجه امبراطور ألمانيا فهو أصغر من بقية الوجوه، واضح تماما، وذلك للدلالة على صغر حجم النفوذ الألماني بالمغرب بالمقارنة مع الثلاثة الآخرين، لكنه أقوى من الجميع بحكم توفره على ترسانة عسكرية مهمة تم التعبير عنها من خلال الأنياب البارزة التي تعض على الجزء المهم من شريط المغرب، وتمنع على الآخرين ابتلاع المغرب، وهذا ما تسبب في حدوث رعد و برق، يظهر من خلال الخطوط الموجودة خلف امبراطور ألمانيا. إنها صورة مهمة تلخص التهافت الإمبريالي حول المغرب، وقد عبر Henri terrasse عن هذا الوضع بقوله: "فرنسا واجهت المغرب عسكريا، وتدخلت في الشؤون المغربية، وألغت كل تدخل للقوى الدولية التي لها مصلحة في المغرب، وأصيبت اسبانيا بخيبة أمل، لأنها لم تجن أي فوائد من انتصارها على المغرب في حرب 1860، وهي التي تفكر في الانتقام من مغرب تريده تحت سيطرتها. البلجيكيون أسسوا مقاولات اقتصادية، الأمريكيون بدأوا يفكرون في التخلي عن جزيرة المعدنوس، الألمان بدأوا في تمويل اكتشافات الرولف وين، كما أنها وفي إطار التسوية الهادئة بدأت تعزز مكانتها في المغرب، وتعمل على تقليص التأثير الإنجليزي"[1]. ما جعل المغرب ساحة للتجاذبات الدولية ومجالا للتنافس والصراع الإمبريالي حول تعزيز النفوذ والامتيازات الاقتصادية، والاستفراد باحتلال الأراضي المغربية.

1 –Terrasse Henri , op.cit. , pp338-339.

الصورة الثانية[1]

تحليل مضمون الصورة

تعبر الصورة الكاريكاتورية عن الو اقع الذي وجد المسؤولون المغاربة فيه أنفسهم بعد الاتفاق الودي الفرنسي البريطاني، وبعد زيارة قيصر ألمانيا إلى طنجة، وتهافت الدول المستفيدة من الاتفاق الودي لسنة 1904، للقبض على دولة المغرب، فيما يظهر السلطان ممسكا بطبق عليه أماكن لممارسة الطقوس الدينية، وممتطيا جملا نائما يعتمر قبعة مغربية تقليدية.

اشتد الخناق على المسؤولين المغاربة جراء التنافس الامبريالي حول الاستفراد بالمغرب، فلجأ السلطان إلى إحياء أسلوب المشاورة، باعتباره نهجا دينيا بين المبايع و المبايع، ورأى أن يشرك ممثلين عن السكان في اتخاذ القرارات المصيرية التي تهم البلاد، لذلك "فكر في إرضائهم و اتقاء الأجنبي بتأسيس مجلس للأعيان"[2] وكانت الخطوة مناسبة لربح الوقت وإطالة فترة الرد على مقترحات بعض الدول وخصوصا فرنسا التي طالبت بإدخال إصلاحات سياسية و اقتصادية واجتماعية في المغرب، فكان من أهم قرارات هذا المجلس، إعلانه " أن وضعية المغرب يجب أن توضع تحت البحث الدولي، و أن رغائب الملك و رغائب الأجانب يجب أن تواجه في مؤتمر عام يلتزم فيه الكل بما يجب أن يمضي"[3]

يبدو أن الطبق الذي يحمله السلطان هو مسوغات دينية، والجمل الذي يمتطيه هو مجلس الأعيان، وذلك لربح الوقت وإطالة أمد الأزمة، لكن، ومن خلال الصورة تظهر رموز الدول المتربصة بالمغرب تسرع الخطى لتلحق

1 –http://marcophiliedaniel.blogspot.com/2012/12/la-conference-dalgesiras-sur-le-maroc.html

2 – الفاسي علال، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، مؤسسة علال الفاسي ، ط 6، الرباط ، 2003، ص.106.

3 – نفسه، ص 107.

بالسلطان، والمسافة بينهما قصيرة، فكان اللقاء في مؤتمر الجزيرة الخضراء بإسبانيا سنة 1906.

5-2- القضية المغربية في مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة 1906

شهد مؤتمر الجزيرة الخضراء المنعقد سنة 1906 أحداثا ونتائج مهمة أثرت سلبا على مسار الدولة المغربية، ولن نتحدث عن المؤتمر ونتائجه وتداعياته، فهناك كتب كثيرة أرخت للحدث وتحدثت عنه بإسهاب، لكننا سنقوم بمقاربة حدث المؤتمر من خلال صورتين فتوغرافية وأخرى كاريكاتورية، وذلك بطرحها وتحليل مضمونها، والتعامل معها كوثيقة تاريخية لا تقل أهمية عن المصادر المكتوبة.

الصورة الثالثة[1]

التعليق:

تبرز الصورة أعضاء الوفود المشاركة في مناقشات مؤتمر الجزيرة الخضراء خلال إحدى مناقشاتهم، ومن خلال الزاوية التي التقط منها المصور صورته، نستطيع أن نتعرف ملامح الحاضرين من خلال الأرقام والأسماء الموجودة أسفل الصورة. ومن جهة أخرى ركز المصور على الوفد المغربي واختار تلك الزاوية ليسجل بعض التفاصيل المرتبطة بالوفد، فصور الملوك والرؤساء مألوفة لدى فئات من مواطني الدول المشاركة في المؤتمر، لكن الغموض يكتنف صور المشاركين المغاربة، فالصورة بقدر ما هي تعريفية وتوثيقية، بقدر ما تجسد الرؤية الفلكلورية والعجائبية التي ترسخت عند فئات من المجتمعات الغربية، كما يحاول مصورها أن يبين بأن الوفد المغربي كان غير منظم في جلسته، وجلس بعض أعضائه مكان المترجمين الذين كانوا يجلسون في الصف الثاني وراء مسؤوليهم، وهذا ينقص بروتوكوليا من وزن الوفد المغربي، ومن نظرة بعض المشاركين إليه، وأن الوفد المغربي لا دراية له بالبرتوكول.

27-http://marcophiliedaniel.blogspot.com/2012/12/la-conference-dalgesiras-sur-le-maroc.html

ISSN:2707-8183
العدد 13 كانون الثاني 2021

خاتمة:

شكلت الصورة تحولا عميقا في ميدان الفن، واستفاد منها التاريخ في تجديد الكتابة التاريخية وتنويع مصادرها ووسائل تعبيرها، لذلك يمكن اعتبار الصورة مصدرا من مصادر التاريخ شأنها شأن الرواية الشفهية والذاكرة، نظرا لتوثيقها لجزء من مكان وزمان الحدث، وهو ما يترسخ في الذهن أكثر من الحدث المكتوب، لذلك فإن موضوع التاريخ والصورة يعتبر من بين المواضيع التي تحتاج إلى المزيد من الدراسة والبحث. كما نرى ردم الهوة بين المؤرخ والمصور، خدمة للمعرفة التاريخية، فكل تخصص له ضوابطه وقوانينه، ولكن الانفتاح على حقول معرفية مغايرة، يولد حتما المزيد من الفهم للظواهر والأحداث، لذلك يمكن للكتابة التاريخية أن تعتمد على الصورة كمصدر مهم من مصادر التاريخ، وأن تتعامل معها وفق منهجية واضحة، سواء من حيث كيفية استغلالها، أو من حيث نقدها والتحقق من مضمونها.

وأخيرا، وجب الاهتمام بكل ما له علاقة بموضوع الصورة والتاريخ، وتخصيص مواد دراسية مستقلة لتحليل الصورة و إبراز علاقتها بالتاريخ، من أجل تكوين جيل متسلح بثقافة الصورة، لأن كسب رهان التحديات المجتمعية والتواصلية مبنيا على الصورة ومرتبط بها، وبذلك يمكن تطوير وترصين الكتابة التاريخية، وتجويد المعرفة التاريخية.

ISSN:2707-8183
العدد 13 كانون الثاني 2021

الرحلة مصدر من مصادر تاريخ الإصلاح في مغرب القرن 19م

البشير البونوحي – المغرب
الدرجة العلمية: الدكتوراه

ملخص:

الرحلة من أهم الفنون الأدبية التي تطور الاتصال بين الشعوب والتفاعل بين الحضارات وما قد ينجم عن هذا التفاعل من صراع فكري وحضاري، يتجلى ذلك أوضح ما يتجلى في مؤلفات الرحالات العرب إلى أوربا في القرن 19م، حيث تظهر هذه المؤلفات صورة الغرب لدى النخبة المغربية وكذا حدود الوعي بتجليات الحضارة الأوربية على عدة أصعدة وميادين، وقد اقترنت هذه الصورة بالوجود الاجتماعي وتحولاته، وبالتالي قياس درجة النهضة والتحديث بالنظر إلى اعتباري التقدم والتأخر.

لقد أصبح المغاربة على وعي تام بالمخاطر التي تلاحق مصير بلادهم، وتيقنوا بتفوق أوربا وجاءت رحلات السفراء المغاربة انعكاسا صادقا لهذا الو اقع الجديد الذي عاشه المغرب خلال القرن التاسع عشر، وعبر عن ذلك الو اقع الجعايدي بقوله "والخاتمة "رزقنا الله حسنها" في بيان معتقدنا في ذلك والتبري مما يتحدث به العوام الذين يجولون في بلاد الروم من مدح أحوالهم ومدح قو انينهم و افتخارهم بذلك، نعوذ بالله من هذا الاعتقاد، ونسأله العصمة والتوفيق في سبيل الرشاد".

الكلمات المفتاحية: الرحالة – القرن التاسع عشر – النهضة – الحداثة – الاصلاح.

Summary:

The trip is one of the most important literary arts that improve connection between people and interaction between civilizations and the intellectual and civilized clash that might result from this interaction. That seems clear in the writings of the Arab wanderers to Europe in the nineteenth century, these writings depict the west for the Moroccan elite as well as the limit of awareness for the European civilization on many levels and domains, and this picture was associated with the social existence and its changes, so measuring the level of renaissance and renewal according to development and backwardness.

Moroccans became completely aware of the risks that threaten the destiny of their country and they realized the supremacy of Europe and the trips of Moroccan ambassadors reflected truthfully this new reality that Morocco lived during the nineteenth century, JAAYDI expressed that reality by saying:"God granted us good end." Showing our belief in that and disownment from what ordinary citizens who wander in Rome talk about by praising their life conditions and their laws and being proud of that, we seek refuge to God from that belief and we ask him for infallibility and successfulness for the sake of righteousness.

Keywords: The Trip - 19th Century - Renaissance – Modernity – Reform

تقديم:

يمثل أدب الرحلة[1]، فرصة سانحة للدارس من أجل الاطلاع على عادات المجتمعات وخصائصها، فالرحالة حين يكتب يكون خاضعا لسيطرة الانفعال بمشاهداته الخارجية عن سياق المألوف لديه، وهي مشاهدات غالبا ما تختلف عن مشاهدات المقيمين من أبناء هذه المجتمعات فتعبربصدق عن دهشة الاكتشاف وصدمة الخروج عن طور المعتاد، وفضلا عن ذلك فأدب الرحلة يقدم للباحثين معطيات أثرية عن الفوارق الحضارية والثقافية والسلوكية وغيرها بين بلد الرحالة الأم وبلد زيارته.

لقد عملت الرحلة المغربية المستمرة عبرالقرون، المكتوبة منها وغيرالمكتوبة عملها المعهود، في تقريب البعيد، وتسهيل العسيروالرحالون المغاربة سواء منهم من كتب ومن لم يكتب كانوا مؤمنين بهذه الحقيقة[2]، رغم العوائق التي كانوا يواجهونها.

1- للتوسع أكثر يرجع إلى:

- جابر عصفور، "الرحلة إلى الآخر في القرن 19"، مجلة العربي، ط1، عدد 15 يناير2005، الكويت، ص: 17 وما يليها.
- عبد المجيد القدوري، "صور عن أوربا من خلال ثلاث رحلات مغربية وبعض المراسلات الرسمية"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، جامعة محمد الخامس، ع 15.
- جمال حيمر،"تطورات مغربية للمدينة الأوربية من خلال الرحلات السفارية"، ضمن ندوة أدب الرحلة والتواصل الحضاري، كلية الآداب مكناس، –سلسلة ندوات 5، سنة 1993.
- عبد المجيد القدوري، سفراء مغاربة في اوربا 1922–1610، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم 13، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.
- عبد السلام حيمر: "صورة الآخر من خلال الرحلات السفارية المغربية إلى أوربا"، مجلة بصمات، منشورات جامعة الحسن الثاني، المحمدية، ع5.
- سعيد بن سعيد العلوي، "أوربا والرحالين المغاربة"، ضمن ندوة الرحالة العرب والمسلمين اكتشاف الآخر، المغرب منطلقا وموئلا، نونبر 2003، منشورات وزارة الثقافة.
- إدريس هاني: "أدب الرحلة وأسئلة النهضة: الرحلة من منظور التجربة المغربية"، مجلة الكلمة، عدد 64، سنة 2009م/1430هـ
- عبد الرحيم مودن، معجم التواصل واللاتواصل في الرحلة المغربية السفارية الدبلوماسية أثناء القرن التاسع عشر، ندوة الحالة العرب والمسلمون، الرباط 2003.
- عبد النبي ذاكر، مرآة الغيرية وأسئلة التحديث في الرحلات السفارية المغربية من القرن 18م إلى مطلع القرن 20م، ندوة الرحالة العرب والمسلمون اكتشاف الاخر المغرب منطلقا وموئلا، ط1، الرباط 2003.
- شعيب خليفي: "الرحلة المغربية إلى أوربا، النص والصورة"، ضمن أعمال ندوة الرحالة العرب والمسلمون اكتشاف الآخر، المغرب منطلقا وموئلا. ط1، الرباط 2003.

2 – عبد القادر زمامة، "الرحلة المغربية صلة علم وحضارة"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، ع 8، 1406هـ – 1986م، ص: 07.

لذلك تعتبر الرحلة صنفا أدبيا متميزا[1] منفردا بإعطائه معلومات تكون مبنية على المشاهدة والاحتكاك وتساهم في نقل كل ما يشاهده الرحالة[2].

هذا النوع من المصادر لا زال في حاجة لمزيد من البحث والنقاش حتى يتمكن الباحث من الغوص أكثر في خبايا مجتمعات الفترة التي يدرسها والتعرف عليها، علما أن الرحلات خاصة السفارية لم تستغل بما فيه الكفاية حتى الآن، لكونها جاءت نتيجة لاختلاف موازين القوى بين البلاد المسيحية والمغرب، الأمر الذي تطلب تنقل السفراء المغاربة إلى أوربا لحل المشاكل العالقة معها، والتخفيف من وطأة الغطرسة الأوربية المتزايدة، وبالتالي فإن دوافع الكتابة عند كل مبعوث إلى أوربا تختلف من واحد إلى آخر.

لذلك سنحاول من خلال هذا الموضوع مسائلة نصوص الرحلات في دورها الإصلاحي خلال القرن 19م، ودورها في تعميق الوعي بضرورة مطلب الإصلاح الذي لم يكن نتاج مرحلة اقتضاها التطور الذاتي للمجتمع وقواه الخاصة به، بل اقتضاه ضغط خارجي وتهديد استعماري، فأصبح مطلبا للرفع من المستوى المادي والحضاري للمجتمع المهدد، وليتمكن من المواجهة والتطور معا[3]، فما الصورة التي نقلها أدب الرحلة السفارية إلى الأوساط المخزنية عن خيار التحديث الليبرالي؟

1- الغرب بعيون الرحالة المغاربة:

اتخذ الرحالة من الحضارة الأوربية موقفا إيجابيا أحيانا، وموقفا سلبيا أحيانا أخرى، إلا أن الموقفين كليهما عبرا عن وجوه القلق الداخلي الذي تنازع الرحالة المغربي، فمن جهة تمسك بهويته العربية[4]، القائمة على الموروث التليد الذي يمثل الاستمرار في الزمان، ولكن إعجابه بتقدم الغرب من جهة ثانية أثار السؤال: إلى أي حد كان تمسكه بهذا الموروث سبب جموده وتخلفه؟

---

1 – اهتم بهذا الصنف كذلك مجموعة من الباحثين الأجانب أمثال:

– Henry peres, l'éspagne vue par les voyageurs musulmans de 1610 à 1930, paris, adriem maison neuve 1973.

- Henri peres, voyageurs musulmans en europ aux xix et xx mémoire de l'institut français d'archéologie oriental du caire, vol LXVIII caire, pp: 185 – 194 – 195.

وكذلك أغناطيوس كراتشوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1987 (نقله إلى العربية عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم).

وهناك الباحثة المستعربة الإسبانية (نيفيس باراديلا ألونسو):

– Nieves paradela alonso, mel otro labérinto espagnol viajeres arabes à espana entre els XVII y 1936, madrid, ed, V.A .de madrid, Espagne 1993.

2 – عبد المجيد القدوري، "صور عن أوربا من خلال ثلاث رحلات مغربية وبعض المراسلات الرسمية"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، ع15، ص: 46.

3 – علي أمليل، الإصلاح والديمقراطية، تجربتا المغرب والمشرق، الاتحاد الاشتراكي، الملحق الثقافي، عدد 160.

4 – عبد الفتاح الحجمري، خطاب التحديث في رحلات سفارية، منشورات رابطة أدباء المغرب، ضمن ندوة الادب المغربي الحديث علامات ومقاصد، جماعة من الباحثين،، ص: 193.

تبدو هذه الرحلات السفارية حاملة لخطاب النهضة والإصلاح حين تحاول الإجابة ضمنيا عن كيفية السبيل للوصول إلى قوة الغرب وتقدمه وعلمه واختراعاته، بل كيف تمثلت النخبة المغربية منجزات النهضة الأوربية ثقافيا وحضاريا؟ وما هي المبادئ الإصلاحية التي حفلت بها كتابات مرحلة انشغلت بدعوات التحديث الاجتماعي والسياسي وتشييد دولة وطنية معاصرة ومتطورة؟ و كيف هي صورة العالم الآخر كما تمثلها كتابات المغاربة مما عاينوه في رحلاتهم؟ وكيف تم التعامل مع ذلك في ظل عقليتهم الفقهية؟

الإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها لا تتوخى نقل ما التقطته عيون رحالينا المغاربة من صورحداثة الآخر، مقارنة بمظاهر انحطاط الذات، بل محاولة البحث عن مشروع نهضوي حاول الرقي بنظام متأخر لم ينتبه لتخلفه إلا بعد اصطدامه بحداثة أوربية بعد هزيمتين قاسيتين خلال القرن التاسع عشر.

الرحلات خلال القرن التاسع عشر كانت من النصوص المبكرة التي طرحت أسئلة النهضة أو التحديث من مو اقع مختلف، فقد عبرت عن رغبة محمومة في معطيات المدنية الحديثة والتطور الحديث بشتى تجلياتها الإيجابية وبالتالي الحذو حذو الآخر طمعا في الانفلات من الكبوة الحضارية التي أسقطت العرب والمسلمين في وحل الانحطاط والتردي والنكسات المتتالية على مستويات عدة[1].

سعى هذا النوع من الرحلات السفارية إلى استطلاع أحوال الحضارة الأوربية ومحاولة التعرف على مواطن قوتها وأسباب مدنيتها من خلال اكتشاف أسباب القوة العسكرية والاقتصادية الأوربية، ومحاولة اقتباس العديد من مظاهر مدنية أوربا لإصلاح أوضاع المغرب المتردية والمتأخرة وكذا سد الفراغ الديبلوماسي الذي كانت تعاني منه أجهزة الحكم المغربية فيما يتعلق بموقعها التفاوضي مع أوربا.

كان كتاب الرحلات يرصدون مظاهر قوة أوربا، ليتعرف السلطان وحاشيته عليها ومحاولة الاقتباس منها، لذلك دأبوا على التدقيق في وصف التنظيمات الأوربية الحديثة وفي مقدمتها التنظيمات العسكرية والتكنولوجية، بل إن إدريس الجعايدي يخبرنا في رحلته بأنه كان يسجل مشاهداته على الورق في عين المكان مخافة أن تخونه الذاكرة، وأحيانا نجده يرسم في طرة رحلته رسوما وخطاطات للمبتكرات التكنولوجية، ويعبر بالعامية عندما لا تسعفه العربية الفصحى وكأنه يقدم وصفات صالحة للتطبيق في المغرب متى تم استيعابها.

والرحالة المغاربة كانوا يدركون أهمية التقدم الذي تشهده الثقافة والسلوك والأخلاق الأوربية، لكنهم كانوا ينظرون لكل ذلك بحذر[2]، فحين نقرأ اليوم هذه الرحلات السفارية التي كتبها أدباء ومثقفون مغاربة تتبدى لنا صورة من الوعي أبان أصحابها عن دفاعهم على هويتهم الوطنية الإسلامية، وعبروا في الآن ذاته عن ضرورة الانفتاح على منجزات النهضة الأوربية، وقد تشكل هذا الوعي بداية تأسيس خطاب النهضة بالمغرب بما يعنيه ذلك من وعي بقيمة

1 – عبد النبي ذاكر، مرآة الغيرية، وأسئلة التحديث، م،س، ص: 407.

2 – إدريس هاني، أدب الرحلة وأسئلة النهضة، الرحلة من منظور التجربة المغربية، مجلة الكلمة العدد 64، السنة السادسة عشر، 2009م/1430ه، ص: 15.

الانخراط في الزمن الحاضر، وتحديث مؤسسات المجتمع والتشبث بهوية وطنية قادرة على التوفيق بين الأصالة والمعاصرة، والمادي والروحي والتقليدي والحداثي[1].

رغبة الرحالة في الاقتباس من الحضارة الغربية التي اعتبرها عنوان القوة والتطور، رافقها الخوف من أن يكون هذا الاقتباس سبب الضياع وفقد الهوية، فعبرت كتابات الرحلات من هذا الصراع، عن حيرتهم بين الموروث الأصيل والمجتلب المقتبس[2]، وقد اتخذ الصراع مقاصد اختلفت باختلاف الرحلات وتبعا للأحوال السياسية والثقافية والدينية التي أثرت في كل منهم، كذلك تتجلى في تحولات واضحة طرأت على هذا الصراع نتيجة التغيير في العلاقة بين الشرق والغرب لا سيما العلاقة السياسية، لذلك فتحت هذه الرحلات مجالا جديدا تؤكد فيه حاجة المجتمع إلى فكر إصلاحي يستفيد من مختلف عطاءات الغرب، وحاجته للإبقاء على استقلاليته.

ولا ننسى أن هذه الرحلات أبرزت لنا ضعف الأمة تقنيا وعلميا وتبرير الاستفادة من مختلف اختراعات الغرب بما يوافق مقتضيات الشرع.

كان بعض الرحالة معجبين ومنبهرين بما أنجزه الغرب في مجال التصنيع والتسليح، ووسائل التمدين، فضلا عن مظاهر النمو الاقتصادي والتجاري، وفي كثير من الأحيان كان الرحالة يدعم الإعجاب أو الانبهار بمصلحة الجماعة من جهة، وملائمة هذه المستحدثات للشرع من جهة ثانية[3]، كما كان البعض الآخر يقبل ما يلائم الشرع ويرفض ما يتعارض مع تعاليمه، وهناك موقف رافض للأخر[4]، لكن إلى أي حد يمكن اعتماد تقاييد السفراء مصدرا من مصادر الحداثة؟

تلتقي هذه الرحلات في اهتمام مؤلفيها بتسجيل ارتساماتهم عن مخترعات المدنية الجديدة، مع رصد أكثر الأنظمة العسكرية الحديثة ووصف البواخر والقطارات وأجهزة التلغراف... وانطلاقا من هذه المعطيات، قد نتساءل عن الطرق التي تناول بها السفراء المغاربة، التعبير عما وصلت إليه أوربا من تقدم؟

ما استرعى انتباه الرحالة / السفراء أكثر هو كل ما يرتبط بالمجال العسكري[5]، حيث أسهبوا في وصف مؤسسة الجيش، ومكوناتها وتنظيماتها وقوانينها وأساليب تكوين الوحدات العسكرية، وكيف لا يسهبوا في وصفها وهم الذين

---

1 – عبد الفتاح الحجمري: خطاب التحديث في رحلات سفارية، منشورات رابطة أدباء المغرب، ضمن ندوة "الأدب المغربي الحديث علامات ومقاصد"، جماعة من الباحثين، ص:184.

2 – نازك سابا يارد، الصراع الفكري والحضاري في أدب بعض الرحالات العرب، مجلة العربي، ع51، السنة التاسعة، 09.

3 – ادريس العمراوي، تحفة الملك العزيز بمملكة باريز، تقديم وتعليق زكي مبارك، مؤسسة التغليف والطباعة والنشر بطنجة، مطابع الشمال، 1989، كمثال.

4 – أبو الجمال الطاهر الفاسي، الرحلة الى الديار الانجليزية الابريزية، نموذجا.

5 – هذا المجال اهتمت به مجموعة من التآليف مثل كتاب "نزهة المجالس في علم أحكام المدافع والمهاريس"، لعبد النبي بن العباس الشديد الصنهاجي الرباطي، سنة 1850، م.خ.ح الرباط رقم 1043. وكتاب "الباز في علم المدافع والمهراز"، المؤلف مجهول، م.خ.ع. ر. رقم 3368. وكتاب "تذكرة المجالس في علم المدافع والمهاريس"، للمكي بن قصابة بن محمد الرباطي، خ.ح. ر. رقم 1043.

اكتشفوا قوتها في ساحة القتال؟ ذلك أن كتاب السفاريات أولوا اهتماما بالغا بالأمور العسكرية، فزاروا معامل صنع الأسلحة، ووصفوا بإسهاب صناعة الكرطوشات والمدافع، وعاينوا التمرينات العسكرية وأشاروا إلى أن الفن العسكري علم يكتسب بالكتابة[1]، كل هذه الاهتمامات شكلت قاسما مشتركا عند أغلب هؤلاء الرحالة مما يعكس رغبتهم في تحصيل أسباب التفوق العسكري الأوربي.

ولعل الإرتسامات التي عبر عنها الصفار على إثر مشاهدته لاستعراض عسكري بباريس خير ما يعكس الحسرة التي شعر بها، وهو يتأمل قوة الأوربيين ويقارنها بمرارة بحال عسكر بلاده "وتركوا قلوبنا تشتعل نارا لما رأينا من قوتهم وضبطهم وحزمهم... مع ضعف الإسلام وإغلال قوته واختلال أمر أهله، فما أحزمهم وما أشد استعدادهم، وما أتقن أمورهم وأضبط قوانينهم"[2].

أما العمراوي في حديثه عن تنظيمات وقوانين الجيش الفرنسي فيقول: "...أما قاعدتهم في ضبطه فقرروا أحكاما ككل جريمة تجري على فاعلها حتما، وقطعوا الطمع على أن يتولى أحد مرتبة فيه برشوة أو شفاعة... ولم يطلقوا للمتوالين اليد في العسكر بالتعدي والضرب والحيف.."[3].

وقف كذلك العمراوي مشدوها أمام محتويات دار السلاح في باريس وما تختزنه من أسلحة مرتبة ومنظمة "... وصلنا للسلاح الجديد المستعمل عندهم لأن من المكاحل ذات الحبة، وهناك من الآن المدافع والعجلات التي يحمل عليها من الأنواع ما لا يأتي عليه حصر، وهذا المحل من أعظم المحال التي رأينا عندهم وفي رؤيتها عبرة للمعتبرين وآية للمتفكرين[4].

واضح أن حالة الجيش الفرنسي بعين تستحضر في ذات الوقت وبشكل ضمني مساوئ تنظيم الجيش المغربي والفوضى السائدة في صفوفه، وما يترتب عنها، مما ينم عن رغبة دفينة في اقتباس هذه التنظيمات وإدخالها الى المغرب.

فحتى إسبانيا التي كان الكردودي واعيا تمام الوعي بتأخرها قياسا إلى باقي الدول الأوربية كانت تحاول اللحاق بالدول الأوربية الأخرى، وكأن الكردودي يتمنى لو أن المغرب حذا حذو الدولة الإسبانية "... وهذه الدولة وإن اقتفت أثر غيرها في ذلك فإنها لم تبلغ بعض البعض... ولكنها لم تهمل ذلك إهمالا كليا ولا جعلته وراء ظهرها، بل حدث في إدراكه فأدركت ما تيسر من ذلك وهم جادون فيما سلكه غيرهم من تلك المسالك..."[5].

---

1 – عبد الله العروي، الأصول الاجتماعية والثقافية للوطنية المغربية 1830–1912، ترجمة وتحقيق محمد حاتمي– محمد جادور، المركز الثقافي الغربي، ط1، 2016، ص: 217.

2 – رحلة الصفار إلى فرنسا، تحقيق سوزان ميلار، تعريب خالد بن الصغير، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1995، ص: 198.

3 – العمراوي، تحفة الملك العزيز"، المخطوطة، ص: 105– 106.

4 – العمراوي، ص 46–48، كذلك ابن سعيد، ص: 28–30.

5 – الكردودي أبو العباس، التحفة السنية، مطبوعات القصر الملكي، ص: 90.

وفي إنجلترا حضر الطاهر الفاسي استعراضا رسميا، وقف أمامه مندهشا من التفوق العسكري الذي التمس له أسباب تهوين هوله في معرض وصف مناورة حربية[1]، ولما كان إعجاب الطاهر الفاسي بنظام الجيش الأوربي، فقد أطنب في وصف ملابسه وأسلحته وآلاته الموسيقية وأسلوب حركته، ناقلا المشهد بقوله "ورأينا ترتيبا عجيبا وأسلوبا غريبا، ربما إندهش راتبه، وهال بغثة ملاقيه"[2] مضيفا "والحاصل أنهم – دمرهم الله- يستعملون أشياء تدهش، سيما من رآها فجأة، وربما اختل مزاجه من أجل ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم" كيف تحيلوا على إصلاح دنياهم، حتى أدركوا منها مناهم، واستعملوا لذلك قوانين وضوابط وفي كل ما يقربهم منها غوابط..."[3].

وانتهى الفاسي إلى خلاصة مفادها أن الإنجليز "أتعبوا أنفسهم أولا في إدراك المسائل النظريات، وكابدوا على تحصيلها حتى صارت عندهم ضروريات ولا زالوا يستنبطون بعقولهم أشياء كثيرة...؟" العقل إذن، مصدر النظام "وحسن الترتيب واستنباط الضوابط واختراع المستحدثات التقنية[4]. وكان الجعايدي أكثر الرحالين تفصيلا وتنويعا في تناول الجانب العسكري بحكم أن السفارة التي رافقها شملت أربعة أقطار"... والعجب الكبير إنما هو من إصابة الكونبرة (القنبلة) الكبرى بالمدفع الكبير السواد الذي في وسط لوحة الإشارة مع البعد بينهما وهو أننا عشر مائة متر"[5]، يظهر من إتحاف الأخيار أن الجعايدي كان كثير الاهتمام بالاطلاع على ما تصنعه المعامل البلجيكية من مدافع حديثة، خاصة المدافع الصغيرة التي يسهل على الجندي حملها، وجرها، والعمل بها بسرعة وخفة... ولعل هذا الاهتمام كان يعبر عن اهتمام المخزن بالأسلحة لذلك نجد الجعايدي يصف وصفا دقيقا كيف يريد تقديم "وصفة" صالحة للتطبيق بالمغرب[6].

من هذا الوصف يتضح أن الجعايدي يصف الحداثة العسكرية قصد اقتباسها واستيرادها حتى يتمكن منها المغرب في المستقبل، حيث نجده أكثر من سابقيه يركز على وصف مصانع الأسلحة من مدافع حديثة، وكور، وقاذفات تحت مائية لتدمير السفن، ورشاشات ومكاحل حديثة التطور...، وعلى وصف المدارس العسكرية (أو سكويلات العسكر بتعبير الجعايدي).

كل الرحلات نوهت بحسن الترتيب والانضباط والأسلحة والعتاد الذي يوجد عند العسكر الأوربي، وعكس هذا الإطراء نجد رغبة مضمرة في أن يتوفر المغرب على العناصر المفقودة فيه (الضبط، الترتيب والاستقراء، أسلحة

1 – الطاهر الفاسي، الرحلة الإبرزية، منشورات جامعة محمد الخامس، فاس 1967، ص: 18–19.

2 – ن.م، ص: 15.

3 – نفسه، ص: 19.

4 – عبد السلام حيمر، أدب الرحلة السفارية المخزنية وأثرها في انفتاح المغرب على التجارة التحديثية العالمية (النصف الثاني من القرن 19)، ضمن أعمال ندوة أدب الرحلة والتواصل الحضاري، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، سلسلة ندوات رقم 5، 1993، مطبعة فضالة، ص: 321.

5 – الجعايدي، م.س، ص: 328.

6 – عبد السلام حيمر، صورة الحداثة الأوربية في الكتابات السفارية المخزنية، مجلة مكناس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية مكناس، العدد السادس، 1992، ص: 179.

متطورة) وهذا امتداد للرسائل والفتاوى التي اتخذت موضوع الجيش محورا لها و انتقدت طريقة تشكيله على النهج القديم وطالبت بإحداث العسكر النظامي.

إلى جانب المجال العسكري الذي تأثر به الرحالة المغاربة بالنظر إلى التفوق الأوربي في هذا المجال، أثار انتباه رحالتنا مظاهر الأنظمة الديموقراطية الأوربية، حيث الدولة في أوربا ليست مجموعة أفراد وجماعات ترتبط بعلاقات شخصية مع الحاكم الذي يجسد في شخصه السلطة، بل إنها نسق من المؤسسات منظمة تنظيما قانونيا، كالمؤسسة البرلمانية التي كتب عنها الصفار معلقا "... ومن وظيفتها (أي القمرة، مجلس البرلمان) تجديد قانون مفقود أو إبقاء قانون موجود على حاله، والفرق بينهما (أي القمرتين الكبرى والصغرى) أن القمرة الكبيرة تحامي عن الملك ورؤساء الدولة، وتعضد أمرها، والصغيرة تحامي على الرعية وتنصرها وتطلب حقوقها، فكأنها خصم للأخرى... ولا يمضي قانون من قو انينهم ولا حكم من أحكامهم إلا إذا اتفق عليه أهل القمرة الصغيرة والقمرة الكبيرة، والسلطان ووزرائه، وأما أحكام النوازل والجزئيات فهي عندهم مدونة في الكتب ولا يستقل السلطان وحده بحكم من الأحكام لكن لا يمضي حكم إلا إذا أنفذ أمره..."[1].

الصفار حينما وصف النظام السياسي الفرنسي على عهد الملك "لويس فيليب" (1830-1848م) فهو يلمح إلى ضرورة تحديد صلاحيات الملك، ولا يستقيل السلطان وحده بحكم من الأحكام"[2]، كما اهتم باستعراض من شخصية المؤسسة التشريعية وقواعد عملها، واهتم بوصف الجهاز الحكومي وتحديد ميزته الإدارية الوظيفية التي مكنت علم الدولة من أن يكون فاعلا فتعرض إلى توزيع السلط على الصعيد الحكومي فالفرنسيين "رأوا أن السلطان وحده لا يستقل بأمور الرعية كلها، فأراحوه من تكلف المشقة في ذلك، و اتخذوا عدة أناس سموهم وزراء"[3].

أشار الصفار كذلك إلى التصويت، وشروط الانتخابات، منبها كلامه، بحاجة المغرب إلى الاقتداء بتجربتها، ويتجلى من ذلك أن المغاربة كانوا أكثر ميلا إلى الحضارة الأوربية في أكثر مجالاتها، فهذه الحضارة كانت تأسر سفر ائنا.

وقد ذهب الصفار في إعجابه بالتنظيمات الأوربية أبعد من كل من جاء بعده، إن سر فعالية الأنظمة الأوربية يكمن حسب الصفار في احترام الأوربيين للقو انين وترتيبهم لأمورهم ولاشك أنه كان يتأمل في أسباب قوة الأوربيين بعين المدرك لمواطن الضعف في الجسم المغربي، فقد كانوا يحرصون على العدل" إذا صدرت من أحدهم زلة –يقول

---

1 – محمد بن عبد الله الصفار الاندلسي التطواني : رحلة إلى فرنسا، ص: 133، 134، مخطوط خ.ح، الرباط رقم 113. حديث الصفار يتعلق أساسا بالنظام السياسي الذي قد إستنه "لويس فيليب" للفرنسيين بمقتضى هذه الشرعة أصبحت حرية الصحافة مضمونة.

أنظر أندري هوريو، القانون الدستوري والمؤسسات السياسية، بيروت، سنة 1984، ص: 264.

2 – سعاد الناصر، صورة الغرب في الفن الحكائي المغربي الحديث، ص: 448، نقلا عن عبد الإله بلقزيز، الخطاب الإصلاحي في المغرب...، ط 1، 1997، ص: 95.

3 – وهم– كما عرضهم الصفار بلغته وعرض اختصاصاتهم بالتفصيل، وزير الخزنة، وزير الأمور البرانية، وزير محكمة الدين والشرع، وزير المدارس، وزير التجارة والزراعة، وزير البناء والطرق والقناطر، وزير الحرب، وزير البحر، ص: 453، 454.

الصفار- أجروا عليه شريعتها سواء كان رفيعا أو ضعيفا..."[1]. وحتى العمراوي أعجب بسيادة هذا القانون "لا يقدر أحد منهم أن يقبض رشوة أو هدية أو يطمع في أن يأخذ سلعة من أحد بأنقص مما يأخذه الغير... وكل ما يعطيه غيرهم من الوظائف المخزنية من مكوس وغيرها يعطونه وليس عندهم موقر فيها"[2].

العمراوي كذلك كان معجبا بالنظام السياسي الفرنسي يقول"... ومن عوائدهم السياسية التي جرى عليها عملهم أن يجتمع في كل سنة بباريس ستمائة رجل من كل مدينة من مدنهم، وعدد معين من التجار والفلاحين وأرباب العقار..."[3]، هذا الإعجاب بالنظام البرلماني الذي كانت تتبعه فرنسا، اعتبره العمراوي مفيدا، لأن اجتماع الفرنسيين كان بدافع الحفاظ على مصالح بلادهم، وركز من جهة أخرى على الطريقة التي كانت تسير بها الشؤون العامة، ولاحظ أن الكفاءة واحترام القانون أساس تدبير الأمور في فرنسا، "فقرروا أحكاما لكل جريمة تجري على فاعلها حتما، وليست عندهم شفاعة في ذلك ولا هوى، وقطعوا الطمع عن أن يتولى أحد مرتبة فيه برشوة أو شفاعة أو قربه من هذا أو بعده، وإنما الولاية بالأهلية والمزية"[4].

الغسال هو الآخر وصف البرلمان الإنجليزي (الديوان الاجتماعي الرسمي المسمى بدار مجمع نواب الأمة) والمناقشات الجارية فيه بين مجموعتين حزبيتين واحدة موالية للحكومة والأخرى معارضة لها[5].

أما الكردودي فقد تحدث عن الإدارة الإنسانية مستحضرا في الوقت نفسه النموذج المغربي في مقارنة بين النظامين: "وكان دخولنا فيه (مدريد) صبيحة الأربعاء... ورد علينا منهم من أخبر أن ملكهم ألفونسو إحتمرته المنية... وخشينا من اضطرابهم ووقوع الفتنة بينهم فو اقانا الله مما توخيناه ولم يصدر بينهم شيء مما ضننا بل بقي أمرهم على حالة كما كان حياة سلطانهم ولم يختلف أحدهم في شيء"[6]. الكردودي هنا يدون و اقع أوربا باعتماده على أوضاع إسبانيا السياسية حيث لاحظ أن الأمور تتحرك في هذا البلد بإرادة من العرش، واستغرب لعدم وقوع أي حادث يذكر.

ولا نجازف كما يقول بعض الباحثين[7] إن اعتبرنا أن تخوف الكردودي أنه صادر عن مقارنة ضمنية بما كان يحدث في الغالب من اضطراب في المغرب مباشرة بعد وفاة السلطان ولقد فسر هدوء واستقرار الوضع بمزايا حسنات النظام السياسي المتبع في إسبانيا ومنها: "أن يكون النظر في الأمور للوزراء وليس على متولي الحكم إلا الإمضاء..."[8].

---

1 – الصفار، م.س، (مخطوط)، ص: 116.

2 – العمراوي: م، س، ص: 27.

3 – العمراوي: تحفة الملك العزيز، ط حجرية، مخطوط خ،ع، ر، تحت رقم 23440، ص: 92.

4 – نفسه: ص: 122.

5 – الحسن بن محمد الغسال، الرحلة التتويجية الى عاصمة البلاد الانجليزية، حققها وقدم لها عبد الرحيم المودن، ط1، 2003، سلسلة ارتياد الافاق، دار السويدي للنشر والتوزيع، ص:203.

6 – ابو العباس الكردودي، التحفة السنية للحضرة الحسنية بالمملكة الاسبنيولية، تحقيق عبد الوهاب بنمنصور، المطبعة الملكية 1965، ص: 43.

7 – جمال حيمر، تصورات مغربية للمدينة الأوربية...، م، س، ص: 344.

8 – الكردودي، م. س، ص: 44.

الإعجاب بالنظام السياسي الأوربي نجده كذلك في رحلة بنسعيد الذي سجل وعيا سياسيا يدل على وعي بالقضايا العامة للبلاد، ويدعو إلى مجاراة الفرنسيين وإلى الاقتداء بهم في ميادين كثيرة كالتعليم والصناعة، الفلاحة، الشؤون البحرية وغيرها، لذلك فهو يقترح إصلاحات جارية للارتقاء بالمغرب إلى مدارج الدول المتقدمة[1].

بنسعيد وجه بجرأة خطابه إلى السلطان محمد بن عبد الرحمان كي يعجل بالاستفادة من التجربة الفرنسية، عبر إرسال مجموعة من البعثات الطلابية إلى فرنسا، هذه البعثات التي ستزدهر في عهد السلطان المولى الحسن الأول فيما بعد[2].

1. التكنولوجيا في الرحلة:

بما أن رحالاتنا منتمون إلى الفئة المتعلمة والمثقفة، كان من الطبيعي أن يعنوا عناية خاصة بعلوم الغرب، لا سيما وأنهم أحسوا جميعا بأن العلوم والاختراعات الغربية من أهم أسباب التطور الحضاري والاقتصادي والاجتماعي في البلاد التي زاروها. ولكي يتسنى للمغرب أن يلحق بركاب الغرب كان عليه إذا أن يقتبس علومه، فوصف بعض الاختراعات التي كانت تخفي لدى الرحالة رغبة في تمرير بعض مظاهر الحداثة الغربية النافعة التي لا تتعارض والعقل المغربي/ الإسلامي، في جوانبها العلمية والعملية، كالمطبعة التي أدركوا فوائدها ومنافعها بالنسبة لنشر العلوم، لذلك حظيت بإعجاب الرحالة دون تحفظ، إلى درجة أن العمراوي توسل في رحلته إلى السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن بجلبها إلى المغرب "نطلب الله بوجود مولانا أمير المؤمنين- يقول العمراوي- أن يكمل محاسن مغربنا بمثل هذه المطبعة، ويجعل في ميزان حسناته هذه المنفعة"[3].

المطبعة من أعجب ما رآه الرحالون "فهناك نوع خاص يطبع لك الكتاب بأي خط شئت عربيا كان أم أعجميا مغربيا أم مشرقيا، وكيف شئت"[4]. وقد أدى ذلك إلى تدوين كل شيء عند الغرب الأوربي، ويظهر أن المطبعة لم تدخل إلى المغرب إلا بعد أربع سنوات من رحلة ابن إدريس أي في سنة 1864م[5]، وارتبط بالمطبعة والإعجاب بها، الصحف التي يكتب فيها كل شيء بحرية، إلا إذا كان سرا من الأسرار[6]، والصحف لها أهمية كبيرة عند الفرنسي "فقد يصبر على الأكل والشرب، ولا يصبر على النظر في الكازيطة"[7]. فالصفار اكتشف أن الأوربيين يتميزون بمعرفتهم للقراءة والكتابة و إقبالهم على قراءة الكتب في مختلف العلوم والصنائع وترددهم على المدارس والمعاهد، وولعهم بتتبع أخبار بلدانهم والعالم من خلال (الكوازيط) والصحف التي يطالعونها كل صباح، وتقديسهم لحرية الرأي ونشره في الصحف وتداوله

---

1 – نجاة المريني، محمد بنسعيد السلاوي وسفارته إلى فرنسا، جامعة مولاي علي الشريف الخريفية، ضمن ندوة "السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان"، الدورة السادسة، ص: 40.

2 – ن. م، ص: 41.

3 – العمراوي: تحفة الملك العزيز...، فاس 1989، ص: 54–55.

4 – الصفار: م. س، مخطوطة، ص: 128.

5 – مجلة المشروع، عدد 9، سنة 1988، "لماذا القرن 19"، ص: 73. وللمزيد حول "ظهور المطبعة"، يمكن الرجوع إلى جرمان عياش، دراسات في تاريخ المغرب، تعريب خلوق التمسماني ومحمد الأمين البزاز، الدار البيضاء.

6 – الصفار، م. س، مخطوطة، ص: 77.

7 – نفسه، ص:80.

من طرف الرأي العام، الأمر هنا حسب عبد اللطيف حسني يبدوا إلى حد ما متجاوز لنطاق الوصف إلى نطاق إبداء نوع من الإعجاب بالحريات السياسية التي كانت آنذاك آخذة في السيادة في المجتمع الفرنسي والتي ليست حرية الرأي سوى مظهر من مظاهرها[1].

العمراوي لم يكن أقل تعجبا من سابقيه، فقد استحسن الصحافة وعرف قدرها في نقل أخبار العالم "ومما يستعينون به على أمور الصحافة التي يسمونها الكازيطات ويسمونها أيضا الجرنالات، وكيفيتها أن لهم داريكتبون فيها أخبار ما يقع في العالم كله بحسب ما يروج سماعه من حروب ومهادنات... وكل من تأمل ما ذكرناه من حالها وموضوعها يستحسنها ويعرف قدر نفعها..."[2].

ولعل ما استرعى اهتمام العمراوي أكثر واعتبره أداة لمعرفة ما يجري في العالم وبسرعة مذهلة اختراعهم للتلغراف "رئيس ذلك المحل أخبرنا أنهم في أربع دقائق يكتسبون أخبار كثير من الأقاليم من بر العجم وإسطنبول والهند ومصر وتونس والجزائر والماركان والنجليز وغير ذلك حتى كأنهم حاضرون فيها"[3]. بل رأى في هذا الاختراع دلالة واضحة على تقدم أوربا التي وصلت الغاية، معبرا عن اندهاشه من هذه الآلة بقوله: "وهذه الآلة مما يذهل ذهن العاقل، ويسرب فيها السامع والناقل، وكلما أمعنت النظر فيها، لم أجد عبارة تشتمل على حقيقتها وتستوفيها"[4].

ويبدوا أن محمد الطاهر الفاسي، وقف موقف الإنسان المندهل الحائر أمام أوربا وقوتها الفائقة، تلك القوة التي لمس أسسها في التكنولوجيا، فهو يتحدث عن التلغراف، معبرا عن قصوره في وصفه واستيعاب كيفية عمله بالرغم من حضوره إحدى عمليات استخدامه في عين المكان، "والحاصل أن هناك محلا عظيما متسعا، مشتملا على آلة في باطنها أسباب ومسببات غائبة عن الحس، وهي مما يدق وصفها ويصعب ذكرها..."[5]. أما الصفار فقد وضع رسما توضيحيا للتلغراف، مرافق للتفاصيل المتعلقة باستخدامه، هذه الرسومات لها دلالات تهدف إلى تبليغ أفكار الرحالة إلى المتلقي من خلال مشاهداتهم وانبهارهم بالحضارة الجديدة التي شاهدوها ودونوها ودونوا الشيء الكثير عنها، وأظهر في الوقت ذاته إعجابه واستغرابه بصيغة المبالغة[6].

في حين لم يكن الصفار أقل انبهار من الرحالة الآخرين أمام التلغراف، "ومن أعجب ما رأيناه في هذا المحل (باريس) وأغربه، حركة يصل بها الخبر من محل إلى محل في لحظة وإن كان بعيدا..."[7]. التلغراف أشاد بأهميته في

---

1 – عبد اللطيف حسني، تصورات مغربية للعلاقات الدولية خلال القرن 19م، مجلة أبحاث العدد الثامن السنة الثانية، خريف 1985، ص: 17.

2 – العمراوي، تحفة الملك العزيز، تقديم وتعليق زكي مبارك، ص: 97، 98، 99.

3 – نفسه، ص: 80 وما بعدها.

4 – العمراوي: م.س.، ص: 84–86.

5 – الفاسي: الرحلة الابريزية، (الطبعة المحققة)، ص: 36–37.

6 – الصفار، م. س، ص: 124.

7 – نفسه، ص: 122.

التواصل الحجوي حيث يقول: "فغير خفي على من أمعن النظر فيه أنها إشارات ورموز اصطلاحية مأمونة من الغلط غالبا، وهي نوعين: عمومي ورسمي"[1].

اندهاش الصفار تجلى في معاينته لنظام مواصلات جديد لا عهد له به وهو السكة الحديد (بابور البر) "فبابور النار" شكل لرحالة القرن 19م بشكل عام معبرا لحداثة ذات وجه متوهج، قوي متسارع، منتظم فما كان منهم إلا أن انبهروا أمام هذا الاختراع الذي بدا لهم وكأن ليس وراءه وراء، فالصفار وصفه بتفصيل "وبيان صفة طرق الحديد وكيفية المشي عليها إنهم عمدوا إلى الطريق أولا، فأسسوها وسووها، ثم مدوا في عرضها قطعا من الخشب غليظة ثم مدوا فوق هذه القطع... سبائك من الحديد... ثم صنعوا بابور صغيرا، ليس على شكل بابور البحر... ثم صنعوا أكداشا... وجعلوا لها نواعر... وربطوا هذه الأكداش بعضها ببعض"[2]، يجسد لنا الصفار هنا ما بلغه العقل الأوربي في مدارج المخترعات.

أما العمراوي فقد بلغت الدهشة به مبلغا، كما هو واضح من شهادته "طريق الحديد المبتدعة عندهم وهي من عجائب الدنيا التي أظهرها الله في هذا الوقت على أيديهم تحير فيها الأذهان"[3]، العمراوي خصص أربع صفحات من رحلته لبابور البر الذي هو "...بيت صغير (القاطرة) من نحاس، عرضه نحو الثمانية أمتر وطوله مثل ذلك، فيذهب ذلك البيت ماشيا بقوة وتربط به بيوت على قدره"[4] مضيفا "وأما الطريق الذي يسير فيها القطار، فقد أصلحوها بقوة كبيرة فإذا عارضهم جبل خرقوه وإذا عارضهم واد جعلوا عليه جسرا، وإذا عارضهم محل منحدر ردموه بالحجارة وبنوا جانبيه بالبناء المتقن"[5].

نفس الاندهاش نجده عند كل من الجعايدي والكردودي، فهذا الأخير شبه سرعة البابور بسرعة الريح "وهو يمر كالريح العاصفة"[6]، أما الجعايدي فقد ركز إضافة إلى السرعة، على المتعة والراحة اللتين يشعر بهما المستعمل للبابور في سفره "فجلس كل واحد منا في محل يناسب مرتبته، ويلائم مقداره ومنزلته، ثم أخذ البابور في السير بلا

---

1 – الحجوي كذلك لم يخف في رحلته الأوربية التي قام بها إلى فرنسا وإنجلترا في 1919، إعجابه بأهمية التلفون في المواصلة، عندما كان نزيلا في فندق "كراب أوتيل" بباريس، حيث يقول "كل بيت للنوم فيه التلفون تتكلم فيه مع الإدارة الصغرى في الطبقات، وخيط آخر تتكلم فيه مع الإدارة العامة في باب الأوتيل، وتتكلم من تشاء داخل باريز وخارجها وأنت على فراش نومك".

أنظر آسية بنعدادة، "الفقهاء والتقنيات الحديثة في مطلع القرن العشرين"، ضمن ندوة إنتقال الأفكار والتقنيات في المغرب والعالم المتوسطي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ندوات ومناظرات رقم 160، الرباط 2008، ص: 49.

2 – الصفار، م، س.

3 – العمراوي، م، س (محققة)، ص: 13.

4 – ن. م، ص: 44.

5 – ن. م، ص: 45.

6 – الكردودي، التحفة، ص: 40.

مشقة... وامتدت السكة على هذا المنهاج الذي فيه غاية السرور والابتهاج من البداية إلى النهاية بما فيه من المصالح فوق الكفاية"[1].

بينما الطاهر الفاسي في رحلته الإبريزية إلى الديار الإنجليزية حاول النفاذ إلى أصل الاختراع (بابور البر)، فجعل إحداثه مقرونا بشيطنة طفل صغير يلعب بناعورة من ورق، موصولة بجعبة، في فم بقرج يغلي على النار، فجعلت تدور بقوة البخار، فتم تقليد فعله من قبل رجل أدرك بعقله "الظلماني" سر قوة البخار "لأن العقل على قسمين ظلماني ونوراني، فالظلماني يدركون به هذه الأشياء الظلمانية، ويزيدهم ذلك توغلا في كفرهم والنوراني يدرك به المسلم المسائل المعنوية، كالإيمان بالله وبملائكته ورسله وكل ما يقرب من رضى الله ومن هذا الباب وصفهم الله في غير ما آية بعدم العقل وبعدم التفكر، وبعدم الفقه"[2].

أما الغسال فقد ملأت الحيرة عقله من انتظام "بابور البر" وسرعته وإسهامه في الرواج والرخاء "ركبنا إحدى حافلة بابور البر ثم قفل بنا مسرعا إسراعا لا يتمكن الإنسان معه من النظر إلى الأشياء القريبة على حقيقتها لأنه يقطع ثمانين ميلا في الساعة الواحدة[3].

الرحالة المغاربة لم يكتفوا بتلك التقنيات فقط بل استرسلوا في وصف القناطر "ومررنا- يقول الصفار- على أزيد من مائتي قنطرة منها ما نمشي فوقها ومنها ما نمر تحتها وكلها متقنة البناء بالحجارة المنحوتة". الصفار باستحضاره لهذه العناصر فهو يستحضر غيابها الشبه كلي في المغرب. الجسور والطرق نالت النصيب الأوفر من الوصف والإعجاب باعتبار أهميتها في تسهيل المواصلات والتبادل التجاري[4]. كما وقفوا على الموانئ والمراسي كميناء مرسيليا الذي كانت له مكانة مميزة في المبادلات المتوسطية خلال القرن 19م[5]، وتطرقوا كذلك للمجال الزراعي، وقارنوها بما يوجد في بلاد المغرب[6]، حيث أن الفلاحة أصبحت ممكنة بفضل الأساليب العلمية والتقنية على إنتاج الخضر والفواكه حتى في غير إبانها مما يجعلها حاضرة في الأسواق طيلة السنة.

ومن شدة إعجابهم بالمدينة الأوربية وصف السفراء وأشادوا بالمرح، وعددوا مزاياه وفضائله، وسردوا صيغ الفرجة الهادفة التي يتيحها[7]، فالصفار استوقفه التياترو الذي يحضره الأكابر وأهل المروءة، وذلك يحدث راحة في القلب، والبدن يعينه على العمل مجددا "ومن محال فرجاتهم المحال المسماة بالتياترو، وتسمى الكوميدية، وتسمى

1 – الجعايدي، إتحاف الأخيار بغرائب الأخبار، حققها وقدم لها عز المغرب معنينو، ضمن سلسلة ارتياد الافاق، 2004، دار السويدي للنشر والتوزيع، ص: 162–163.

2 – أبو الجمال الطاهر الفاسي، الرحلة الإبرزية، (1967)، م. س، ص: 28.

3– الغسال: الرحلة التتويجية، (مخطوط) ص: 9.

4– أنظر حول ذلك الطاهر الفاسي، م. س، ص: 14، العمراوي، م. س، ص: 33–34، الجعايدي م،س، ص: 74، 154،155، 192، الصفار، م، س، ص: 57–59.

5– أنظر العمراوي، التحفة، ص: 43، أنظر كذلك الغسال، الذي وصف مرسى لندن، ص: 31 (تقييد الرحلة التتويجية).

6 – الصفار، ص: 34.

7 – عبد النبي ذاكر، باريز في رحلة الصفار 1845– 1846، العلم 10 يناير 1993، ص: 4.

الأوبرة، وهو محل يلعب فيه بمستغربات اللعب ومضحكاته وحكاية ما وقع من حرب أو نادرة "أو نحو ذلك، فهو جد في صورة هزل، لأنه قد يكون في ذلك اللعب اعتبار أو تأديب أو أعجوبة أو قضية مخصوصة، ويكتسبون من ذلك علوما جمة"[1].

ونجد الغسال بدوره أميل إلى فرجة السيرك، فأفاض في الحديث عن "الطيطر" أو "الطيطروس" لأنه يفضح غربة اللسان والجنان"[2].

لم يلتفت رحالاتنا إلى الفارق بين الشرق والغرب في النظم السياسية والتقنية والعسكرية فحسب و إنما لاحظوا الاختلاف بين الإنسان الغربي والإنسان المغربي أو المسلم، بين المجتمع الغربي ومجتمعهم.

وفي المقارنة بين المجتمعين المغربي والأوربي كان لا بد أن يلفت نظر الرحالة الاختلاف بين المرأة الأوربية والمرأة المسلمة، وقد كان الفرق بينهما شاسعا في القرن التاسع عشر، فلاحظ الصفار تطور المرأة الفرنسية التي كانت تجسد التطور الذي كانت تمر به المرأة الأوربية آنذاك، يقول "ولا يجلس إلا النساء" أي أثناء الحفلات "وكلهن مزينات بأحسن زينتهن لابسات أفخر ثيابهن وحد الستر في لباسهن التديان فهما مستوران، وما فوقهما من الصدر والظهر والرقبة مكشوف بادي ويستر بعض العضد إلى نصف الساعد بأكمام ضيقة على قدر العضد، فهو لا يبلغ المرفق ويحزم على الخصر تحت ذلك الثوب بحزام ضيق لرقة خصورهن، قيل أنهن يربينه كذلك من حين الصغر..."[3].

هذا الموقف المتقدم للصفار يتعارض مع موقف العمراوي الذي قبح حرية النساء المفرطة، لما فيه من تفسخ: "ويكفي في تقبيح سيرتهم وحديث سريرتهم غلبة النساء وجريهن مطلقات الأعنة في ميادين الفجور والفواحش من غير أن يقدر أحد على منعهن مما يردنه من ذلك ولا تعنيفهن... فقد بلغنا أن جلهن يتعاطين الفواحش، والغيرة في أزواجهن نادرة جدا... وقد ذكر لنا أن لباريز ثلاثين ألف عاهر كلهن بأيديهن ورقات من المخزن بالإذن في ذلك، ولهن ترتيب في تعاطيه، وهذا العدد دون الغير المشتهرات به"[4].

إذن نجد العمراوي لا يجد في الحرية التي أضحت السيدة الأوربية متمتعة بها إلا نوعا من الفساد الأخلاقي، وهذا يعني أن الإعجاب ببعض المظاهر الحضارية الأوربية لم يكن يعني أن الرحالين المغاربة تقبلوا هذه الحضارة بكاملها أو دون تحفظ، فالبعض كالعمراوي لم يستحسن حرية المرأة بل انتقدها[5].

أما على مستوى العمران فالصفار أبدى إعجابه بمظاهر المدينة الأوربية يقول "واعلم أن هؤلاء ليس عندهم في مساكنهم إخصاص ولا خيم ولا نواويل، و إنما يعرفون البناء لا غير، إلا أن بناء البوادي متميز عن بناء الحواضر، فقراهم في الحقيقة من جملة المدن، يوجد فيها ما يوجد في الحاضرة من الأسواق، وما يباع فيها وغير ذلك، وقد رأينا

1 – رحلة الصفار، تحقيق سوزان ميلار، م. س، ص: 125.

2 – الحسن بن محمد الغسال، الرحلة التتويجية لعاصمة البلاد الإنجليزية، م، س، ع، ر، ورقة رقم: 21 و24.

3 – الصفار: م، س.

4 – العمراوي، تحفة الملك العزيز، تقديم وتعليق زكي مبارك، مؤسسة التغليف والطباعة والنشر والتوزيع للشمال، طنجة 1989، ص: 93،94.

5 – الصفار، رحلة إلى فرنسا.

في طريقنا هذا ما يشهد شهادة حق لأهل هذه البلاد بالاعتناء التام والتبصر العام بأمور دنياهم وإصلاح معاشهم و إتقان تدبيرهم".

الصفار كشاهد يكشف لنا عن خصائص العمران الأوربي الذي يتسم بالتبصر العام وبالاعتناء الكلي.

أما العمراوي فقد وصف التحولات الكبرى في المجتمع الأوربي، ففي وصفه يتبين لنا اندهاشه من الحضارة الفرنسية وأسباب التقدم فيها، فحديثه بدأه بوصف المدن الحديثة والأساسات التي تميز حضارتها سواء الطرق أو الحدائق أو البنى التحتية أو غيرها، يقول "وقد داروا بنا في ذلك الجنان على كبره ونحن نمشي على أكثر من ثلاثين محلا من هذه المياه، كل محل في نوع"[1].

عبر الرحالة كذلك عن صورة إيجابية للتقدم الأوربي المستمر في الصناعة التي تستعمل أعقد الآلات المتحركة، بالطاقة البخارية وتنتج السلع الجيدة وتشغل آلاف العمال وعشرات المهندسين، في جميع القطاعات الصناعية، فالجعايدي أولى اهتماما كبيرا لهذه الصناعة، فكان يدون كل ما يراه ويدعم وصفه بالرسم، لذلك جاءت رحلته مليئة بالمعلومات الكثيرة والمتنوعة عن صناعة وصناع أوربا، حيث تطرق إلى كيفية صنع السكر، وتحدث عن دار السكة يقول: "فر أينا العجب العجاب ما يتحير فيه الدهاة... حتى يتم القالب"[2]، كما انبهر بصناعة بلجيكا المتطورة "ركبنا إلى دار اشتملت على اثني عشرة فابريكة"[3].

الجعايدي كان تركيزه كبيرا على عظمة صناعة بلجيكا وأروبا عامة، أما الغسال فقد دهش من عمل الحركات الميكانيكية للمصانع في تسيير عملية الإنتاج و إتقانها "والعجب من الآلات التي تدخل في جوف المدفع لتشريطه تشريطا متقنا... وأما معمل مفراغ الكور فإن تخليطة الهند والحديد المذاب ينزلان كالماء من عنبوب... ومباشرة ذلك كله بآلة ومكينات عجيبة"[4].

وأسهب الجعايدي في وصف الحركات الآلية في المصانع لأنه زار عددا منها في بلجيكا وفرنسا و إنجلترا وأشار باستمرار إلى دور المكينة في عمليات التركيب والنقل والإنتاج بصفة عامة"[5].

بينما الصفار وهو يطوف بالمعامل (الفابريكات) بمدينة ليون يقول: "وبها كثير من الديار الصنائع التي يسمونها الفبركات..."[6]، وصاحب الرحلة الأبريزية إلى الديار الإنجليزية يقول عن هذه المستحدثات "والحاصل أنهم – دمرهم الله - يستعملون أشياء تدهش سيما من رآها فجأة... والله يحفظ بيضة الإسلام ويحميها من كل مكروه..."[7]، وهكذا يمتزج الإعجاب لدى هذا الرحالة بما أسفرت عنه المدنية الغربية الحديثة، بنوع من تعزية الذات، ذلك أن

1 – العمراوي: م،س، ص:87–88.

2 – الجعايدي: "إتحاف..."، تحقيق، عز العرب معنينو، ص: 158.

3 – نفسه، ص: 218–219.

4 – الغسال، الرحلة التتويجية، م، س، ص: 206.

5 – الجعايدي: م.س، ص: 225–227–250–251.

6 – الصفار، م، س، ورقة رقم: 44.

7 – أبو الجمال الطاهر الفاسي، الرحلة الأبريزية، م،س، تحقيق محمد الفاسي، ص: 33–34.

المدينة الناشئة لا تعدوا في نهاية المطاف لديه سوى زخرف ومظاهر لا غير[1]، أعجب الرحالة كذلك بالجانب المالي لدى الأوربيين[2]، وكذلك علاقة التجاربالسلطة التي أثارت إعجابهم، كما هو الشأن عند العمراوي الذي وصف هذه العلاقة بكل تفاصيلها ولعله كان يريد تقريب صورتها لقر ائه من رجالات المخزن فلربما اقتنعوا بانتحالها و اقتباسها من جهة أخرى، ومما يرجح هذا الاحتمال قوله "ومثال بعض أمورهم مع المخزن في ذلك أنهم إذا أرادوا إصلاح طريق وعرة في جبل أو شبه ذلك، فإنه يتصدى لها تاجرا أو تاجران، ويطلب من المخزن الإذن فيه بأن يقول إني أردت إصلاح الطريق التي بين البلد الفلاني والبلد الفلاني...".

لقد كان نظر المغاربة لما وصل إليه الأوربي من تقدم في شتى الميادين يخضع لنظر ديني من خلال ملتهم، فالكردودي يقول "أن المغرور من اغتر بزخرفهم"[3]. أما الفاسي فقد أرجع ذلك إلى العقل الظلماني "ومن هذا الباب وصفهم الله في غير ما آية بعدم العقل وبعدم التفكير، وبعدم الفقه"[4]. أم الصفار فالأوربيون عنده "حتى لو حسنت دنياهم واعترف برقيهم فإنهم فاجرون في دينهم"[5].

أما العمراوي فلم يرى في إتقان المخترعات الأوربية وفعاليتها التي وقف أمامها مذهولا إلا علامة على انحدارهم الذي هو وشيك الوقوع[6]، وهذا التبرير جاهز منذ زمن بعيد على حد تعبير العروي[7].

إن الرحالة اعتبروا مشاهد التقدم التي عاينوها من قبل إمهال الله للكفار وبرهانا منه على قدرته على إبداء الأمور عكس ما ينبغي أن تكون[8].

2. محاولة الاقتباس من الشرق:

إذا كانت نصوص الرحلات التكليفية إلى أوربا تمثل مصدرا أساسيا لمعرفة تصورات النخبة المثقفة عن أوربا ومدنيتها، فإن نصوص الرحلات الحجية تضيف رصيدا من الانطباعات والآراء والمو اقف بشأن الموضوع نفسه.

1 – الطاهر الفاسي، م، س، ص: 34.

2 – أنظر الصفار، م، س، ص: 29.

3 – الكردودي مرجع سابق ص: 92.

4 – الفاسي: م، س، ص: 28.

5 – عبد النبي ذاكر: "باريز في رحلة الصفار"، م. س، ص: 4.

6 – العمراوي، م، س (المخطوطة) ص: 61–62.

7 – العروي عبد الله، الإيديولوجية العربية المعاصرة، دار الحقيقة، بيروت 1970، ص: 45.

8 – الجابري: تطور الأنتلجنسيا المغربية الأصالة والتحديث، ص: 15–16.

فالمغرب لم يكن يعرف التحديث الذي وصلت إليه أوربا فقط، فالظاهر أنه كان ملما أيضا بتجربة تحديثية أخرى وقعت هذه المرة في "دار الإسلام" بمصر، لا تقودها البورجوازية، بل تقودها الدولة، وهي التجربة التي نقل صورتها العامة إلى الأوساط المخزنية الكاتب أبو العلاء إدريس في كتابه "الابتسام عن دولة ابن هشام"[1].

فما الصورة التي نقلتها الرحلات الحجازية عن خيار التحديث بدار الإسلام؟

من الكتاب الذين عكست كتاباتهم فهما واستيعابا لمظاهر التقدم التقني نذكر الوريكي محمد العمري الغيغائي (1818م) الذي قدم بعض المعلومات حول سياسة محمد علي النهضوية في مصر وبعض أعماله العسكرية "إذ ما ترك صنعة ولا حرفة ولا حكمة مندرسة من مصر إلا ردها وواصلها إليه من كل نوع، ومن كل جنس فمهد الله له الأرض والبلاد، وسخر له خلقه من العباد حتى أقام بجميع الصنائع من الروم والهند، والسودان والترك وغيرهم من العجم، وزاد على ذلك حتى أظهر العجائب وخلق لولده من الأموال والذخائر ومن كل الغرائب"[2]، وقد دون في رحلته ارتسامات هامة حول الباخرة والقطار، والتلغراف يقول عن التلغراف: "وهو أحدثه الروم هذا العهد ولحدوثه نحو خمسة أعوام بجلب الأخبار بالكتابة وصفته سلك مصنوع من حديد"[3] ومطبعة بولاق، والمطبعة الكبرى هي ببولاق والأخرى بمصر وبنو لها دار مشيدة محصنة ودارت بها بيوت مصنوعة من العود والزجاج... وهي مطبعة واحدة من ثلاثين حرفا[4]، والكتبخانة[5]. بدا صاحب الابتسام الذي كان متحمسا للحداثة الاقتصادية والصناعية المصرية وكأنه يبشر بذلك رجالات المخزن بما يجب أن يعملوه في المغرب في سبيل تحديث الدولة المخزنية وتقويتها.

فصاحب الابتسام يخبرنا باستقدام محمد علي المهندسين والفنيين الأوربيين "فيأتونه ويكرمهم ويجري عليهم المؤونة الكافية ويعدهم بالعطاء الجزيل، ويجلس معهم الولدان الصغار يتعلمون منهم الصنعة حتى تحصل فيهم الملكة، ويتعلمون الصنعة بجميع تفاصيلها، فإذا تعلمت الولدان أعطى النصارى ما وعدهم به، وأبقى الصنعة في يد المسلمين...". كما أخبرنا عن صناعة السفن[6]، والموانئ والأبراج، وإنشاء جيش النظام، وغيرها.

---

1 – الابتسام عن دولة ابن هشام: أو "ديوان العبر في أخبار القرن الثالث عشر" م.خ.ح رقم 1249، لا نعرف عن مؤلفه إلا أنه يكنى بأبي العلاء ويسمى بإدريس، وأنه كان كاتب للسلطان عبد الرحمان بن هشام، ويعمل تحت إشراف الوزير محمد بن إدريس العمراوي.

2 – رحلة الغيغائي، ص: 205–206.

3 – رحلة الغيغائي، ص: 101.

4 – ن م، ص:148.

5 – أنظر خلوق التمسماني، في العلم الثقافي، 19 مارس 1983.

6 – عن دور السفن في اختصار المسافة يرجع إلى:

- العلمي، رحلة حجازية، م.خ.ع. ر، رقم ك 1012، ضمن مجموع، ص: 238–239.
- العلوي الشاكري، رحلة م، خ، ح، ر، رقم 11509، ورقة 3 أ، ورقة 4 أ.
- العمراني السرغيني، م، خ.ع، ر، رقم 1012، ضمن مجموع، ص: 152– 155.

من خلال هذا الكتاب يمكن القول بأن المخزن كان على معرفة بالتجربة التحديثية في مصر، خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ميلادي، وما كتبه كذلك الغيغائي عن بعض المستجدات ترك لديه انطباعا إنبهاريا، يقول وهو يتحدث عن البابور: "وما بلغنا عند ركوبه من عجائب قدرة الله تعالى و آية من آثار صنعته تعالى... وقرب بهذا البابور بين مشارق الأرض ومغاربها يطير بالأخبار كالسهم فصارت الأخبار ترد التجار والأمراء والأكابر من أقصى البلدان"[1].

وعن هذا الانطباع الإنبهاري تحدث كذلك الشيخ علي الألغي، إذ خصص حيزا مهما من رحلته الحجازية لإبراز دور السفن التجارية في تيسير الحج وتفادي المخاطر[2]، إضافة إلى السفن نال بابور البر "القطار" كذلك اهتماما و انبهارا أكبر لتقليصه الزمن فهو قريب العهد بهذا القطر أي "مصر" من نحو ثلاثة أعوام، وقد أحدثه الروم عندهم، وشاع في بلدهم، ولم يصل هنا "المغرب" إلى هذا العهد[3].

نفس الانبهار نجده عند رحالة آخر يقول السبعي "ومن عجائب هذا المركب أنك لا ترى الأشياء أمامه في نظر العين إلا مقبلة إليه"[4].

الغيغائي عبر كذلك عن انبهاره، وإعجابه بما عاينه في مدينة الإسكندرية أيام حكم محمد علي لما أقامه فيها من عمران وصنائع مقتبسة من الأوربيين ومن لم يرى هذا المرسى في زمن الباشا المذكور، لم يرى الصنائع ولا البدائع وعجائب الدنيا كلها"[5].

إن المعلومات التي يقدمها الغيغائي عن مصر خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، تعبر ضمنيا عن الحركة التحديثية التي باشرها محمد علي باشا وحلفاؤه، والتي كانت تسعى إلى "أن يجعلوا من مصر قوة مبنية على أسس حداثية، وهذا ما يفسر وقوف الغيغائي على العديد من الإنجازات"[6].

---

1 – محمد الغيغائي الوريكي، رحلة حجازية، م، خ،ح، ر، (مصورة)، رقم. 10948، ص: 79–80. أنظر ترجمته عند المراكشي، الأعلام، ج1، الرباط 1974، ص:141.

– محمد المنوني: مثقف من البادية يعرف المدينة المغربية بواقع أوربا والمسلمين في القرن 19، ضمن أعمال ندوة تطور العلاقات بين البوادي والمدن في المغرب العربي: "منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط 1988، ص: 45.

2 – المختار السوسي: "أصفى الموارد في تهذيب تنظيم الرحلة الحجازية للشيخ الوالد، مطبعة النجاح، الدار البيضاء 1960، ص: 28–38.

3 – الغيغائي: م، س، ص: 103–105.

4 – أحمد السبعي، رحلة حجازية: م، خ، ع، رقم الكتاب 2908، ص: 37.

5 – الغيغائي: م، س، ص: 92.ظظ

6 – مصطفى الغاشي: "مغربي في مصر خلال القرن التاسع عشر رحلة الغيغائي"، ضمن ندوة السفر في العالم المغربي الإسلامي، التواصل والحداثة، منشورات كلية آ.ع.إ الرباط، سلسلة ندوات ومحاضرات رقم 108، ص: 113.

أشار الغيغائي إلى المراسي والموانئ[1]، والقناطر[2]، وغيرها من المنشئات لذلك اعتبره محمد المنوني المغربي الأول الذي نشر بالمغرب في ق 19م، وصف تقنيات حديثة: الباخرة، التلغراف والقطار، والمطبعة وسواها، كما أن الرحالة في طليعة المؤلفين الذين عرفوا بواقع المسلمين إزاء تفوق أوربا في القرن ذاته عندما قام برحلته الثانية (1858/1274م)[3].

لتكون الرحلة الغيغائية قدمت للمغرب تعريفا بجملة من المنجزات التقنية لأوربا، ثم انعكاس ذلك على واقع المسلمين في القرن التاسع عشر، وهو ما يلخصه الرحالة "وحاصل الأمر وغايته ونهايته أن النصارى – لعن الله دينهم - وأذل حزبهم، تفوقوا على المسلمين، وذلت كلمة الإسلام في كل الأمور، وعلت همة الكفر وخمدت همة الأمة المحمدية"[4].

أما أبي العلاء إدريس فقد وصف مختلف الإجراءات الإصلاحية التي نفذها محمد علي، كبناء الجسور والقناطر وفتح الخلجان لمرور المراكب وتشييد دار الصناعة (الترسانة) تثبيت الأمن ... تنظيم الدواوين... وغيرها مبديا استحسانه لهذه الإجراءات التي أقيمت في بلاد الإسلام[5].

إشارة أبي العلاء إدريس لهذه الإصلاحات كانت بهدف أن يقوم المغرب بنفس الخطوة، خاصة و أنه أظهر رغبة في إحداث جسر على نهر أم الربيع لتسهيل التنقل بعدما شاهد حياة السلطان عبد الرحمان ابن هشام تعرضت للخطر وهو يجتاز هذا الوادي على مركب صغير[6].

إن الصورة يقول عبد السلام حيمر التي رسمها صاحب كتاب الابتسام لتجربة محمد علي هي صورة الدولة الراغبة في التحديث التي وجدت نفسها مضطرة لاحتكار الإنتاج الاقتصادي ومبادلته بسبب غياب الطبقة البورجوازية الرائدة[7].

أبو العلاء إدريس بنقله تجربة محمد علي على المستوى الفلاحي والصناعي واستيراد لبعض المنتجات (كزريعة القطن الهندي، وشجر التوت...) والآلات والتقنيات الصناعية الحديثة من أوربا، واستعانته بالخبرة الفنية للأوربيين، بوصفه كل ذلك فهو يحرص على تعريف المخزن المغربي بأهم مفاصل التجربة التحديثية المصرية، فصاحب الابتسام

---

1 – مثل مرسى محمد علي، ومرسى الإسكندرية، أنظر الغيغائي ص: 81–90–91–92–93.

2 – ن، م ص: 105.

3 – محمد المنوني: مثقف من البادية يعرف المدينة المغربية بواقع أوربا والمسلمين في ق 19م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ندوات ومناظرات رقم 10، ضمن ندوة تطور العلاقات بين البوادي والمدن في المغرب، ص: 45.

4 – محمد المنوني: ن، م، ص: 49.

5 – أبو العلاء إدريس، "الابتسام"، م. س، ص: 55.

6 – نفسه، ص: 106.

7 – عبد السلام حيمر، أدب الرحلة السفارية المخزنية وأثرها في إنفتاح المغرب على التجارة التحديثية العالمية (النصف الثاني من القرن 19)، ضمن أعمال ندوة أدب الرحلة والتواصل الحضاري، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، سلسلة ندوات رقم 5، 1993، مطبعة فضالة، ص: 330.

كان متحمسا لهذه الحداثة وكأنه يبشر بذلك رجالات المخزن بما يجب أن يعملوه في المغرب في سبيل تحديث الدولة المخزنية وتقويتها[1]، إثارته لمنجزات محمد علي وتفصيله لما قام به وتأكيده على اقتدائه بالنهج الأوربي، يؤكد ما قلناه برغبته في اقتداء المغرب بذلك النهج، فأشار إلى صناعة الألبسة "أحدث في مصر بما لم يكن فيها من صنائع الثياب عل اختلاف أشكالها تقليدا للإفرنج"[2] وتحدث عن صناعة البارود"... كمثل بارود الإفرنج و اتخذ له دورا ومطابيح يصنع فيها ووضع له الحركات التي يقوم بها عند الإفرنج"[3]. أما عن السكر فيقول "وضع مطابيح... وجعل تصنيعه على الشكل الإفرنجي في بياضه وصمته"[4].

المؤلف لمس حس التدبير وفعالية الأدوات، ومردودية الإنتاج التي شاهدها في المصانع "و أنزل فيها (مصنع الثياب) النواعير والآلات الإفرنجية والدواليب وبعث للمعلمين فجاؤوه من بلدهم، ووضعوا له دواليب ونواعير تدور بمحرك واحد، فإن رأيتها مصطفة هذا قدام هذا حسبت أن كل واحد منها يدور وحده بسبب يحركه وليس كذلك بل يدورها مدور واحد ولو كانت مائة ناعورة... فيوجد في الشهر آلاف متألفة (من الثياب) بسبب هذه الحركات الإفرنجية التي وضعها له الإفرنج"[5].

لقد هيمنت النظرة العجائبية على نصوص الرحلات الحجية كما كان الشأن في نصوص الرحلات التكليفية بحكم عدم مألوفية ما شوهد في الحالتين معا، ونجد لدى العلوي الشاكري، وصف لمجموعة من التنظيمات والمستحدثات التي رآها أثناء توقفه بجبل طارق "... وأمعنت النظر غاية وجعلت أبحث عن كيفية ابتدائه و انتقاله ووزنه وتجزيئه على البلاد كلها، وذلك من أغرب الغرائب و أبدع العجائب"[6].

لقد أملت ظروف الحج الرحالة على الاحتكاك ولو بشكل سريع بالأوربيين والاطلاع على بعض مستحدثاتهم وتنظيماتهم فدونوا مشاهداتهم و انطباعاتهم عنها، كما أن الوجود الأوربي الكثيف في بعض مناطق العالم العربي التي عبروها إستفزهم بقوة، وجعلهم يعبرون عن قلقهم إزاء المد الاستعماري الأوربي، حيث اعتبر الرحالة المغاربة أن دخول المخترعات إلى "دار الإسلام" مقترن بدخول الأوربي معها لمعرفتهم بها ومباشرتهم لها، فالغيغائي سجل تحكم النصارى في كل دواليب الإدارة والمرافق بمصر، ومن ذلك "أنهم القائمون بالسلك (التلغراف) الآتي بالأخبار من كل الأقطار وهم المستخرجون له والمستنبطون لصنعته"[7].

1 – عبد السلام حيمر، م، س، ص: 330.

2 – أبو العلاء إدريس، الإبتسام، م،خ،ع، رقم ك 2659، ص: 30.

3 – نفسه، ص: 32.

4 – نفسه، ص: 32.

5 – نفسه، ص: 31.

6 – العلوي الشاكري، م.س، ورقة 2 ب.

7 – الغيغائي، م،س، ص: 101.

فرحالتنا كلما استحضروا التطور في بعض البلدان العربية استحضروا معه النمط الأوربي، حيث أن أوربا أضحت مصدر الإحالة في كل ما يرجع للتمدن، فالغسال مثلا كلما رأى طريقا واسعا ومبلطا في المدن العربية، الإسكندرية، القاهرة وبيروت إلا واستحضر النمط الأوربي باعتباره النموذج والمقياس[1].

يمكننا القول أنه رغم انفتاح المغرب على الشرق والغرب فإنه لم يشهد أية حركة إصلاحية كالتي شهدتها في نفس الفترة مصر أو تركيا، وهنا يبرز التناقض بين هذا التفتح وبين استمرار المناهج التقليدية[2].

استنتاجات

استنتجنا مما سبق أن الرحلات السفارية ساهمت بقدر كبير في تقريب و اقع الحضارة الأوربية في القرن التاسع عشر من ذهنية النخبة المثقفة المغربية التي كانت لها هي الأخرى رغبة دفينة في معرفة أسباب تفوق الغرب تكنولوجيا.

السفراء المغاربة اهتموا وركزوا على القواعد التي كان يبنى عليها اقتصاد أوربا من جهة وكيف حقق محمد علي نهضته من جهة ثانية، ويظهر وضعهم الدقيق أنهم كانوا يتأسفون جهرا، وأحيانا سرا على عدم قدرة المغاربة على مسايرة النمو الأوربي. خاصة وأن أصحاب هاته الرحلات لم يكن لهم تأثير فعال على المخزن لإقناعه بجدوى الاقتباس الطوعي من أوربا، فالمغرب افتقر إلى نماذج من المفكرين على عكس ما حصل في اليابان خلال الفترة نفسها[3].

رغم اختلاف وتفاوت أصحاب الرحلات في وصف المستحدثات، فإن الأمر الذي يمكن تسجيله هو هيمنة النظرة الغرائبية الإنبهارية على معظم الرحالة.

نسجل كذلك حضور العامل الديني في الرحلات (مما جعلهم يرتدون عن الإعجاب والانبهار إلى القدح والتنفير) تعويضا عن الإحساس بالضعف والدونية أمام ما رأوه في أوربا من تفوق وازدهار.

وجوب الاستفادة من تقدم الغرب مع الوعي بضعف الأمة المغربية تقنيا وعلميا. و اهتمت كذلك هذه النصوص، بتفكير النخبة الثقافية والسياسية المغربية بأسباب نهوض الأمة وهو تفكير وإن لم يتخلص بعد من جدلية التجديد والماضي السلفي، إلا أنه يظهر وعيا بضرورة الاستفادة من عدة قيم وتقنيات لا غنى عنها لمن أراد التقدم والتحضر.

يوحي الوصف التفصيلي للتنظيمات ومظاهر التمدن الأوربي من لدن مدوني الرحلات، برغبة مضمرة في إدخال إصلاحات ووسائل تمدينية بالاعتماد على أوربا.

---

1 – الغسال، م، س، ورقة 22 أ.

2 – عبد العزيز التمسماني خلوق، رحلة الغيغائي، دار النيابة، السنة السادسة، عدد 22، ربيع 1989، ص: 32.

3 – في اليابان برز مفكرون رحالة منهم "FUKUZAWA YAKISHI" أحد منظري ثورة الميجي، والذي أسهم بكتاباته العميقة والدقيقة في إقناع مواطنيه بضرورة التواصل والأخذ بأدوات الغرب لأجل التمكن من مجابهته، ومنهم ITO الذي كلف بتحرير مواد الدستور الياباني، وقام بدور أساسي في بناء الهياكل السياسية في بلده، ومهد بذلك بزيارته لمجموعة من الأقطار الأوربية، يراجع في ذلك:

- REISCHAUER (E,O), histoire du Japon et des Japonais des origines à 1945, seuil, paris, 1973, p: 162-163.

كان الرحالة من خلال ذكرهم لكل تلك التنظيمات الحديثة بأوروبا ووصفهم الدقيق لها يرجون في نفوسهم ويلمحون بطريقة غير مباشرة إلى أن يقوم المخزن المغربي بتبني كل تلك التحديثات سواء التي قادتها البورجوازية بأوروبا أو التي قادتها الدولة في مصر.

يمكننا أن نقول أن كتاب الرحلات المخزنية قد وضعوا أصابعهم على أهم سمات الحداثة الاقتصادية كما لمسوها في مظاهر التطور للدولة والمجتمع البورجوازي الحديث.

المصادر والمراجع

- أبو الجمال الطاهر الفاسي، الرحلة الى الديار الانجليزية الابريزية، تحقيق محمد الفاسي، منشورات جامعة محمد الخامس، 1967.

- أبو العلاء ادريس، الإبتسام عن دولة ابن هشام أو "ديوان العبر في أخبار القرن الثالث عشر" م،خ،ح رقم 1249، وفي الخزانة العامة تحت رقم 2659.

- آسية بنعدادة، "الفقهاء والتقنيات الحديثة في مطلع القرن العشرين"، ضمن ندوة انتقال الأفكار والتقنيات في المغرب والعالم المتوسطي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ندوات ومناظرات رقم 160، الرباط 2008.

- أغناطيوس كراتشوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1987.

- أندري هوريو، القانون الدستوري والمؤسسات السياسية، بيروت، سنة 1984.

- العمراني السرغيني، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم 1012، ضمن مجموع.

- شعيب خليفي: "الرحلة المغربية إلى أوربا، النص والصورة"، ضمن أعمال ندوة الرحالة العرب والمسلمون اكتشاف الآخر، المغرب منطلقا وموئلا، وزارة الثقافة، الطبعة الاولى، 2003.

- عبد المجيد القدوري، "صور عن أوربا من خلال ثلاث رحلات مغربية وبعض المراسلات الرسمية"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، ع.15

- محمد عابد الجابري: تطوير الأنتلجنسيا المغربية الأصالة والتحديث في المغرب، ضمن مؤلف جماعي " الانتلجانسيا في المغرب العربي" ط1، دار الهداية، بيروت، 1984.

- أحمد السبعي، رحلة حجازية: م، خ، ع، رقم الكتاب 2908.

- ادريس الجعايدي السلاوي: إتحاف الأخيار بغرائب الأخبار، حققها وقدم لها، عز المغرب معنينو، ضمن سلسلة ارتياد الافاق، ط1، 2004، دار السويدي للنشر والتوزيع.

- ادريس العمراوي، تحفة الملك العزيز بمملكة باريز، تقديم وتعليق زكي مبارك، مؤسسة التغليف والطباعة والنشر بطنجة، مطابع الشمال 1989. وكذا المخطوطة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 23440.

- إدريس هاني: "أدب الرحلة وأسئلة النهضة: الرحلة من منظور التجربة المغربية"، مجلة الكلمة، عدد 64، سنة 2009م/1430هـ.

- الحسن بن محمد الغسال، الرحلة التتويجية الى عاصمة البلاد الانجليزية، حققها وقدم لها عبد الرحيم المودن، ط 1، 2003، سلسلة ارتياد الافاق، دار السويدي للنشر والتوزيع.

- جرمان عياش، دراسات في تاريخ المغرب، تعريب خلوق التمسماني ومحمد الأمين البزاز، الشركة المغربية للناشرين، الدار البيضاء، ط 10، 1406هـ/ 1986م.

- العروي عبد الله، الإيديولوجية العربية المعاصرة، دار الحقيقة، بيروت 1970.

- العلوي الشاكري، رحلة م، خ، ح، ر، رقم 11509، ورقة 3 أ، ورقة 4 أ.

- الكردودي أبو العباس، التحفة السنية للحضرة الحسنية بالمملكة الاسبنيولية، تحقيق عبد الوهاب بنمنصور، مطبوعات القصر الملكي، 1963.

- المختار السوسي: "أصفى الموارد في تهذيب تنظيم الرحلة الحجازية للشيخ الوالد، مطبعة النجاح، الدار البيضاء 1960.

- المكي بن قصابة بن محمد الرباطي، "تذكرة المجالس في علم المدافع والمهاريس"، خ.ح. ر. رقم 1043.

- جابر عصفور، "الرحلة إلى الآخر في القرن 19"، مجلة العربي، ط1، عدد 15 يناير 2005، الكويت.

- جمال حيمر،"تطورات مغربية للمدينة الأوربية من خلال الرحلات السفارية"، ضمن ندوة أدب الرحلة والتواصل الحضاري، كلية الآداب مكناس، -سلسلة ندوات 5، سنة 1993.

- سعيد بن سعيد العلوي، "أوربا والرحالين المغاربة"، ضمن ندوة الرحالة العرب والمسلمين اكتشاف الآخر، المغرب منطلقا وموئلا، نونبر 2003، منشورات وزارة الثقافة.

- عبد الإله بلقزيز، الخطاب الإصلاحي في المغرب التكوين والمصادر، ط1، دار المنتخب العربي، بيروت، 1997.

- عبد الرحيم مودن، معجم التواصل واللاتواصل في الرحلة المغربية السفارية الدبلوماسية أثناء القرن التاسع عشر، ندوة الرحالة العرب والمسلمون، الندوة الاولى، الرباط، 2003.

- عبد السلام حيمر: "صورة الآخر من خلال الرحلات السفارية المغربية إلى أوربا"، مجلة بصمات، منشورات جامعة الحسن الثاني، المحمدية، ع5.

- عبد السلام حيمر، أدب الرحلة السفارية المخزنية و أثرها في انفتاح المغرب على التجارة التحديثية العالمية (النصف الثاني من القرن 19)، ضمن أعمال ندوة أدب الرحلة والتواصل الحضاري، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، سلسلة ندوات رقم 5، 1993، مطبعة فضالة.

- عبد السلام حيمر، صورة الحداثة الأوربية في الكتابات السفارية المخزنية، مجلة مكناس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية مكناس، العدد السادس، 1992.

- عبد العزيز التمسماني خلوق، رحلة الغيغائي، دار النيابة، السنة السادسة، عدد 22، ربيع 1989.

- عبد العزيز خلوق التمسماني، العلم الثقافي، 19 مارس 1983.

- عبد الفتاح الحجمري: خطاب التحديث في رحلات سفارية، منشورات رابطة أدباء المغرب، ضمن ندوة الادب المغربي الحديث علامات ومقاصد، جماعة من الباحثين.

- عبد القادر زمامة، "الرحلة المغربية صلة علم وحضارة"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، ع 8، 1406هـ-1986م.

- عبد اللطيف حسني، تصورات مغربية للعلاقات الدولية خلال القرن 19م، مجلة أبحاث العدد الثامن السنة الثانية، خريف 1985.

- عبد الله العروي، الأصول الاجتماعية والثقافية للوطنية المغربية 1830-1912، ترجمة وتحقيق محمد حاتمي- محمد جادور، المركز الثقافي الغربي، ط1، 2016،

- عبد المجيد القدوري، "صور عن أوربا من خلال ثلاث رحلات مغربية وبعض المراسلات الرسمية"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، جامعة محمد الخامس، ع 15.

- عبد المجيد القدوري، سفراء مغاربة في أوربا 1610-1922، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم 13، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.

- عبد النبي بن العباس الشديد الصنهاجي الرباطي، "نزهة المجالس في علم أحكام المدافع والمهاريس"، م.خ.ح، الرباط رقم 1043.

- عبد النبي ذاكر، باريز في رحلة الصفار 1845-1846، العلم 10 يناير 1993.

- عبد النبي ذاكر، مرآة الغيرية وأسئلة التحديث في الرحلات السفارية المغربية من القرن 18م الى مطلع القرن العشرين، ضمن ندوة الحالة العرب والمسلمين، الندوة الاولى، الرباط 2003.

- علي أمليل، الإصلاح والديمقراطية، تجربتا المغرب والمشرق، الاتحاد الاشتراكي، الملحق الثقافي، عدد 160.

- محمد الغيغائي الوريكي، رحلة حجازية، م، خ،ح، ر، (مصورة)، رقم. 10948.

- العباس بن ابراهيم المراكشي السملالي، الاعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الاعلام، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ج1، المطبعة الملكية، الرباط 1974.

- محمد المنوني: مثقف من البادية يعرف المدينة المغربية بو اقع أوربا والمسلمين في القرن 19م، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 10، ضمن ندوة تطور العلاقات بين البوادي والمدن في المغرب العربي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط 1988.

- محمد بن عبد الله الصفار الاندلسي التطو اني، رحلة الصفار إلى فرنسا، تحقيق سوزان ميلار، تعريب خالد بن الصغير، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1995.

- مصطفى الغاشي: "مغربي في مصر خلال القرن التاسع عشر رحلة الغيغائي"، ضمن ندوة السفر في العالم المغربي الإسلامي، التواصل والحداثة، منشورات كلية آ.ع.إ الرباط، سلسلة ندوات ومحاضرات رقم 108.

- مؤلف مجهول، "البازفي علم المدافع والمهراز"، م.خ.ع. ر. رقم 3368.

- نازك سابا يارد، الصراع الفكري والحضاري في أدب بعض الرحالات العرب، مجلة العربي، ع51، السنة التاسعة.

- نجاة المريني، محمد بنسعيد السلاوي وسفارته إلى فرنسا، جامعة مولاي علي الشريف الخريفية، ضمن ندوة "السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان"، الدورة السادسة.

- "لماذا القرن 19"، مجلة المشروع، عدد 9، سنة 1988.

- العلمي، رحلة حجازية، مخطوط بالخز انة العامة بالرباط، رقم ك 1012، ضمن مجموع.

-REISCHAUER (E,O ,(histoire du Japon et des Japonais des origines à ,1945 seuil, paris ,1973.

-Henry peres, l'éspagne vue par les voyageurs musulmans de 1610 à ,1930 paris, adriem maison neuve.1973

- Henri peres, voyageurs musulmans en europ aux xix et xx mémoire de l'institut français d'archéologie oriental du caire, vol LXVIII caire.

- Nieves paradela alonso, mel otro labérinto espagnol viajeres arabes à espana entre els XVII y 1936, madrid, ed, V.A .de madrid, Espagne 1993.

البيان الختامي للمؤتمر الدولي الموسوم بـ:
(التاريخ حقيبة العلوم)
المنعقد خلال الأيام 3-5 كانون الأول ديسمبر 2020

عقد الاتحاد الدولي للمؤرخين مؤتمرًا دوليًّا في ثلاثة أيّام ممتدّة بين الثّالث من كانون الأوّل والخامس منه من عامنا الماثل هذا 2020 ،وقد وسم بـ:"التّاريخ حقيبة العلوم" وكان بتعاون كريم بين المنظّمة العربيّة للتربية والثقافة والعلوم، وجامعة سيدي محمد بن عبدالله بفاس بالمغرب، وجامعة سليمان الدولية بتركيا، وكلية التربية بجامعة سامراء العراق، وجامعة البحر الأحمر بالسودان، ومركز الحسو للدراسات الكمية والتراثية بإنكلترا، ومجلة الميادين الجزائرية، واكتمل عقده النّظيم بمشاركة زيد على ستّين باحثًا من العراق والمغرب والجزائر وليبيا وسلطنة عمان وجمهوريّة مصر العربيّة والمملكة الأردنيّة الهاشميّة ودولة الكويت والإمارات العربية المتحدة والمملكة المتحدة.

وقد كانت مجالسه الّتي بلغت عدّتها عشرة تنطلق عبر أثير تقانة "zoom"، ونوقشت فيها ستّة وخمسون بحثًا قرأت العُلْقَة القائمة بين علم التّاريخ والعلوم الإنسانيّة الآتية: الجغرافية وعلم الاجتماع وعلم النفس والقانون واللغة العربية والأدب، وقد حفّت هذه المجالس الجدّة والرّصانة، وكشفت عن مخبوءات في علم التّاريخ، نالت استحسانًا وزادت في رونق المشهد المؤتمريّ البهيّ، وكانت مناقشات المشاركين تعلي مكانة البحوث وتبدي ما انطوت عليه أنفس معدّيها من إعمال فكر وتوقّد قرائح، وممّا لا يجمل عنه التّصدّف ما اكتنف المؤتمر من تنظيم دقيق وإعداد بهيج.

وبسط الكلام وحاصله أنّ المؤتمر قد انتهى إلى الأمور الآنية:

- مباركة الجهود الكبيرة التي بذلها الاتحاد الدولي للمؤرخين وشركاؤه في حسن الإعداد وجمال التنظيم وعظمة النجاح وِفاقًا للمعايير العالمية المتعارفة في عقد المؤتمرات.
- ان حقيقة ان التاريخ حقيبة العلوم وخازنها، وقاعدة صلبة لحركتها وتطورها في الحاضر والمستقبل، وكونه يتعالق معها وتتعالق معه، يدعو المؤتمر الدوائر التاريخية والبحثية والأقسام العلمية، الى الالتزام بأداء مسؤولياتها التاريخية بتبنيها لأعمال موسوعية اكاديمية تناول تاريخ العلوم، استمرارا وتطويرا لما قدمه المؤرخون الرواد، الذين وضعوا اللبنات الأولى في هذا المجال.
- يدعو المؤتمر الى إعادة النظر في المناهج الدراسية في أقسام التاريخ بما يحقق تخريج جيل من المؤرخين متفقه باللغة والفكر ومنهجيات البحث ومستجداتها المعاصرة ومنها منهج البحث الكمي الإحصائي.
- **يثمن المؤتمر قيام اقسام التاريخ بتدريس مادة تاريخ العلوم ويدعو الى تعميم هذه التجربة أولا ويرى ضرورة اعتماد سياسة جديدة تدرس فيها هذه المادة في الأقسام العلمية كافة مع التركيز على المنجزات الخاصة بتخصصات تلك الأقسام وربط تطورات المنجز العلمي التاريخي بالتطورات المعاصرة ، مع الاخذ بنظر الاعتبار ان ثمة علوما لم تأخذ مكانتها ضمن مادة تاريخ العلوم ومنها تاريخ العلوم البحرية التي يوصي المؤتمر بضرورة ان تأخذ المكانة التي تستحقها.**
- منح الموضوعات الاجتماعية والاقتصادية مزيدا من الاهتمام، والدّعوة إلى عقد حلقات بحثية مكثفة لمعالجتها، ولا سيّما ما يتعلق بالتكوين المجتمعي وبتلك الموضوعات التي لم تنل حقها من الدراسة، كالرق.

- لا بدّ من أن يستعين أساتذة التّاريخ بالمتخصّصين في علم النّفس للغوص في تحليل الشّخصيّات الّتي يدرسونها، بغضّ الطّرف عن كونها منتصرة أم منهزمة أو ساخرة.
- **نظرا لأهمية العوامل النفسية في تشكيل الأحداث والمو اقف التاريخية للأفراد والجماعات؛ ابتداء بالناس العاديين والقادة، و انتهاء بالأسرة والمجتمع والمؤسسات بشتى اشكالها، يدعو المؤتمر الى ضرورة اخذ ذلك بنظر الاعتبار عند التعامل مع المادة التاريخية، والإفادة من منهج البحث النفسي بتكامل مع منهج البحث التاريخي.**
- **يوصي المؤتمر اقسام التاريخ بإعادة النظر في خطة مناهج الدراسات الأولية والعليا بما يضمن إعداد طلبة التاريخ، إعدادا يؤهلهم الى فهم الماضي والحاضر واستشراف المستقبل.**
- **يثمن المؤتمر دور مراكز البحوث والاستشارات ومراكز الدراسات التاريخية، ويدعو الى ضرورة اسنادها بتوفير الكوادر اللازمة والإمكانات المالية، بما يمكنها ان تؤدي دورها العلمي؛ مصدرا أساسيا يخدم صناع القرار.**
- إقامة مؤتمر سنوي لمناقشة علاقة التاريخ بالعلوم الأخرى، مع الاهتمام بالبحوث المشتركة مع المتخصّصين في العلوم الأخرى.
- دعوة الجامعات إلى أن تنهد لتدريس تاريخ العلوم لإقامة الوشائج بين سابق العهد بها وما آلت إليه من تطوّر وحداثة.
- لا بدّ من درْس المسكوت عنهم من المُغَمَّرين الّذين نظر إليهم معاصروهم انهم يمثّلون سوقة النّاس ولا سيّما الشّخصيّات السّاخرة، فهؤلاء الأغفال لهم أحاديث سرديّة متكاثرة، وقد ألّفت كتب وصنّفت مصنّفات في طرائفهم ونكتهم، مع الإنتباه على الاستمرار في دراسة تواريخ القادة وشخوصهم وأدوارهم في ابتناء الحضارات والمجتمعات.
- التّنبيه على دراسة الأعلام الّذين لم يلتفت إليهم بوصفهم صانعي هزائم، فلعلّ هذا ممّا غفل عنه بعض الدّارسين والمؤرّخين، فقد نهض كثرة كاثرة بالبحث في المنتصرين، صارفين أنظارهم عن الفريق الأوّل.
- يرى المشاركون في المؤتمر أنّ دراسة النقود تعدّ إحدى الأدوات التي تثبت الحقائق التاريخية وتجلو المنهم منها، وهي وسيلة من وسائل كتابة التاريخ.
- يوصي المؤتمر بمنح المؤرخ والعالم الحصانة والحرية في قول ما يريد وما يتوصل إليه من حقائق، لأنّ في رأيه المبنيّ على القراءة والتحليل والتجربة نفعا وفائدة.
- يرنو المشاركون في المؤتمر إلى زيادة الإنفاق على البحث العلمي بما يتناسب مع ما هو معمول به في الدول المتقدمة ، فهو، بلا ريب، أحد أهمّ معايير التطور والتقدم في العالم.
- الاهتمام برفع القدرات المعرفية والمنهجية للمؤرخ، والبحث في السبل التي تفضي إلى الارتقاء به.
- الدّعوة العازمة لكلّ التّخصّصات بمزيد من النّظر في المخطوطات الّتي لها عُلْقَة بها لإبقاء جذوة الوصل بين الماضي والحاضر مشتعلة، وحتّى يتلمّس الطّالب التّعالق بين ما يدرسه من نظريّات محدَثة وما انتهى إليه القدماء، وخير مثال على هذا دعوة كليات إلى دراسة المخطوطات المتخصّصة بالعلوم الطبية وسير الأطبّاء ونتاجاتهم العلمية والتعاون مع المؤرخين على تحقيق هذه المخطوطات.

- دعوة المتخصّصين بالتّاريخ إلى التّغلّب على انصراف الطّلبة عن الكتاب وتمسّكم بمنتوجات التقدم الرقمي التكنولوجي، ولعلّ الخيار الأكبر في حلّ هذا الاستشكال هو أن يعمد المؤرّخ إلى ان يواجه المؤرخ إنشاء مواقع رقمية متقدمة، مع استبقاء المحاضرات والمؤتمرات العلميّة قائمة في الجامعات.
- يوصي المؤتمر بضرورة رفع البيان الختامي للمؤتمر إلى جامعة الدول العربية والاتحاد العام للجامعات العربية والمنظمة العربية للتربية والعلوم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المشاركون في المؤتمر الدولي التاريخ حقيبة العلوم
7 كانون الاول ديسمبر 2020

جميع الحقوق محفوظة

للاتحاد الدولي للمؤرخين

2021

ISSN:2707-8183

INTERNATIONAL JOURNAL OF HISTORICAL AND SOCIAL STUDIES

المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية

المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية مجلة علمية محكمة تصدر عن الاتحاد الدولي للمؤرخين، وتعد منصة للكتاب والباحثين لنشر المقالات الفكرية العلمية الرصينة، تشرف عليها نخبة من المؤرخين والعلماء من دول مختلفة، وتسعى الى نشر العلوم والمعرفة، وتعتمد الاليات والمعايير العلمية التي تجعل منها مجلة رصينة تمتلك كل الشروط التي تجعل منها تحظى بالاعتماد والقبول والتميز.

Historical.magazine2015@gmail.com
WWW.INT-HISTORIANS.COM